مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٥٦)

الإرشاد
بشرح
الاقتصاد في الاعتقاد

للإمام الحافظ عبد الغني المقدسي

تأليف
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

مركز الراجحي للدراسات و الإستشارات

الإرشاد
بشرح
الاقتصاد في الاعتقاد

ح مركز عبدالعزيز الراجحي للإستشارات والدراسات، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الراجحي، عبدالعزيز عبدالله
الإرشاد بشرح الإقتصاد في الإعتقاد . / عبدالعزيز عبدالله
الراجحي – الرياض، ١٤٣٨ هـ
٣٥٠ص ، ١٧ x ٢٤ سم
ردمك ٢-٤-٩٠٩٣٤-٦٠٣-٩٧٨
١- العقيدة الإسلامية أ- العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٨/٦٠٧٧

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٦٠٧٧
ردمك: ٢-٤-٩٠٩٣٤-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧م

تمَّ الصَّفُّ والإخْرَاج
بمركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي
للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية

المملكة العربية السعودية
الرياض
حي الربوة - مخرج 15
شارع ثنيان بن مقرن مبنى رقم 12
ص.ب. 60558
الرمز البريدي 11555

+966 555448475
+966 535600668
0114455995 / Fax : Ext.108
info@mnaratt.com

http://shrajhi.com.sa/
@AlSheikhAlRajhi
@shrajhi
abdulaziz-alrajhi

مجموعة مؤلفات ورسائل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٥٦)

الإرشاد بشرح الاقتصاد في الاعتقاد

للإمام الحافظ عبد الغني المقدسي

تأليف
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وإمامنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي العربي المكي، ثم المدني، صَلَّى الله وسَلَّمَ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا شرح لرسالة «الاقتصاد في الاعتقاد» والتي هي من تأليف الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسين ابن جعفر المَقْدِسِيُّ ـ نسبة إلى بيت المقدس ـ، الجَمَّاعِيْلِيُّ ـ نسبة إلى بلدة جَمَّاعيل، وهي قرية من أرض فلسطين تابعة لبيت المقدس ـ، الدِّمَشْقِيُّ؛ فقد انتقل إلى دمشق، الصَّالِحيُّ؛ فقد سكن في قرية الصالحية في جبل قاسيون في دمشق.

وهو من علماء القرن السادس الهجري؛ وُلِدَ سنة خمس مئة وإحدى وأربعين أو اثنين وأربعين أو ثلاث وأربعين أو أربع وأربعين على خلاف، ووفاته في سنة ست مئة من الهجرة.

والحافظ عبدالغني رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلفي المعتقد، وله باع طويل في الحديث وعلومه، وهو صاحب كتاب «عمدة الأحكام» المعروف والمُرتَّب على أبواب الفقه، وله «محنة الإمام أحمد»، و«النصحية في الأدعية

الصحيحة»، وله «الكمال في معرفة الرجال» الذي هذبه الحافظ المزي في «تهذيب الكمال»، وغيرها من الكتب.

وقد عاصر المؤلفُ الموفقَ **ابن قدامة** صاحب «المغني» وهو ابن خالته، وقد أخذ عنه، وكذلك عاصر **الضياء المقدسي** صاحب «المختارة»، وقد أدركه **الضياء** وأخذ عنه، وله شيوخ وتلاميذ كثيرون[(١)].

وهذه الرِّسالة تُسمَّى «عقيدة الحافظ عبدالغني» أو «الاقتصاد في الاعتقاد»[(٢)].

ومعنى «الاقتصاد» الوسطية، وهي بين الإفراط والتفريط؛ لأنه ما من شيء إلَّا وله طرفان ووسط، فالطرفان هما مجاوزة الحدِّ والغُلُوُّ فيه أو التقصير، إما تفريطًا وإما إفراطًا، وهذان الطرفان مذمومان، والوسط هو الحقُّ وهو مذهب **أهل السنة والجماعة**، فهو وسط بين مذاهب أهل البدع والفِرق.

مذهب أهل السنة والجماعة وسط في القدر بين مذهبي الجبرية والقدرية.

غَلَتِ **الجبرية** في إثبات أفعال الرَّبِّ ونَفَوْا أفعال العبد، **وقالوا**: إن العبد ليس له أفعال، والرَّبُّ سبحانه هو الفاعل، والأفعال هي أفعال الله، والعباد وعاء للأعمال، فالله هو المصلي والصائم **عندهم**، والعباد كأنهم وعاء كالكأس الذي يُصبُّ فيه الماء، فالعباد كؤوس والله صبَّاب الماء فيها، فلم يثبتوا للعبد اختيارًا ولا قدرة، بل سلبوا قدرته واختياره.

---

(١) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٤٤٣ ـ ٤٧١)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٣ - ٥٥).

(٢) تم إثبات نسخة المتن من الطبعة التي بتحقيق الدكتور/ أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر «مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة»، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ.

وقابلهم **القدرية**، **قالوا**: إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه استقلالًا خيرًا أو شرًّا طاعة أو معصية، والله لم يخلق أفعال العباد[١].

وأهل السنة وسط بين هؤلاء وهؤلاء، فأثبتوا أفعال العباد وأثبتوا لهم الاختيار كما دلت النصوص على ذلك، ولكن مشيئتهم واختيارهم تابعة لمشيئة الله ﷻ، فخلق الله العبد وخلق قدرته واختياره، فلهم قدرة واختيار، فهم الذين يُصلُّون ويصومون وهم الذين يقومون ويقعدون، ويفعلون باختيارهم.

مذهب أهل السنة والجماعة وسط في باب الإيمان بين الخوارج والجهمية.

يقول الخوارج الوعيدية: إن العبد إذا فعل كبيرة كَفَرَ، فالزاني عندهم كافر، وكذا السارق وشارب الخمر[٢].

ويقول جهمية المرجئة: إذا عرف العبد ربَّهُ بقلبه فهو مؤمن، وإن عمل جميع الكبائر والمنكرات لا يضره ما دام عرفه بقلبه، ولا يكفر إلَّا إذا جهل ربَّهُ بقلبه، وإذا عرف ربَّهُ دخل الجنة من أول وهلة[٣].

وأهل السنة وسط بين هؤلاء وهؤلاء، **قالوا**: إن العبد لا يكفر بفعل المعصية، ولكن يكون ناقص الإيمان إذا لم يستحل كبيرة، ولكن المعاصي تضر بالإيمان وتُنقصه وتُضعفه إلَّا أنها لا تقضي عليه، فلا يقضي على الإيمان إلَّا الشِّرك الأكبر أو النفاق الأكبر[٤].

وقد ذكر المؤلف رحمه الله **في هذه الرِّسالة** كثيرًا من الصفات والمسائل العقدية.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٦/ ٢٣٥).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٧٩)، (١٢/ ٤٨٠).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٤٣، ٥٤٤).
(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٧٩)، (١٥/ ٢٩٤).

فبحث ﷀ في صفة الاستواء، وصفة العُلُوّ، وصفة الوجه، وصفة النزول، وصفة اليدين، وصفة المحبة، وصفة المشيئة والإرادة، وصفة الضحك، وصفة الفرح، وصفة العجب، وصفة البغض، وصفة السخط، وصفة الكره، وصفة الرضا، وصفة النفس.

وذكر ﷀ مسألة الكلام، والقول في القرآن أنه كلام الله ﷻ، والقضاء والقدر، والإسراء والمعراج، ورؤية الرسول ﷺ لربِّهِ ليلة المعراج، ورؤية المؤمنين لربهم، والشفاعة، والحوض، وعذاب القبر ونعيمه، والجنة والنار، والميزان، وأركان الإيمان الستة، وحقيقة الإيمان والإسلام، والإيمان بخروج الدجال، ونزول عيسى وقتله الدجال، والإيمان بملك الموت، وخصائص النبي ﷺ، والمفاضلة بين الخلفاء الراشدين، والشهادة لمن شهد له النبي ﷺ بالجنة، وفضل الاتِّباع.

وقد يسر الله أن أتيت على هذه الرسالة بالشرح والبيان، في مجالس علمية، ثم كان بعدُ العمل عليها، وإذ الرسالة حافلة بالنصوص الكثيرة من الكتاب والسنة والآثار، إذ المؤلف من المحدثين كما تقدم، فكان التخريج للأحاديث والآثار، وما تبع ذلك من خدمة الشرح بالعزو والتوثيق.

وقد أسميت الشرح بـ«**الإرشاد بشرح الاقتصاد في الاعتقاد**».

أسأل الله تعالى التوفيق للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وصلَّى الله وسَلَّم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

عظم المِنَّة

بحضور مجالس العلم

إن مجالس العلم تحفُّها الملائكة، وتغشاها الرحمة، وتتنزل عليها السكينة، ويذكر الله حاضريها فيمن عنده، في «صحيح مسلم»[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»**، وفي حضور مجالس العلم فضل عظيم وأجر كبير.

وطلب العلم مع حسن القصد وإخلاص النية لا يعدله شيء[(٢)]؛ فهو من أفضل القُرُبات وأجلِّ الطاعات.

مَيَّزَ الله تعالى العلماء ورفع شأنهم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزُّمَر: ٩]

وقرن الله تعالى شهادة العلماء بشهادته وشهادة ملائكته على أجلِّ مشهود وهو الشهادة لله تعالى بالوحدانية، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عِمرَان: ١٨].

والعلم إرث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالأنبياء ورَّثُوا العلم

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٦٩٩).
(٢) «الآداب الشرعية» (٢/ ٣٥، ٤٢).

ولم يُوَرِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»**(١).

ومجالس الذكر وطلب العلم أفضل من نوافل العبادة، أي: أفضل من نوافل الصلاة والصيام والحج، فطلب العلم مُقدَّم على نوافل العبادات، وما ذاك إلَّا لأن مجالس العلم يتعلَّم فيها الإنسان ويتبصَّر ويتفقُّه في دينه فيعلم الحلال والحرام، ويعلم ما يجب لله تعالى، وما يصف الله به نفسه من الأسماء والصفات، ويعلم حقَّ الله تعالى فيعبده على بصيرة.

وفي «الصحيحين»(٢) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»**، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: «وكلُّ من أراد الله به خيرًا لا بُدَّ أن يُفقِّهَهُ في الدين، فمن لم يُفَقِّهْهُ في الدين لم يُرِدِ الله به خيرًا»(٣).

وينبغي لطالب العلم أن يحرص على مجالس العلم والدروس العلمية، ويرتبط بها، ويصغي وينتبه لها، وينتهز الفرصة ما دامت هذه المجالس والحلقات موجودة وأهل العلم متوافرون، فقد يأتي وقت لا

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب «الحث على طلب العلم»، رقم (٣٦٤١)، والترمذي، كتاب العلم، باب «ما جاء في فضل الفقه على العبادة»، رقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه، في المقدمة، باب «فضل العلماء والحث على طلب العلم»، رقم (٢٢٣)، وأحمد (٥/ ١٩٦).
وقد ذكره البخاري في «صحيحه» (١/ ٣٧) بغير إسناد، قال: «بَاب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمَّد: ١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا الْعِلْمَ مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».
قال ابن الملقن: «هذا الحديث صحيح». «البدر المنير» (٧/ ٥٨٧)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»، رقم (٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، رقم (١٠٣٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٨/ ٨٠).

تتيسر له هذه المجالس، وقد توجد المجالس ولا يوجد فيها من أهل العلم من هو من أهل البصيرة.

وعليه أن يسأل عمَّا أشكل عليه، لكن سؤال استرشاد واستفهام، وتعلُّم، لاسؤال تعنُّت ورياء؛ بأن لا يقصد من سؤاله إعنات المسؤول وإيقاعه في الحرج، ولا السؤال عن الألغاز والأشياء المشكلة والتي لم تقع أو نادرة الوقوع، بل يسأل العلم والفائدة.

وعليه أن يجتهد ويحرص أن يخلص نيته لله، وأن يكون قصده أن يتفقه ويتبصر في دين الله، وأن يرفع الجهل عن نفسه وغيرِهِ؛ لأن الأصل في الإنسان أنه لا يعلم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، قال مهنا: قلت لأحمد بن حنبل: «ما أفضل الأعمال؟»، قال: «طلب العلم لمن صحَّت نيته»، قلت: «وأي شيء تصحيح النية؟»، قال: «ينوي يتواضع فيه، وينفي عنه الجهل»(١).

والأصل في الإنسان أنه لا يعلم، فأنت تتعلَّم وتتبصَّر فترفع الجهل عن نفسك لتعبد ربَّكَ على بصيرة، ثم ترفع الجهل عن غيرك بأن تُعلِّم غيرك ما علمت.

وينبغي لطالب العلم أن تكون له نية حسنة يُخْلِصُ لله فيها؛ لأن طلب العلم عبادة.

ولا تصح العبادة إلَّا بشرطين:

الأول: أن تكون خالصة لله مرادًا بها وجه الله والدار الآخرة.

الثاني: أن تكون موافقة لشرع الله وصوابًا على هدي رسول الله ﷺ.

---

(١) «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (١/ ٣٨٠، ٣٨١)، و«الفروع» لابن مفلح (١/ ٤٦٥)، و«الآداب الشرعية» له (٢/ ٣٨).

وأهل العلم هم أهل الصراط المستقيم الذين مَنَّ الله عليهم بالعلم والعمل، وهم أهل الهداية، وهم المتقون، وهم أهل الفلاح، وهم أهل التقوى، وهم أهل البرِّ، وهم الذين نسأل الله في كل ركعة من ركعات الصلاة في سورة «الفاتحة» أن يهدينا صراطهم المستقيم، صراطَ المُنْعَمِ عليهم، الذين أنعم الله عليهم بالعلم والعمل، ونسأله أن يُجنِّبنا طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين، فالمغضوب عليهم هم الذين يعلمون ولا يعملون ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ، عندهم علم ولكن لا يعملون به، ويدخل في ذلك كثيرون فاليهود يعلمون ولا يعملون، ونسأله أن يُجنِّبنا طريق الضالين وهم الذين يعبدون الله على جهل وضلال، فهم يعملون لكن بلا علم ولا بصيرة كالنصارى وأشباههم من الصوفية والزُّهاد الذين يتخبطون في دلاهيم الظلمات وليس عندهم بصيرة، هما داءان من سَلِمَ منهما سَلِمَ من داء الغواية والضلال، **داء الغواية** عدم العمل بما يعلمه الإنسان، **وداء الضلال** أن يتعبَّد على جهل وضلال.

وقد برَّأ الله نبيه ﷺ الكريم من هذين الداءين ـ وهما داء الغواية وداء الضلال ـ فقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: ١-٢]، فأقسم ﷻ بالنجم ـ وله أن يُقْسِمَ بما شاء ﷻ ـ أن نبينا ﷺ ليس ضالًّا ولا غاويًا، بل هو راشد عليه الصلاة والسلام.

❁ ❁ ❁

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ
وَالْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الزَّاهِدُ الْحَافِظُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو مَحَمَّدٍ عَبْدُالْغَنِيِّ بْنُ عَبْدِالْوَاحِدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سُرُورٍ الْحَنْبَلِيُّ الْمَقْدِسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

الْحَمْدُ للهِ الْمُتَفَرِّدِ بِالْكَمَالِ وَالْبَقَاءِ، وَالْعِزِّ وَالْكِبْرِيَاءِ، الْمَوْصُوفِ بِالصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ، الْمُنَزَّهِ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالنُّظَرَاءِ، الَّذِي سَبَقَ عِلْمُهُ فِي بَرِيَّتِهِ بِمُحْكَمِ الْقَضَاءِ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ، وَاسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى الْهَادِي إِلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ، مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّاهِرِينَ الْأَتْقِيَاءِ صَلَاةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمِ اللِّقَاءِ».

الشَّرح

افتتح تلميذ **المؤلف** رحمه الله الخطبة بالبسملة والحمد لله اقتداء بالكتاب العزيز، فالله تعالى افتتح كتابه بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: ١].

والصواب أن البسملة آية مُنفصِلة في أول كل سورة وليست من السُّور فليست من الفاتحة ولا من غيرها، والفاتحة سبع آيات، أولها

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، والآية السادسة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، والسابعة ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧] أي: هي سبع آيات بدون البسملة على **الصحيح من أقوال أهل العلم**[(١)].

ويدل على ذلك نصوص، **منها**: ما رواه مسلم في «صحيحه»[(٢)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَى: «حَمِدَنِي عَبْدِي»، ....»**».

○ قوله: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ**» المراد بـ«**الصَّلَاةَ**» الفاتحة، فالفاتحة لها أسماء ومن أسمائها الصلاة، وقوله: «**فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَى: «حَمِدَنِي عَبْدِي»**، ...» دلَّ على أن أول آية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

○ قوله: «بِسْمِ اللهِ» أي: باسم الله أستعين، باسم الله البالغ السِّعة.

و«اللهِ» اسم لا يُسمَّى به غيره سبحانه، وهو أعرف المعارف.

وأصله الإله، أُسْقِطَتِ الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة وهي ساكنة فأُدْغِمَتْ في الأخرى التي هي عين الاسم فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مُشدَّدة[(٣)]، وهو بمعنى مألوه، والمألوه هو المعبود الذي تألهه

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٢/٢٧٧، ٤٤٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، رقم (٣٩٥).

(٣) «تفسير الطبري» (١/٥٥).

القلوب محبة وإجلالًا وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً.

○ قوله: «الرَّحْمَنِ» اسم من أسماء الله تعالى لا يُسمَّى به غيره، المشتمل على الرحمة، يعني: ذو الرحمة، و«الرَّحِيمِ» اسم آخر.

لا يُسمَّى بـ«الرَّحْمَنِ» غيره، واسم «الرَّحِيم» مشترك، يُطلق على الله وعلى غيره، قال تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [التوبة: ١٢٨]، فوصف نبيه ﷺ بأنه رحيم.

۞ أسماء الله تعالى نوعان:

النوع الأول: ما هو خاصٌّ به ﷻ لا يُسمَّى به غيره كـ«الرحمن»، و«خالق الخلق»، و«مالك المُلك»، و«النافع»، و«الضار»، و«المحيي»، و«المميت»، و«المعطي»، و«المانع».

النوع الثاني: ما هو مشترك كـ«العزيز»، و«العليم»، و«السميع»، و«البصير»، و«الحي»، و«الرحيم»، وغير ذلك.

أسماء الله مشتقَّة مشتملة على صفات، فهي ليست أسماء جامدة، فاسم الله «الرحمن» مشتمل على الرحمة، و«العليم» مشتمل على صفة العلم، و«القدير» مشتمل على صفة القدرة، و«الحكيم» مشتمل على صفة الحكمة، وهكذا، بخلاف الصفات كصفة الغضب، وصفة الرضا فلا تُشتقُّ أسماء منها؛ فالأسماء والصفات توقيفية، فلا يُقال: إن الله اتصف بالرضا، فنقول: «من أسمائه الراضي»، ولا يُقال: «إن من أسمائه الغاضب»، لكن الأسماء مشتملة على الصفات.

○ قوله: «رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ» سأل المؤلف ؒ ربَّهُ التيسير على إتمام هذه الرسالة والإعانة على ذلك.

○ قوله: «وَالْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» يعني: الله

كافينا، ونعم المتوكَّل عليه ﷻ.

والكلام المتقدّم ليس من قول **المؤلف** ﵀، ولهذا قال بعد ذلك: **«قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الزَّاهِدُ الْحَافِظُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو مَحَمَّدٍ عَبْدُالْغَنِيِّ ابْنُ عَبْدِالْوَاحِدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سُرُورٍ الْحَنْبَلِيُّ الْمَقْدِسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى»**.

والمؤلف ﵀ حنبليُّ المذهب، وقد يكون مُقلِّدًا وقد يكون مجتهدًا مثل **شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله**، وكلٌّ منهما ينتسب إلى مذهب الحنابلة لكونه وافق **الإمام أحمد** في الأصول، وليس معنى ذلك أنه مُقلِّد.

○ قوله: «**الْحَمْدُ للهِ**» والحمد هو الثناء على المحمود بصفاته الاختيارية، وهو أكمل من المدح؛ **فالمدح** هو أن تذكُرَ صفات الممدوح، وقد تكون هذه الصفات اختيارية وقد تكون خِلْقية ليست اختيارية.

والحمد إنما يكون بذكر صفات المحمود مع حُبِّهِ وإجلاله وتعظيمه، وأما **المدح** فلا يلزم منه الحبُّ، مثل الأسد تذكر أوصافه وتقول: «إنه قوي العضلات» هذا مدح له ولكن ليس فيه محبة، فلا تقول: «أحمَدُ الأسدَ» وإنما قُلْ: «أمدَحُ الأسدَ»، فالحمد أكمل، وهو الثناء على المحمود بصفاته الاختيارية مع حُبِّهِ وإجلاله.

ولهذا جاء الحمد في حقِّ الرَّبِّ ﷻ، فتقول: «الحمد لله»، ولا تقول: «أمدَحُ اللهَ»؛ لأنه أكمل، فهو الثناء على المحمود بصفاته الاختيارية مع الحبِّ والإجلال والتعظيم.

والألف واللام في «**الْحَمْدُ للهِ**» للاستغراق، يعني: جميع أنواع المحامد مُستغرقة لله ملكًا واستحقاقًا.

○ قوله: «**الْمُتَفَرِّدِ بِالْكَمَالِ وَالْبَقَاءِ**» يعني: أنه ﷻ هو الذي يتفرَّد

بالكمال، فمن صفاته سبحانه الكمال، أما المخلوق فإنه إن اتصف ببعض الصفات إلَّا أنها ليست صفات كمال على الإطلاق، بل الكمال فيها كمال نسبي يليق بالمخلوق، أما صفات الكمال على الإطلاق فلا يستحقُّها إلَّا الرَّبَّ ﷻ، فهو الذي تفرَّد بالكمال.

وهو ﷻ الذي تفرَّد بالبقاء فهو الباقي ﷻ، وهو الحي القيوم، الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا ينام، وأما المخلوق فإنه ليس له البقاء إلَّا بإبقاء الله له، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨]، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦-٢٧].

○ قوله: «**وَالْعِزِّ وَالْكِبْرِيَاءِ**» فهو سبحانه الذي تفرَّد بالعِزِّ الكامل، والمخلوق له عِزٌّ نسبي بإعزاز الله له.

وتفرَّد أيضًا ﷻ بالكبرياء، أما المخلوق فليس له أن يتكبَّر، فإذا تكبَّر فهو مذموم، فالكبر للمخلوق قد يكون كفرًا كما إذا تكبَّرَ عن عبادة الله فلم يعبده فهذا كبر يُخرِج من المِلَّةِ، وقد يكون كبرًا دون التوحيد فيكون من الكبائر، في «صحيح مسلم»[1] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، فإن كان كِبرٌ على التوحيد فهو مُخلَّد في النار، وإن كان على ما دون التوحيد فهذا من الكبائر، ويكون الحديث من باب الوعيد، والله تعالى قد تفرَّد بالكمال والبقاء والعِزِّ والكبرياء.

○ قوله: «**الْمَوْصُوفِ بِالصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ**» يعني: أن الله ﷻ موصوف بالأسماء والصفات التي سَمَّى أو وصف بها نفسه في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٩١).

والأسماء والصفات توقيفية، ليس للعباد أن يُسمُّوا الله بأسماء أو يصفونه بصفات من عند أنفسهم، فلا يخترعون لله أسماء أو صفات؛ بل هي توقيفية يُوقَفُ فيها عند النصوص، فلا يُسمَّى الله إلَّا بما سَمَّى به نفسه وسَمَّاه به رسوله ﷺ، وكذلك الصفات لا يُوصف الله إلَّا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

وأما النقائص والعيوب فإنها تُنْفَى عن الله تعالى إجمالًا كما نفاها ﷻ عن نفسه كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤] فتنفى عنه ﷻ النقائص والعيوب.

وكذلك نفى الله الولد بخصوصه؛ لأن المشركين نسبوا لله ولدًا، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ [مريم: ٨٨] فردَّ ﷻ عليهم فقال: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٩-٩٥].

ومسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائزة مشروعة؛ كما جاءت بها الأحاديث، وأما دعاء صفاته وكلماته فكفر **باتفاق المسلمين**(١)، فلا يجوز لأحد أن يقول: «يا رحمة الله ارحميني»، «يا قدرة الله أنقذيني»، «يا وجه الله أعطني كذا»؛ لأن الله تعالى بذاته وأسمائه وصفاته هو الخالق فلا تُنادِي الصفة وحدها.

لكن ورد الاستعانة بالصفة، كما في صحيح مسلم(٢) عَنْ عُثْمَانَ

---

(١) «الاستغاثة في الرد على البكري» لابن تيمية (ص ١٥٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، رقم (٢٢٠٢).

ابْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ ﷺ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: «بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثًا»، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ «أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»»**، فالاستعاذة بالصفة لا بأس بها.

وكذلك القسم كقولك «وعزة الله»؛ في «الصحيحين»[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ؛ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا»، فَيَقُولُ: «هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟»، فَيَقُولُ: «لَا وَعِزَّتِكَ»»**، وحكى الله تعالى قول إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: ٨٢]؛ لأنه يخاطب الله، أما نداء الصفة وحدها فلا يجوز.

تنبيه:

بعض العامة يقول: «يا وجه الله»، وهذا معروف عند بعض البادية وبعض الناس ولا ينبغي هذا، وينبغي إنكاره.

○ قوله: «**الْمُنَزَّهِ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالنُّظَرَاءِ**» والنَّظير هو المثِيل، فليس لله تعالى مثِيل ولا شبيه، بل إنه ﷻ لا أحد يُماثِله ولا يُشابِهه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله ﷻ.

○ قوله: «**الَّذِي سَبَقَ عِلْمُهُ فِي بَرِيَّتِهِ بِمُحْكَمِ الْقَضَاءِ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ**» البَرِيَّة هي المخلوقات، يعني: قد سبق علم الله فيما يكون في المخلوقات، وكَتَبَ ذلك في اللوح المحفوظ، وفي «صحيح مسلم»[2]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الآذان، باب «فضل السجود»، رقم (٨٠٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٥٣).

عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»**، قَالَ: **«وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»**.

والعلم سابق للكتابة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾ [الحديد: ٢٢]، فسبق علمه تبارك وتعالى، وكتب السعادة والشقاء في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

○ قوله: **«وَاسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ»** يعني: استقر وعلا وصعد وارتفع فوق عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته.

والكرسي غير العرش، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ آيَةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَيْكَ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: **«آيَةُ الْكُرْسِيِّ»**، ثُمَّ قَالَ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلَقَةِ»**(١) **فالكرسي مخلوق عظيم أكبر من السماوات والأرض، ونسبة السماوات السبع إليه كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ»**(٢)، ونسبة الكرسي إلى

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٨).

قال الذهبي: «والخبر منكر». «العلو للعلي الغفار» (ص ١١٥).

قال ابن حجر: «وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند صحيح عنه». «فتح الباري» (١٣/ ٤١١)

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٣١).

قال الذهبي: «هذا مرسل، **وعبدالرحمن ضعيف**». «العلو للعلي الغفار» (ص ١١٧).

العرش كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، فالكرسي غير العرش، وهذا هو **الصواب**(١)، وفي قول إنهما شيء واحد(٢) لكنه قول ضعيف، وأضعف منه أن الكرسي علمه(٣)، هذا قول باطل(٤).

بيَّن **المؤلف** رحمه الله في خطبته أنه يسير على وفق معتقد **أهل السنة والجماعة** وعلى ما دلت عليه النصوص، فأثبت الاستواء، **وأهل البدع** يُحرِّفُون ويُؤولون الاستواء بالاستيلاء(٥).

○ قوله: «**وَصَلَّى اللهُ**»، وأصح ما قيل في تعريف صلاة الله على عبده: ما رواه البخاري في «صحيحه»(٦) قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ»، فأنت تسأل الله تعالى أن يُثنِي على عبده في الملإ الأعلى(٧).

○ قوله: «**عَلَى الْهَادِي**» وصف الرسول ﷺ بـ«الهادِي».

ويملك النبي ﷺ **هداية الدلالة والإرشاد**، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ

---

(١) **قال ابن كثير**: «**والصحيح** أن الكرسي غير العرش، والعرش أكبر منه كما دلت على ذلك الآثار والأخبار». «تفسير ابن كثير» (١/ ٣١١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ١٠).

(٣) ينسب إلى ابن عباس رضي الله عنهما.
أخرجه الطبري في «تفسير الطبري» (٣/ ٩) من طريق جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] قال: «كرسيه علمه».
قال ابن منده: «ولم يتابع عليه جعفر، وليس هو بالقوي في سعيد بن جبير». «الرد على الجهمية» (ص ٢١).
ونقل هذا القول عن الجهمية **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله، **فقال**: «وليس كرسيه علمه كما قالت **الجهمية**». «مجموع الفتاوى» (٥/ ٦٠).

(٤) **قال ابن تيمية**: «وقد نُقِلَ عن **بعضهم** أن كرسيه علمه، وهو قول ضعيف». «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٨٤)

(٥) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٤٣ ـ ١٤٩).

(٦) ذكره البخاري في «صحيحه» (٤/ ١٨٠٢) مُعلَّقًا بصيغة الجزم.
ووصله القاضي أبو إسحاق في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» رقم (٩٥).

(٧) انظر: «فتح الباري» (١١/ ١٥٦).

لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، وكذا الدُّعاة والمصلحون، أما **هداية التَّوفيق والتثبيت** وخلق الهداية في القلوب وجعل الإنسان يقبل الحقَّ ويرضاه فلا يملكها إلَّا الله، ولا يملكها النبي ﷺ ولا غيره، قال الله تعالى لنبيه لمَّا عجز عن هداية عمِّه أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦][(١)]، يعني: لا تُوفِّق ولا تستطيع أن تُوفِّق، بل الذي يُوفِّق هو الله تعالى؛ فهو الذي يخلق الهداية في القلوب.

○ قوله: «**إِلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ**» والْمَحَجَّةُ هي الجادة والطريق البيضاء، وهي محجَّة الإسلام وطريقه والصراط المستقيم.

○ قوله: «**وَالشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ**» يعني: البيضاء الناصعة، وهي ما بُعِثَ به عليه الصلاة والسلام من الشريعة السَّهلة السَّمحة في العقيدة والعمل والخُلُق.

○ قوله: «**مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ**»، و«**مُحَمَّدٍ**» اسم من أسمائه عليه الصلاة والسلام، وذلك لكثرة المحامد، وله ﷺ أسماء كثيرة، **منها**: أحمد، والحاشر الذي يُحشر الناس على قدميه[(٢)]، «**سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ**»، فهو ﷺ سيِّدهم، يعني: له السؤدد والإمامة فهو مقدمهم وإمامهم ﷺ؛ في «صحيح مسلم»[(٣)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، فهو ﷺ سيِّد الأنبياء والمرسلين وسيِّد الناس.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب «قصة أبي طالب»، رقم (٣٨٨٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب «ما جاء في أسماء رسول الله»، رقم (٣٥٣٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٣٥٤) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٢٧٨).

مسألة لا منافاة بين أن الرسول ﷺ سيِّد المرسلين وقوله ﷺ: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**»؛ عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا: «أَنْتَ سَيِّدُنَا»، فَقَالَ: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**»، يعني: السيِّد على الإطلاق هو الله ﷻ، قال: قُلْنَا: «وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا»، فخاف النبي ﷺ عليهم من أن يغلوا فيه، فَقَالَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ**»[(١)]، فهذا قاله ﷺ من باب حماية جناب التوحيد وسدِّ كل طريق يُوصل إلى الشِّرك.

والله تعالى هو السيِّد على الإطلاق، وأما ما في «الصحيحين»[(٢)] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ ـ هُوَ ابْنُ مُعَاذٍ ـ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**» فهو بالإضافة.

○ قوله: «**وَعَلَى آلِهِ**» **قيل**: آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة، **وقيل**: هم أمته وأتباعه إلى يوم القيامة، وهذا عام ويدخل فيه دخولًا أوليًّا أزواجه وذريته وأقاربه المؤمنون[(٣)].

○ قوله: «**وَصَحْبِهِ**» جمع صاحب، **وأصح** ما وقفتُ عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام[(٤)].

وقولنا «من لقي النبي ﷺ» يشمل العميان **كعبدالله بن أم مكتوم** ﷺ، ولا يُقال: «كل من رأى النبي ﷺ»؛ لأن **ابن أم مكتوم** صحابي

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب «في كراهية التمادح»، رقم (٤٨٠٦)، وأحمد (٤/ ٢٤). **قال ابن حجر**: «ورجاله ثقات، وقد صححه غير **واحد**». «فتح الباري» (٥/ ١٧٩)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب «إذا نزل العدو على حكم رجل»، رقم (٣٠٤٣)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، رقم (١٧٦٨).

(٣) انظر: «جلاء الأفهام» لابن القيم (ص ٢١٠، ٢١١).

(٤) انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (١/ ٦).

وهو لم يرَ النبي ﷺ لكن لقيه، فكل من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ولو لحظة ثم مات على الإسلام فهو صحابي ولو كان صغيرًا أو صبيًّا.

وإذا فُسِّرَ الآل بأتباعه على دينه يكون قد صَلَّى على الصحابة ﷺ مرتين، مرةً بالعموم ومرةً بالخصوص، فهذا تخصيص بعد تعميم.

○ قوله: «**الطَّاهِرِينَ**» فهم الذين طَهَّرَهم الله من الشِّرك والإصرار على الكبائر.

○ قوله: «**الأَتْقِيَاءِ**» جمع تقي، وهو الذي آمن بالله وأدَّى الواجبات وترك المُحَرَّمات.

○ قوله: «**صَلَاةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمِ اللِّقَاءِ**» يعني: مستمرة إلى يوم الدين، الذي يلقى كلُّ مؤمن فيه ربَّهُ ويقف بين يديه للحساب.

❁ ❁ ❁

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«اعْلَمْ - وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ لِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالنِّيَّةِ وَالْعَمَلِ، وَأَعَاذَنَا وَإِيَّاكَ مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ - أَنَّ صَالِحَ السَّلَفِ وَخِيَارَ الْخَلَفِ وَسَادَةَ الْأَئِمَّةِ وَعُلَمَاءَ الْأُمَّةِ اتَّفَقَتْ أَقْوَالُهُمْ وَتَطَابَقَتْ آرَاؤُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ ﷻ، وَأَنَّهُ أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ، حَيٌّ قَيُّومٌ، سَمِيعٌ بَصِيرٌ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَلَا عِدْلَ وَلَا مِثْلَ.

وَأَنَّهُ ﷻ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِهِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا كِتَابُهُ الْعَزِيزُ الَّذِي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، وَصَحَّ بِهَا النَّقْلُ عَنْ نَبِيِّهِ وَخِيرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ الَّذِي بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَأَقَامَ الْمِلَّةَ، وَأَوْضَحَ الْمَحَجَّةَ، وَأَكْمَلَ الدِّينَ، وَقَمَعَ الْكَافِرِينَ، وَلَمْ يَدَعْ لِمُلْحِدٍ مَجَالًا، وَلَا لِقَائِلٍ مَقَالًا».

الشَّرْح

قال **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ بعد الخطبة والثناء على الله ﷻ والصلاة على نبيه ﷺ وأتباعه: «**اعْلَمْ**»، فأمر رَحِمَهُ اللهُ بالعلم.

والمعلومات أقسام: العلم، والظَّنُّ، والوهم، والشكُّ.

العِلم: حكم الذهن الجازم بعد تصوره المطابق للواقع، ويُطلق على اليقين.

الظَّنُّ: هو الراجح من الأمرين المتردد بينهما.

الوهم: المرجوح منهما.

الشك: هو الأمر المساوي[1]، فقوله رحمه الله: «**اعْلَمْ**» أي: تيقن من غير شكٍّ ولا ظنٍّ ولا وهمٍ.

ثم جاء المؤلف رحمه الله بجملة معترضة فقال: «**وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ لِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالنِّيَّةِ وَالْعَمَلِ**» فدعا لطالب العلم.

وهذا من نصحه رحمه الله لطالب العلم، فهو تعليم ودعاء، كما قال الشيخ الإمام المُصْلِح المجدِّد **محمد بن عبد الوهاب** رحمه الله في كثير من رسائله: «اعلم رحمك الله»، فالأنبياء هم أنصح الناس للناس، والعلماء ورثة الأنبياء، فمن نُصْح العلماء أنهم يُعلِّمون ويدعون.

○ قوله: «**وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ**» سأل الله تعالى التَّوفيق له ولك يا طالب العلم «**لِمَا يُرْضِيهِ**» فسأل الله تعالى أن يجعلنا مُوفَّقِين مُسدَّدين قابلين للحقِّ مختارين له راضين به، والحقُّ هو الذي يُرضِي الله تعالى.

○ قوله: «**مِنَ الْقَوْلِ**» وهو الكلام كالنطق بكلمة التوحيد، والشهادتين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وتلاوة القرآن، والتسبيح، والتهليل، والتكبير، وغير ذلك، «**وَالنِّيَّةِ وَالْعَمَلِ**» كالصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، والنية، وكذلك الاعتقاد الصحيح في الله، وملائكته، وكُتُبه، ورُسُله، واليوم الآخر، والقدر، فهو يدعو لنفسه ولك، ويسأل الله له ولك التَّوفيق لما يُرضِيه من القول والنية والعمل.

○ قوله: «**وَأَعَاذَنَا وَإِيَّاكَ مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ**» فاستعاذ بالله لنفسه ولطالب العلم من الزَّيغ والزَّلل.

الزَّيغ: هو الانحراف عن الحقِّ في الاعتقاد، يعني: بأن يعتقد اعتقادًا باطلًا سيئًا كاعتقاد المشركين، أو اليهود، أو النصارى، أو أهل

---

(١) انظر: «أصول الفقه» لابن مفلح (١/ ٣٥)، و«البحر المحيط» للزركشي (١/ ٧٤).

البدع كاعتقاد الفلاسفة والضالين، أو الجهمية، أو الباطنية، أو الصوفية المنحرفين، أو المعتزلة، أو الأشاعرة، **والزَّلل** نوع من أنواع الانحراف، وهو تخطي الحقَّ ومجاوزته وعدم إصابته.

وهذه الجملة المعترضة من الدعاء تَصِلُ ما قبلها بما بعدها، وتجعل الدعاء بين شرطتين، فتقول: «**اعْلَمْ أَنَّ صَالِحَ السَّلَفِ وَخِيَارَ الْخَلَفِ وَسَادَةَ الْأَئِمَّةِ وَعُلَمَاءَ الْأُمَّةِ اتَّفَقَتْ أَقْوَالُهُمْ وَتَطَابَقَتْ آرَاؤُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ ﷻ، .....**».

○ قوله: «**أَنَّ صَالِحَ السَّلَفِ**» وهم الصحابة والتابعون والأئمة «**وَخِيَارَ الْخَلَفِ**» ممن تابعهم وسار على نهجهم من الأئمة والعلماء وأهل السنة والجماعة «**وَسَادَةَ الْأَئِمَّةِ**» يعني: مُقدَّمهم، والأئمة في الدين هم العلماء والمصلحون «**وَعُلَمَاءَ الْأُمَّةِ**» أي: العلماء جميعًا، فخصَّ السادة وهم مُقدَّم العلماء ثم عمَّ سائرهم.

○ قوله: «**اتَّفَقَتْ أَقْوَالُهُمْ وَتَطَابَقَتْ آرَاؤُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ ﷻ**» وإثبات وجوده، وأنه ﷻ واجب الوجود بذاته، وأنه موجود فوق العرش، وله الأسماء الحسنى والصفات العُلَى التي سمَّى أو وصف بها نفسه وسَمَّاه أو وصفه بها رُسُلُهُ عليهم الصلاة والسلام، وكذلك الإيمان بصفاته وبأفعاله، وبربوبيته وألوهيته، وأنه المعبود بالحقِّ، وأن غيره معبود بالباطل.

ويدخل في الإيمان بالله ﷻ قوله: «**وَأَنَّهُ أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ، حَيٌّ قَيُّومٌ، سَمِيعٌ بَصِيرٌ**» فكل هذا داخل في الإيمان بالله ﷻ.

○ قوله: «**وَأَنَّهُ أَحَدٌ**» أي: واحد ﷻ لا نظير له في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

○ قوله: «**فَرْدٌ**» مثل «**أَحَدٌ**» بمعنى واحد، إلَّا أن «**فَرْدٌ**» لم ترِد في

النصوص، إنما الذي ورد في النصوص: أحد وصمد(١)، فهو من باب الخبر عن الله، ولا أعلم أن كلمة «فَرْدٌ» من أسماء الله، إنما من أسماء الله الأحد والصمد.

○ وقوله: «**أَحَدٌ**» كافٍ عن «**فَرْدٌ**» لكنه ﷺ زادها من باب الخبر، ولو قال: «**أَحَدٌ صَمَدٌ**» لكان كافٍ.

○ قوله: «**صَمَدٌ**» والصمد هو السيد الذي كمل سؤدده، وهو الذي تُصْمد إليه الخلائق في حوائجها، فهو سيد في نفسه لا يحتاج إلى غيره، وقائم بنفسه ويقوم لغيره ﷻ.

ومن تفسير الصمد: الذي لا جوف له، يعني: لا يأكل ولا يشرب، والملائكة صمد لا يأكلون ولا يشربون، والله أولى بذلك من المخلوقين فهو صمد لا يحتاج إلى أحد، قائم بنفسه ويقوم لغيره، كمل سؤدده، وصمدت إليه الخلائق في حوائجها(٢).

○ قوله: «**حَيٌّ**» حياةً كاملةً أبديةً، لم يسبقها عدم، ولا يلحقها ضعف ولا نوم ولا نعاس، والحياة الكاملة باقية أبد الآباد.

○ قوله: «**قَيُّومٌ**» والمعنى: القائم بنفسه ويقوم بغيره.

والحي القيوم اسمان عظيمان ترجع إليهما جميع الأسماء والصفات، حتى قيل: إنه الاسم الأعظم(٣).

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ «لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي»** وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ «اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا» وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُئًا أَحَدٌ». أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب «يقال: لا ينون «أحد» أي: واحد»، رقم (٤٩٧٤).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٧١).

(٣) انظر: «زاد المعاد» (٤/ ١٨٧)، و«مدارج السالكين» (١/ ٤٤٦).

قال الحافظ ابن حجر: «وجملة ما وقفت عليه من ذلك أربعة عشر قولًا». «فتح الباري» (١١/ ٢٢٤، ٢٢٥).

قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية(١):

هـذا ومـن أوصـافـه الـقـيـوم والـ ... ـقـيـوم فـي أوصـافـه أمـران
إحـداهـمـا الـقـيـوم قـام بـنـفـسـه ... والـكـون قـام بـه هـمـا الأمـران
فـالأول اسـتـغـنـاؤه عـن غـيـره ... والـفـقـر مـن كـل إلـيـه الـثـانـي
والـوصـف بـالـقـيـوم ذو شـأن كـذا ... مـوصـوفـه أيـضـا عـظـيـم الـشـان
والـحـي يـتـلـوه فـأوصـاف الـكـمـا ... ل هـمـا لأفـق سـمـائـهـا قـطـبـان
فـالـحـي والـقـيـوم لـن تـتـخـلـف الـ ... أوصـاف أصـلا عـنـهـمـا بـبـيـان

○ قوله: «**سَمِيعٌ بَصِيرٌ**» وهما من أسمائه ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١].

ومعنى السميع أنه مُتَّصِفٌ بالسمع، يسمع الأصوات ويدركها، ولا يخفى عليه شيء، ومعنى البصير أنه يرى كل شيء، فهو سبحانه سميع بسمعه بصير ببصره.

○ قوله: «**لَا شَرِيكَ لَهُ**» فليس له شريك في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في ألوهيته وعبوديته وعبادته، ولا في مُلْكِهِ.

○ قوله: «**وَلَا وَزِيرَ**» والوزير هو المُعِين، أي: ليس له سبحانه مُعِين يُعِينه، بخلاف المخلوق الضعيف يحتاج إلى وزير، وملوك الدنيا يحتاجون إلى وزراء يُعِينونهم ويساعدونهم، أما الرَّبُّ فلا يحتاج إلى وزير، فهو ﷻ لا يحتاج إلى أحد، وهو كامل ﷻ بخلاف المخلوقات؛ لأن المخلوق يحتاج إلى ولد وزوجةٍ تُعِينه، وإلى وزير وأمير، وإلى خادم.

○ قوله: «**وَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ**» فلا أحد يُشْبِهُهُ لا في ذاته ولا في صفاته، وليس له نظير.

---

(١) «الكافية الشافية» (ص٢١١).

○ قوله: «**وَلَا عِدْلَ وَلَا مِثْلَ**» فلا عِدل ولا مُماثِل له، وكلها متقاربة، فليس له سبحانه مُشَابِه ولا مُماثِل، وليس له عِدل ولا مِثْل، بل هو ﷻ لا يُماثِله ولا يعدل به أحد من خلقه.

○ قوله: «**وَأَنَّهُ ﷻ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِهِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا كِتَابُهُ الْعَزِيزُ الَّذِي** ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت: ٤٢]» يعني: أن الله تعالى موصوف بصفاته التي نطق بها كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من الحكيم الحميد.

○ قوله: «**وَصَحَّ بِهَا النَّقْلُ عَنْ نَبِيِّهِ**» يعني: هو ﷻ موصوف بصفاته التي وصف بها نفسه في كتابه أو وصفه بها رسوله عليه الصلاة والسلام؛ لأن الصفات والأسماء توقيفية، فلا يخترع العباد لله أسماءً وصفاتًا من عند أنفسهم، ولهذا **قال** ؒ: «**وَأَنَّهُ ﷻ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِهِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا كِتَابُهُ الْعَزِيزُ وَصَحَّ بِهَا النَّقْلُ عَنْ نَبِيِّهِ**».

وليس من أسماء الله «القديم»؛ لأنه ما من قديم إلَّا وقبله شيء، ولأن القديم يُشعِر بالقِدم والبِلَى، ولهذا أنكر **العلماء** على **الطحاوي** قوله: «قديم بلا ابتداء»(١) قالوا: «ليس من أسماء الله القديم»(٢)، لكنه قَيَّدَهُ بقوله: «بلا ابتداء».

وجاء في النصوص اسمه «الأول»، في «صحيح مسلم»(٣) عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ**

---

(١) «العقيدة الطحاوية» (ص ١٩).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٩/ ٣٠٠)، و«بدائع الفوائد» (١/ ١٦٢)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص ١١٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٧١٣).

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ،....»، وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

و«الأول» هو الذي ليس قبله شيء، وهو يُشعر بأن كل شيء آيل إليه، أما «القديم» فليس من أسماء الله، قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس: ٣٩] فيوصف العرجون بأنه قديم لوجود العرجون الجديد، فصار قديمًا بالنسبة للجديد.

ثم ذكر رحمه الله وصفه عليه الصلاة والسلام فقال: «**وخِيرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ الَّذِي بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَأَقَامَ الْمِلَّةَ، وَأَوْضَحَ الْمَحَجَّةَ**»، والمحجَّة هي الطريق.

○ قوله: «**وَأَكْمَلَ الدِّينَ**» مقصود المؤلف رحمه الله أن الله تعالى أكمل به الدين، ولو قال رحمه الله: «وأكمل الله به الدين» لكان أحسن؛ فالذي أكمل الدين هو الله سبحانه ليس النبي ﷺ، وقد قال الله في كتابه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فالذي أكمل الدين هو الله تعالى.

○ قوله: «**وَقَمَعَ الْكَافِرِينَ**» مقصوده رحمه الله أن الله تعالى قمع بنبيه ﷺ الكافرين، وإلَّا فالذي قمعهم هو الله ﷻ، فالمعنى: قمع الله الكافرين برسالته ﷺ.

○ قوله: «**وَلَمْ يَدَعْ لِمُلْحِدٍ مَجَالًا**» والملحد هو المنحرف عن الصواب.

والإلحاد أقسام:

القسم الأول: ما كان كفرًا، كالذي ألحد في توحيد الله أو في أسمائه وصفاته، فهذا إلحاد يُخرِج من مِلَّةِ الإسلام.

القسم الثاني: ما كان دون الكفر، كالإلحاد بالمعاصي وبالبدع، وكالإلحاد في نفي بعض الصفات والأسماء.

ولم يَدَع النبي ﷺ لِمُلْحِدٍ مجالًا ولا لقائل مقالًا؛ لأنه عليه الصلاة والسلام بلَّغ الرسالة، ونصح الأمة، وأقام المِلَّةَ، وأوضح المحجَّة، وكَمُلَ به الدين، فالشريعة قد كَمُلَت وهي واضحة ليس فيها لبس، فلا مجال لمُلْحِدٍ ولا لقائلٍ يُرِيد أن يزيد في هذا الدين أو ينقص منه أو يُحرِّف أو يؤول.

❁ ❁ ❁

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَرَوَى طَارِقُ بْنُ شِهَابٍ قَالَ: جَاءَ يَهُودِيٌّ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهِ عَنْهُ فَقَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ يَهُودَ نَزَلَتْ نَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا»، قَالَ: «أَيُّ آيَةٍ؟»، قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فَقَالَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ وَالْمَكَانَ، نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَنَحْنُ بِعَرَفَةَ عَشِيَّةَ جُمُعَةٍ».

الشَّرح

هذا الأثر رواه الشيخان البخاري ومسلم في «صحيحهما»[1] اللذين هما أصح الكُتُب بعد كتاب الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾؛ **فيها**: بيان أن الدين قد كَمُلَ، وأن الله تعالى أتمَّ النعمة على هذه الأمة، وأنه رضي لهم الإسلام دينًا، وهذا الدين كامل لا يحتاج إلى أن يزيد فيه أحد أو ينقص منه.

وهو محفوظ أيضًا بحفظ الله تعالى له، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] **وفيها**: ردٌّ على **الرافضة** الذين يقولون: «إن القرآن طار ثلثاه ولم يبقَ إلَّا الثلث»، وألَّف بعض شيوخهم وهو **النوري الطبرسي** كتابًا سَمَّاه «فصل الخطاب في إثبات

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «زيادة الإيمان ونقصانه»، رقم (٤٥)، ومسلم، كتاب التفسير، رقم (٣٠١٧).

تحريف كتاب رب الأرباب»، وأثبت أن القرآن مُحَرَّفٌ - نعوذ بالله -، وهذا مصادم لقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وتكذيب لله تعالى في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] وهي صريحة قاطعة، ومن كَذَّبَ اللهَ كَفَرَ.

إذًا، فهذا الدين كامل لا يحتاج إلى حذلقة مُتحذلق أو إلى أن يزيد أحد فيه أو ينقص منه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] من آخر ما نزل في سورة المائدة.

ولمَّا أكمل الله تعالى الدين وأتمَّ النعمة قبض نبيه عليه الصلاة والسلام؛ لأنها انتهت مهمته من الدنيا، وأنزل عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ١-٣][(١)].

○ قوله: «**فَقَالَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ وَالْمَكَانَ، نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَنَحْنُ بِعَرَفَةَ عَشِيَّةَ جُمُعَةٍ**»»، و«**عَشِيَّةَ جُمُعَةٍ**» يعني: آخر النهار، معلوم أن النبي ﷺ وقف بعرفة بعد ما صلى الظهر، فهي عشية عظيمة مباركة، فاليوم الذي نزلت فيه يوم عرفة وكان يوم جمعة، والمكان عرفة، قبل وفاة النبي ﷺ بما يُقارِب ثمانين يومًا.

نزلت هذه الآية في يوم الحج الأكبر يوم عرفة، وهو يوم عيد ويوم عظيم؛ يجتمع فيه الحجاج في صعيد واحد من أقطار الدنيا كلها، وصادف يوم عرفة يوم الجمعة وهو يوم عيد، فالحجة التي حجها النبي ﷺ كان يوم عرفة في يوم جمعة، ونزلت عليه هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب «منزل النبي ﷺ يوم الفتح»، رقم (٤٢٩٤).

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣]، فنزلت في يوم عيد ونحن نتخذه عيدًا، والحمد لله.

وقول اليهودي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ يَهُودَ نَزَلَتْ نَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا**» يدل على أنهم يعلمون الحقَّ لكن حملهم البغي والحسد والكبر والبغي على عدم الإيمان، فهم يعرفون الحقَّ لكنهم لم يُوفَّقُوا لاتباعه، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البَقَرَة: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البَقَرَة: ٨٧]، وظنوا أن النبوة ستكون في بني إسرائيل، فلمَّا كانت في بني إسماعيل جحدوا وكفروا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٨٩] نسأل الله السَّلامة والعافية، ونعوذ بالله من زيغ القلوب.

❁ ❁ ❁

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَآمَنُوا بِمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ وَصَحَّ عَنْ نَبِيِّهِ، وَأَمَرُّوهُ كَمَا وَرَدَ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِكَيْفِيَّةٍ، أَوْ اعْتِقَادِ شُبْهَةٍ أَوْ مِثْلِيَّةٍ، أَوْ تَأْوِيلٍ يُؤَدِّي إِلَى التَّعْطِيلِ، وَوَسِعَتْهُمُ السُّنَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، وَالطَّرِيقَةُ الْمُرْضِيَةُ، وَلَمْ يَتَعَدَّوْهَا إِلَى الْبِدْعَةِ الْمُرْدِيَةِ الرَّدِيَّةِ، فَحَازُوا بِذَلِكَ الرُّتْبَةَ السَّنِيَّةَ، وَالْمَنْزِلَةَ الْعَلِيَّةَ».

الشَّرح

يقول **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: **«فَآمَنُوا بِمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ وَصَحَّ عَنْ نَبِيِّهِ»** يُشير إلى صالح السلف وخيار الخلف وسادة الأئمة وعلماء الأمة؛ **قال**: **«اعْلَمْ - وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ لِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالنِّيَّةِ وَالْعَمَلِ، وَأَعَاذَنَا وَإِيَّاكَ مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ - أَنَّ صَالِحَ السَّلَفِ وَخِيَارَ الْخَلَفِ وَسَادَةَ الأَئِمَّةِ وَعُلَمَاءَ الأُمَّةِ اتَّفَقَتْ أَقْوَالُهُمْ وَتَطَابَقَتْ آرَاؤُهُمْ عَلَى الإِيمَانِ بِاللهِ ﷻ...»** ثم **قال**: **«فَآمَنُوا»**، فالضمير يعود إليهم، يعني: أن صالح السلف وخيار الخلف وسادة الأئمة وعلماء الأمة اتفقت أقوالهم وتطابقت آراؤهم على الإيمان بالله ﷻ فآمنوا بما قال الله سبحانه في كتابه وصحَّ عن نبيه، يعني: آمنوا بما جاء في الكتاب العزيز وبما صحَّ في السنة النبوية المُطهَّرة.

○ قوله: **«وَأَمَرُّوهُ كَمَا وَرَدَ»** أي: نصوص الصفات أمرُّوها كما وردت، وأمَّا نصوص الأحكام فهم يعلمونها ويُفسِّرُونها ويؤولونها على تأويلها الذي دلت عليه النصوص، أما نصوص الصفات فإنهم أمرُّوها كما وردت **«مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِكَيْفِيَّةٍ»** فالاستواء والنزول والعلم والقدرة

والسمع والبصر وغيرها كلها يمرُّونها كما جاءت.

○ قوله: «**أَوْ اعْتِقَادِ شِبْهه أَوْ مِثْلِية**» وفي بعض النسخ «شبهه أو مثيله» فيثبتون المعنى من غير تعرُّض لكيفية أو اعتقاد شِبْهه أو مِثْليَّة، فلا يقولون: إن استواء الله كيفيته كذا، أو يُشبه كذا، أو مِثل كذا، فلا يتعرضون للكيفية ولا للتشبيه ولا للمثلية.

○ قوله: «**أَوْ تَأْوِيلٍ يُؤَدِّي إِلَى التَّعْطِيلِ**» كذلك لا يؤولون، فلا يؤولون ﷺ بمعنى استولى؛ لأن هذا التأويل يُؤدِّي إلى تعطيل الصفة ونفيها.

واسم «المعطِّلة» عام لكل من عَطَّلَ الرَّبَّ ﷻ.

والتعطيل أنواع:

النوع الأول: تعطيل كُليّ، كتعطيل المصنوعات من صانعها، **فيقولون**: هذه المخلوقات ليس لها خالق، وهذه المصنوعات ليس لها صانع، فعطَّلوها من خالق وصانع فأنكروا بذلك وجود الرَّبِّ كالملاحدة من **الشيوعيين والدهريين** وغيرهم فيُقال لهم: «مُعطِّلة»، وهؤلاء تعطيلهم كامل.

النوع الثاني: تعطيل الخالق من صفاته، كالذين نفوا الأسماء والصفات **كالجهمية** فهم مُعطِّلة أيضًا؛ لأنهم عطَّلوا الله من الأسماء والصفات فهؤلاء ملاحدة أيضًا؛ لأن إنكار الأسماء والصفات إنكار لوجود الرَّبِّ، فليس هناك شيء موجود إلَّا بأسماء وصفات، والذي ليس له اسم ولا صفة لا وجود له، بخلاف **المعتزلة**؛ لأنهم عطَّلوا الرَّبَّ من صفاته، **والأشاعرة**؛ لأنهم عطَّلوا الله من بعض الصفات فينفون بعض الصفات وأثبتوا الأسماء.

والمعطِّلة أنواع على حسب التعطيل، **منهم**: الكافر، **ومنهم**:

المبتدع.

فالسلف رحمهم الله لا يُكيِّفُون صفة الاستواء، ولا يُشبِّهُونها، ولا يُمثِّلُونها، ولا يُحرِّفُونها بما يُؤدِّي إلى تعطيل الصفة ونفيها.

وفرق بين من جحد الصفة وبين من تأوَّلها، فمن أنكر الصفة وجحدها بعد معرفتها كمن أنكر الاستواء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فهذا يكفر؛ لأنه أنكر من المعلوم من الدين بالضرورة وكَذَّبَ الله، أما من أوَّلَ الصفة بشُبْهَة فهذا لا يكفر، فالذي يقول: «أنا أثبت الاستواء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ولكن معناه استولى» وذلك بشُبْهَة حصلت له فهذا لا يكفر؛ لأنه مُتأوِّل، بخلاف من يُنكر الاستواء؛ فهذا كَذَّبَ الله، ومن كَذَّبَ الله كَفَرَ، ففرق بين الجاحد وبين المتأوِّل، فالجاحد أنكر والمُنْكِر يكفر، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، فمن جحد اسمًا من أسماء الله أو صفة من صفاته كَفَرَ، ومن تأوَّلها بشُبْهَة فلا يكفر؛ لأنه له شُبْهَة يُعْذَر بها.

○ قوله: «**وَوَسِعَتْهُمُ السُّنَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ**» يعني: اكتفوا بالسنة المحمدية التي جاء بها محمد ﷺ.

○ قوله: «**وَالطَّرِيقَةُ الْمُرْضِيَةُ**» هي الطريقة التي رضيها الله لعباده، ورضيها الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

○ قوله: «**وَلَمْ يَتَعَدَّوْهَا إِلَى الْبِدْعَةِ**» في «الصحيحين»(١) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»، وفي لفظ لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب «إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود»، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).

رَدٌّ»[(١)]، والبدعة: ما أُحْدِثَ في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل، فهم رحمهم الله لم يتجاوزوا السنة إلى البدعة.

ووصف البدعة بقوله: «الْمُرْدِيَةِ الرَّدِيَّةِ» يعني: تُرْدِي صاحبها فتوصله إلى الرَّدَى، فهي مُرْدِيَةٌ في نفسها وتُرْدِي صاحبها.

○ قوله: «فَحَازُوا بِذَلِكَ الرُّتْبَةَ السَّنِيَّةَ، وَالْمَنْزِلَةَ الْعَلِيَّةَ» يعني: لمَّا آمن الصحابة والتابعون والأئمة والعلماء بما جاء عن الله ورسوله ﷺ ولم يُكيِّفُوا الصفات أو يؤولوها، ولم يبتدعوا، ولم يوافقوا أهل البدعة حازوا بذلك الرُّتْبة السُّنيَّة الشريفة والمنزلة العليَّة أي العالية، فأعد الله لهم وأثابهم الثواب العظيم، ورفع درجاتهم ومنزلتهم في الجنة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

❖ ❖ ❖

ثم تكلم المؤلف رحمه الله عن الصفات، وبدأ بصفة الاستواء، وهي من الصفات التي اشتد النزاع فيها بين أهل السنة وأهل البدع، وساق النصوص في هذا.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَمِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ وَنَطَقَ بِهَا كِتَابُهُ وَأَخْبَرَ بِهَا نَبِيُّهُ: أَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِي سُورَةِ «الْأَعْرَافِ»: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ «يُونُسَ»** عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ «الرَّعْدِ»:** ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ ﴿طه﴾:** ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ «الْفُرْقَانِ»:** ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ «السَّجْدَةِ»:** ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ «الْحَدِيدِ»:** ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، **فَهَذِهِ سَبْعَةُ مَوَاضِعَ أَخْبَرَ اللهُ فِيهَا سُبْحَانَهُ أَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ».**

الشرح

بدأ **المؤلف** رحمه الله في الكلام على الصفات بصفة الاستواء على العرش، وبعدها صفة العُلُوّ.

وفرق بين الاستواء والعُلُوِّ:

الفارق الأول: الاستواء من الصفات الفعلية، **والعُلُوُّ** من الصفات الذاتية.

والصفات الفعلية هي التي تتعلَّق بالمشيئة والاختيار، مثل: الغضب، والرضا، والنزول، فمتى شاء غضب، ومتى شاء رضي،

ومتى شاء نزل.

وكذلك **الاستواء** فكان في وقت مستويًا وفي وقت ليس مستويًا، قبل خلق السماوات والأرض لم يكن مستويًا على العرش، ثم استوى على العرش.

والصفات الذاتية هي التي لا ينفك عنها الباري ﷻ، مثل: العُلُوُّ، فلا يُقال: إنه في وقت عالٍ وفي وقت ليس عاليًا، بل هو سبحانه في جميع الأوقات عالٍ على خلقه.

الفارق الثاني: أن كلا منهما ـ صفة الاستواء وصفة العُلُوِّ ـ في إثبات عُلُوِّ الله ﷻ، إلا أن **صفة الاستواء** تدل على عُلُوٍّ خاصٍّ وهو العُلُوُّ على العرش والله أعلم بكيفيته، **وصفة العُلُوِّ** تدل على إثبات عُلُوِّ الله على خلقه ومنها العرش.

الفارق الثالث: صفة الاستواء إنما دل عليها النص والنقل ولم يدل عليها العقل، فلولا أن الله تعالى أخبرنا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أنه استوى على العرش لما علمنا ذلك، بخلاف **صفة العُلُوِّ** فإنه قد دل عليها العقل والنقل والفطرة، فطر الله الخلائق على أن الله في العُلُوِّ، حتى البهائم العجماوات ترفع رأسها إلى السماء(١).

وصفة العُلُوِّ من الصفات التي اشتد النزاع فيها بين **أهل السنة وأهل البدع**، وهي من العلامات الفارقة بينهما، فصفة العُلُوِّ وصفة الكلام وصفة الرؤية هذه الصفات الثلاث من العلامات الفارقة بينهما، فمن أثبتها فهو من **أهل السنة**، ومن نفاها فهو من **أهل البدع**.

ودلت النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على صفة الاستواء على العرش.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٢٧).

أما الكتاب العزيز فإن الله أثبت صفة الاستواء على العرش في سبعة مواضع من كتابه، وسردها المؤلف رحمه الله.

○ قوله: «**فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِي سُورَةِ «الْأَعْرَافِ»**: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ «يُونُسَ»** عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ «الرَّعْدِ»**: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ ﴿طه﴾**: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ «الْفُرْقَانِ»**: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ «السَّجْدَةِ»**: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ «الْحَدِيدِ»**: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]» وتعدى ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ بـ﴿عَلَى﴾ التي تدل على العُلُوِّ والارتفاع.

ويأتي الاستواء متعديًا بـ﴿إِلَى﴾ كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] وهي تدل على العُلُوِّ، وأحيانًا يتعدى بالواو التي تُفِيد المعية مثل: استوى الماء والخشبة.

○ قوله: «**فَهَذِهِ سَبْعَةُ مَوَاضِعَ أَخْبَرَ اللهُ فِيهَا سُبْحَانَهُ أَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ**» فهي سبعة مواضع في القرآن العظيم لا ثامن لها، كلها جاءت بلفظ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ بـ﴿عَلَى﴾ التي تدل على العُلُوِّ والارتفاع.

وهذه المواضع السبعة كلها صريحة في عُلُوِّ الرَّبِّ على العرش وعلى خلقه، والعرش سقف المخلوقات وتنتهي المخلوقات إليه، والله فوق العرش بعد نهاية المخلوقات، وليس فوقه شيء(١).

(١) انظر: «مجموع الفتاوى»، (٦/٥٨١)، (٢٥/١٩٨).

وأدلة عُلُوِّ الرَّبِّ على خلقه كثيرة، أفرادها تزيد على ثلاثة آلاف دليل، سبعة أفراد منها فيها التصريح بأن الله استوى على العرش ومع ذلك ينكرها **أهل البدع**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما ظهرت **الجهمية** المُنْكِرة لمباينة الله وعُلُوِّهِ على خلقه افترق الناس في هذا الباب على أربعة أقوال:

فالسلف والأئمة يقولون: إن الله فوق سماوته مستوٍ على عرشه بائن من خلقه كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وكما عُلِمَ المباينة والعُلُوِّ بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه من إقرارهم به وقصدهم إياه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

القول الثاني: قول **مُعطِّلة الجهمية ونفاتهم**، وهم الذين يقولون: لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا محايث له، فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود عن أحدهما، كما يقول ذلك **أكثر المعتزلة ومن وافقهم من غيرهم**.

القول الثالث: قول **حلولية الجهمية** الذين يقولون إنه بذاته في كل مكان، كما يقول ذلك **النجارية** أتباع **حسين النجار وغيرهم من الجهمية**.

القول الرابع: قول من يقول إن الله بذاته فوق العالم، وهو بذاته في كل مكان، وهذا قول **طوائف من أهل الكلام والتصوف كأبي معاذ وأمثاله**»[1].

❀ ❀ ❀

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٢٩٧ ـ ٢٩٩) باختصار.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ عز وجل كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»».

الشَّرح

استدل **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ على إثبات الاستواء من الكتاب العزيز بسبعة مواضع، واستدل رَحِمَهُ اللَّهُ بنصوص من السنة.

○ قوله: «**وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ عز وجل كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ**»، وهو في «الصحيحين»(١)، وهو حديث قدسي أضافه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربِّهِ تبارك وتعالى، وقُصِدَ بالحديث القدسي قُدسيَّة الله تعالى.

○ قوله: «**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**» هذا من كلام الله لفظًا ومعنى مثل القرآن، إلَّا أن **القرآن** له أحكام تختلف، **منها**:

أنه لا يمسه إلَّا متوضئ.

أنه مُتعبَّد بتلاوته.

أنه مُعْجِز في ألفاظه.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾ [الطور: ١-٢]»، رقم (٧٥٥٤)، ومسلم، كتاب التوبة، رقم (٢٧٥١).

أما **الحديث القدسي** فليس له ذلك وإن كان من كلام الله.

وأما **الحديث غير القدسي** فهو من كلام النبي ﷺ لفظًا ومن الله معنى، قال تعالى عن نبيه الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤].

والشاهد منه: قوله ﷺ: «**فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ**»، إذًا الله تعالى فوق العرش والكتاب عنده، وهذا صريح في إثبات الفوقِيَّة.

ويدل الحديث على صفات أخرى أيضًا، يدل على صفة الكتابة في قوله: «**إِنَّ اللهَ ﷻ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ...**»، وعلى صفة الرحمة والغضب في قوله: «**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»، فيدل الحديث على أربع صفات:

الصفة الأولى: الكتابة.

الصفة الثانية: الرحمة.

الصفة الثالثة: الغضب.

الصفة الرابعة: الفوقِيَّة.

جاءت نصوص كثيرة دلت على أن العرش هو سقف المخلوقات وليس فوقه شيء، والله فوق العرش، وفي هذا الحديث «**فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ**»، فكيف الجمع بينهما؟

• **الجواب**: الجمع بينهما أن يُقال: «هذا مستثنى»، فالنصوص عامة في أن العرش سقف المخلوقات، وهذا الكتاب مستثنى فهو فوق العرش، والخاص عند أهل العلم يقضي على العام.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِالْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ذَكَرَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمَا بَيْنَهَا، ثُمَّ قَالَ: «وَفَوْقَ ذَلِكَ بَحْرٌ بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ كَمَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ مَا بَيْنَ أَظْلَافِهِنَّ وَرُكَبِهِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ظُهُورِهِنَّ الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَه الْقَزْوِينِيُّ».

الشَّرح

هذا هو الدليل الثاني من أدلة السنة التي استدل بها **المؤلف** رحمه الله على عُلُوِّ الله سبحانه على العرش وعلى جميع المخلوقات، وهو حديث العباس بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم.

والحديث رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد عن سماك ابن حرب، عن عبدالله بن عميرة، عن الأحنف، عن العباس به[(١)].

وإسناده ضعيف جدًّا؛ تفرَّد به **سماك عن عبدالله، وعبدالله** فيه جهالة[(٢)] وعبدالله بن عميرة لا يعلم له سماع من **الأحنف**[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في الجهمية»، رقم (٤٧٢٣)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة الحاقة»، رقم (٣٣٢٠)، وابن ماجه، في المقدمة، باب «فيما أنكرت الجهمية»، رقم (١٩٣)، وأحمد (١/ ٢٠٦).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) «العلو للعلي الغفار» (ص ٦٠).
وقال في «ميزان الاعتدال» (٤/ ١٥٧، ١٥٨): «**عبد الله بن عميرة فيه جهالة، قال البخاري**: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس، له عنه عن العباس حديث المزن والعنان، رواه عنه سماك بن حرب، ورواه عن سماك الوليد بن أبي ثور وجماعة، ورواه أيضًا يحيى بن العلاء وهو واهٍ عن عمه شعيب بن خالد عن سماك».

(٣) «ضعفاء العقيلي» (٢/ ٢٨٤).

○ قوله: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمَا بَيْنَهَا**» وبين كل سماء وسماء مسيرة خمس مئة عام[(١)] «**ثُمَّ قَالَ: وَفَوْقَ ذَلِكَ**» أي: فوق السماء السابعة «**بَحْرٌ بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ كَمَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ**» يعني: مسيرة خمس مئة عام، «**ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ**» وهم ملائكة صفتهم على خلق الأوعال[(٢)] يحملون العرش، «**مَا بَيْنَ أَظْلَافِهِنَّ وَرُكَبِهِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ**» يعني: ما بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء إلى سماء، «**ثُمَّ فَوْقَ ظُهُورِهِنَّ الْعَرْشُ، مَا بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ**» يعني: مسيرة خمس مئة عام، «**وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ**».

وقد أشار **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ في «الكافية الشافية» وتكلَّم على قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: ٤]، وقوله في سورة السجدة: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥]، **فقال** رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]:

ولقد أتى في سورتين كلاهما	**اشتملا على التقدير بالأزمان**
في سورة فيها المعارج قدرت	**خمسين ألفا كامل الحسبان**
وبسجدة التنزيل ألفا قدرت	**فلأجل ذا قالوا هما يومان**
يوم المعاد بذي المعارج ذكره	**واليوم في تنزيل في ذا الآن**
وكلاهما عندي فيوم واحد	**وعروجهم فيه إلى الديان**
فالألف فيه مسافة لنزولهم	**وصعودهم نحو الرفيع الداني**
هذي السماء فإنها قد قدرت	**خمسين في عشر وذا صنفان**

---

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» رقم (٨١) موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه.
قال الهيثمي: «رواه الطبراني في «الكبير»، ورجاله رجال الصحيح». «مجمع الزوائد» (١/ ٨٦).

(٢) وهم تيوس الجبل، واحدها وعِل بكسر العين. «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٥/ ٢٠٦)

(٣) «نونية ابن القيم» (ص ٧٥).

لكنما الخمسون ألف مسافة السبع الطباق وبعد ذي الأكوان
من عرش رب العالمين إلى الثرى عند الحضيض الأسفل التحتاني
واختار هذا القول في تفسيره البغوي ذاك العالم الرباني
ومجاهد قد قال هذا القول لكن ابن اسحاق الجليل الشان
قال المسافة بيننا والعرش ذا المقدار في سير من الإنسان

فالقول الأول أن آية السجدة في الدنيا، وآية المعارج في الآخرة.

القول الثاني أنهما جميعا في الدنيا، فأما آية السجدة فهي في الأمر ينزل من الله ﷺ ثم يصعد إليه، ومقدار ذلك ألف سنة.

وأما آية المعارج فهي في الدنيا مقداره خمسون ألف سنة من العرش إلى الأرض السفلى.

وقد اختار المحققون من أهل العلم القول الأول، وابن القيم اختار أولا القول الثاني، ثم في آخر الفصل من النونية توقف في المسألة فقال:

هذا وما اتضحت لدي وعلمها المـ ـوكول بعدُ لمنزل القرآن
وأعوذ بالرحمن من جزم بلا علم وهذا غاية الإمكان
والله أعلم بالمراد بقوله ورسولُه المبعوث بالفرقان

والصواب: القول الأول، أنهما يومان، وأن الألف هي في الدنيا، والخمسين ألفا في الآخرة، وهي الذي تدل عليه النصوص، كأول سورة المعارج، وكحديث تعذيب مانع الزكاة يقول في الحديث الصحيح: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْإِبِلُ؟ قَالَ: «**وَلَا**

صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»(١).

والشاهد من الحديث: قوله ﷺ **«وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ»** أي: أن العرش سقف المخلوقات، وهو فوق ظهور الأوعال، والله فوق ذلك كله.

وفيه: إثبات العُلُوِّ.

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، رقم (٩٨٧).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ، وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ»».

الشَّرح

هذا الأثر مروي عن أم سلمة رضي الله عنها والإمام مالك بن أنس رحمه الله.

روى أثر أم سلمة رضي الله عنها ابن بطة في «الإبانة»[1] واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[2]، وغيرهما.

قال الإمام الذهبي رحمه الله: «فأما عن أم سلمة فلا يصح»[3] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه»[4].

وروى أثر مالك بن أنس رحمه الله اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[5] وأبو نعيم في «حلية الأولياء»[6] والبيهقي في «الاعتقاد»[7] و«الأسماء والصفات»[8]، وغيرهم.

(١) «الإبانة» رقم (١٢٠).
(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٦٦٣).
(٣) «العلو للعلي الغفار» (ص ٨١).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٥).
(٥) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٦٦٤).
(٦) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٥، ٣٢٦).
(٧) «الاعتقاد» (ص ١١٦).
(٨) «الأسماء والصفات» (٢/ ٤١٠).

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا ثابت عن مالك»[(١)].

○ قوله: «**الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ**» يعني: غير مجهول معناه في اللغة العربية، فالاستواء معلوم؛ لأن الله تعالى أمر بتدبر معاني القرآن والتفكر فيه، ولم يستثنِ شيئًا، فلم يقل: «آية الاستواء هذه لا تفهمونها»، بل قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

○ قوله: «**وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ**» يعني: كيفية استواء الرَّبِّ لا تُعقل ولا تُعرف.

○ قوله: «**وَالْإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ**» يعني: يجب على الإنسان أن يُقِرَّ بأن الله استوى على العرش.

○ قوله: «**وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ**»؛ لأنه إنكار لكلام الله ﷻ.

وأخرج البيهقي[(٢)] من طريق أبي الربيع قال: سمعت عبدالله بن وهب يقول: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل، فقال: «يا أبا عبدالله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥] كيف استواؤه؟»، قال: فأطرق مالك وأخذته الرحضاء[(٣)] ثم رفع رأسه، فقال: «﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال: «كيف؟»، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أَخْرِجُوهُ»، قال: «فَأُخْرِجَ الرجل».

---

(١) «العلو للعلي الغفار» (ص ٤٠٧).

(٢) «الأسماء والصفات» (٢/ ٤٠٩).

(٣) هو عرق يغسل الجلد لكثرته، وكثيرًا ما يُستعمل في عرق الحمى والمرض. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٢٠٨).

قال الإمام الذهبي رحمه الله عنه: «وساق البيهقي بإسناد صحيح عن أبي الربيع...»[١] وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبدالله بن وهب...»[٢].

وهذا الجواب من **مالك** رحمه الله في الاستواء شافٍ كافٍ في جميع الصفات مثل النزول والمجيء واليد والوجه وغيرها[٣]، وهذا يُقال في جميع الصفات ليس خاصًّا بالاستواء.

إذا قال قائل: «كيف النزول؟»، **نقول**: «النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، **وإذا قال قائل**: «يتصف الله تعالى بالعلم، كيف العلم؟»، **نقول**: «العلم معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، فهذا عام في جميع الصفات، وتلقى العلماء رحمهم الله هذه المقالة عن الإمام مالك رحمه الله بالقبول.

❁ ❁ ❁

(١) «العلو للعلي الغفار» (ص ١٣٨).
(٢) «فتح الباري» (١٣/٤٠٧).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى».

الشَّرْح

بدأ **المؤلف** رحمه الله بصفة **الاستواء** ثم ثنى بصفة **العُلُوِّ**، ولها أدلة خاصة؛ لأن **الاستواء** عُلُوٌّ خاصٌّ فلهذا ذكر سبعة أدلة من القرآن تثبت **الاستواء**، ثم بعد ذلك ذكر الأدلة التي تثبت **العُلُوَّ**.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه صحيح، رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[(١)].

وهو دليل من السنة على ثبوت صفة العُلُوِّ لله عز وجل.

○ قوله: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**» قسم، والنبي صلى الله عليه وسلم هو الصادق وإن لم يُقْسِمْ، لكن لتأكيد المقام.

ونفوس العباد كلها بيد الله تعالى، **وفيه**: إثبات اليد لله عز وجل.

○ قوله: «**مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ**»، والذي في السماء: الملائكة، والله تعالى فوق ذلك، فالله تعالى فوق العرش.

وإذا أُطْلِقَتِ «السماء» فالمراد بها جهة العُلُوِّ، وكل ما علا فوق

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب «إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها»، رقم (٥١٩٣)، ومسلم، كتاب النكاح، رقم (١٤٣٦) ـ واللفظ له ـ.

رأسك فهو عُلُوٌّ، والله تعالى له أعلى العُلُوِّ، وهو فوق العرش الذي في السماء، وليس المراد «**في السماء**» الطباق المبنية، وإذا أُرِيد بـ «السماء» الطباق المبنية فتكون «في» بمعنى على، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]والمعنى: أأمنتم من على السماء؟!، فقوله: «**إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى**» وهم الملائكة، والرَّبُّ ﷻ فوق ذلك.

وفيه: إثبات صفة السخط لله ﷻ، وهي من الصفات الفعلية، وإثبات صفةِ العُلُوِّ.

والحديث يدل على أن امتناع المرأة من فراش زوجها بغير سبب من كبائر الذنوب؛ لأنه أثبت أن الله يسخط عليها، وفي لفظ البخاري: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**».

۞ ۞ ۞

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ مَنْ فِي السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟!»».

الشَّرح

الحديث صحيح، رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»(١).

واستدل به المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ على صفة العُلُوِّ، وأن الله في العُلُوِّ فوق المخلوقات.

وجه الدلالة: في موضعين:

الأول: قوله: **«أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»**.

الثاني: قوله: **«يَأْتِينِي خَبَرُ مَنْ فِي السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟!»**.

والمراد بـ«السماء»: العُلُوُّ، والله تعالى له أعلى العُلُوِّ، وهو فوق العرش، وهذا دليل على صفة العُلُوِّ.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب «بعث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن قبل حجة الوداع»، رقم (٤٣٥١)، ومسلم، كتاب الزكاة، رقم (١٠٦٤).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ لِجَارِيَتِهِ: «أَيْنَ اللهُ؟»، قَالَتْ: «فِي السَّمَاءِ»، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟»، قَالَتْ: «أَنْتَ رَسُولُ اللهِ»، قَالَ: «اعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رَوَاهُ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَأَبُو عَبْدِالرَّحْمَنِ النَّسَائِيِّ.

وَمَنْ أَجْهَلُ جَهْلًا وَأَسْخَفُ عَقْلًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا مِمَّنْ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ «أَيْنَ اللهُ»؟» بَعْدَ تَصْرِيحِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ بِقَوْلِهِ: «أَيْنَ اللهُ؟»؟!».

الشرح

حديث معاوية رضي الله عنه رواه الإمام مسلم في «صحيحه»، وأبو داود، والنسائي، وكذا أحمد[١].

وفيه: عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ[٢] فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً[٣]، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟»، قَالَ: «**ائْتِنِي بِهَا**» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ**

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٣٧)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب «تشميت العاطس في الصلاة»، رقم (٩٣٠)، والنسائي، كتاب السهو، باب «الكلام في الصلاة»، (٣/ ١٤ ـ ١٨)، وأحمد (٥/ ٤٤٧).

(٢) الجوانية بقرب أُحُدٍ موضع في شمالي المدينة. شرح النووي على «صحيح مسلم» (٥/ ٢٣)

(٣) أي: لطمتها. شرح النووي على «صحيح مسلم» (٥/ ٢٤).

اللهُ؟»، قَالَتْ: «فِي السَّمَاءِ»، قَالَ: «**مَنْ أَنَا ؟**»، قَالَتْ: «أَنْتَ رَسُولُ اللهِ»، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»، استدل ﷺ بذلك على إيمانها؛ لأنها أثبتت أن الله في العُلُوِّ.

وأهل البدع كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة يؤولون هذا الحديث، وهو غُصَّة في حلوقهم؛ لأن كلمة «أين» إنما يُسأل بها عن المكان، فقوله: «أين الله ؟» أي: أين مكانه، **فقالوا**: لا يمكن أن يُسأل عن الله بـ«أين»؛ لأنه لو سألتَ عنه بـ«أين» لكان فيه تحديد المكان، وإذا كان الله في جهة العُلُوِّ صار محدودًا ومتحيِّزًا وجسمًا وهذا كفر **عندهم**(١)، **والله عندهم** ليس له مكان، بل هو ذاهب في جميع الجهات، في كل مكان ـ نعوذ بالله ـ.

حتى أنهم خطَّؤوا النبي ﷺ في سؤاله الجارية، **فقالوا**: سأل الرسول عليه الصلاة والسلام سؤالًا فاسدًا، ولم يقصد أن يقول: «أين الله ؟»، بل قصده أن يقول: «مَنِ الله؟»؛ فهذه جارية أعجمية لا تفهم فخاطبها على قدر عقلها وفهمها.

وقالوا: أقرَّها ﷺ على جوابها الفاسد بقوله: «**إنها مؤمنة**» لمَّا أجابت بقولها «في السماء»، فالسؤال فاسد والجواب فاسد(٢).

وهكذا اتهموا الرسول ﷺ ـ والعياذ بالله ـ، **قالوا**: سأل ﷺ سؤالًا فاسدًا لأنها جارية أعجمية لا تفهم فأراد أن يسألها سؤالًا يُناسب عقلها ولو كان فاسدًا، وأقرَّها على الجواب الفاسد على مقدار

---

(١) انظر: «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد» (١/٤٨٨)، و«الحجة في بيان المحجة» لأبي القاسم التيمي (٢/١١٨)، و«مجموع الفتاوى» (٥/٣١٩).

(٢) **قال الذهبي**: «**ففي الخبر مسألتان: إحداهما**: شرعية قول المسلم «أين الله؟»، **وثانيهما**: قول المسؤول «في السماء»، فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى ﷺ». «العلو للعلي الغفار» (ص ٢٨).

ما تفهم، فهو ﷺ قصده أن يقول: «مَنِ الله؟» لا «أين الله؟».

أيعجز ﷺ أن يقول: «من الله؟» وهو أفصح الناس؟!، ولهذا ردَّ **المؤلف** رحمه الله عليهم فقال: «**وَمَنْ أَجْهَلُ جَهْلًا وَأَسْخَفُ عَقْلًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا مِمَّنْ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ «أَيْنَ اللهُ»؟»** بَعْدَ تَصْرِيحِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ بِقَوْلِهِ: «أَيْنَ اللهُ»؟!»، وصاحب الشريعة هو الرسول ﷺ.

ردَّ المؤلف رحمه الله عليهم بقوله: «**وَمَنْ أَجْهَلُ جَهْلًا وَأَسْخَفُ عَقْلًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا مِمَّنْ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ «أَيْنَ اللهُ»؟»** بَعْدَ تَصْرِيحِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ بِقَوْلِهِ: «أَيْنَ اللهُ»؟!»، كيف تتهم الرسول عليه الصلاة والسلام؟!، أتتهمون الرسول ﷺ بأنه مُلبِّس وأنه يسأل سؤالًا فاسدًا ويُقِرُّ على جواب فاسد؟!، فأين الإيمان؟!.

فانظر كيف وصل اتباع الهوى ـ والعياذ بالله ـ وتحريف النصوص إلى هذا الحدِّ؟! ـ نسأل الله السَّلامة والعافية، ونعوذ بالله من زيغ القلوب ـ.

❁ ❁ ❁

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رضي الله عنها تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ».

الشَّرح

حديث أنس رضي الله عنه أخرجه البخاري في «صحيحه»(١).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «وكان سبب نزول هذه الآيات أن الله تعالى أراد أن يشرع شرعًا عامًّا للمؤمنين أن الأدعياء ليسوا في حكم الأبناء حقيقة من جميع الوجوه، وأن أزواجهم لا جناح على من تبناهم في نكاحهن، وكان هذا من الأمور المعتادة التي لا تكاد تزول إلا بحادث كبير، فأراد أن يكون هذا الشرع قولًا من رسوله وفعلًا، وإذا أراد الله أمرًا جعل له سببًا، فكان زيد بن حارثة يُدعى «زيد بن محمد» قد تبناه النبي ﷺ فصار يُدعى إليه حتى نزل ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥] فقيل له «زيد بن حارثة»، وكانت تحته زينب بنت جحش ابنة عمة رسول الله ﷺ، وكان قد وقع في قلب الرسول لو طلقها زيد لتزوجها، فقدر الله أن يكون بينها وبين زيد ما اقتضى أن جاء زيد بن حارثة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٩]»، رقم (٧٤٢٠).

يستأذن النبي ﷺ في فراقها، قال الله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق والإرشاد والتعليم حين جاءك مشاورًا في فراقها، فقلت له ناصحًا له ومخبرًا بمصلحته مُقدِّمًا لها على رغبتك مع وقوعها في قلبك: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ أي: لا تفارقها واصبر على ما جاءك منها ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ تعالى في أمورك عامة وفي أمر زوجك خاصَّة؛ فإن التقوى تحث على الصبر وتأمر به ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ والذي أخفاه أنه لو طلقها زيد لتزوجها ﷺ ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ في عدم إبداء ما في نفسك ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾؛ فإن خشيته جالبة لكل خير مانعة من كل شرٍّ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ أي: طابت نفسه ورغب عنها وفارقها ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ وإنما فعلنا ذلك لفائدة عظيمة، وهي ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ حيث رأوك تزوجت زوج زيد بن حارثة الذي كان من قبل ينتسب إليك.

ولمَّا كان قوله ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ عامًّا في جميع الأحوال، وكان من الأحوال ما لا يجوز ذلك وهو قبل انقضاء وطره منها قيَّدَ ذلك بقوله ﴿إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧] أي: لا بُدَّ من فعله، ولا عائق له ولا مانع»[1].

ودخل بها النبي ﷺ بدون مهر ولا ولي، زوَّجَهُ الله تعالى من فوق سبع سماوات، فكانت زينب رضي الله عنها تفخر على أزواج النبي ﷺ، فتفخر على عائشة وحفصة رضي الله عنهن، تقول: «أنت زوجك أبوك، وأنت زوجك أبوك، وأنا زوجني الله من فوق سبع سماوات»، فخر هذا، وأيُّ فخرٍ؟!

والشاهد: قوله: **«وَزَوَّجَنِي اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»، وفيه:** إثبات صفة العُلُوِّ لله تعالى، وأن الله فوق سبع سماوات.

❁ ❁ ❁

(١) «تفسير السعدي» (ص ٦٦٥، ٦٦٦).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ذَكَرَ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَأَنَّهُ يُعْرَجُ بِرُوحِهِ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ» رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُمَا».

الشَّرح

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رواه ابن ماجه وأحمد[١] وإسناده صحيح على شرط الشيخين[٢].

○ قوله: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَأَنَّهُ يُعْرَجُ بِرُوحِهِ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ» وهي فوق السماء السابعة، يعني: فوقها، والمراد: أن الله في العُلُوِّ.

والشاهد: قوله: «حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»، **وفيه:** إثبات صفة العُلُوِّ لله تعالى.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب «ذكر الموت والاستعداد له»، رقم (٤٢٦٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٤، ٥٠٥) **وقال** بعد أن ساقه بعدة أسانيد: «هذه الأسانيد كلها صحيحة».

وقال ابن تيمية: «**وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني:** «هذا حديث متفق على عدالة ناقليه»». «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٤٥).

وقال الذهبي: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم». «العرش» (٢/ ٤٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنِ اشْتَكَى مِنْكُمْ أَوِ اشْتَكَى أَخٌ لَهُ فَلْيَقُلْ: «رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأَ» رَوَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرِيُّ فِي «سُنَنِهِ».

الشَّرح

حديث أبي الدرداء رضي الله عنه رواه أبو داود من طريق زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء به[1].

وإسناده ضعيف[2]؛ لأجل زيادة بن محمد.

قال الإمام الذهبي رحمه الله: «أخرجه أبو داود، **وزيادةُ ليِّن الحديث**»[3] **وقال ابن حبان** رحمه الله: «**زيادة بن محمد** شيخ، منكر الحديث جدًّا، يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك، **قال ابن عدي**: «**[زيادة][4] بن محمد الأنصاري** أظنه مدني»، **وقال البخاري**: «منكر الحديث»»[5]

ورواه أحمد[6] من طريق أبي بكر - يعني: ابن أبي مريم -، عن

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الطب، باب «كيف الرقي»، رقم (٣٨٩٢).

(٢) **وقال ابن مفلح**: «سنده ضعيف». «الآداب الشرعية» (٣/ ٩٦)

(٣) «العلو للعلي الغفار» (ص ٢٩).

(٤) في «المجروحين» و«الكامل» (٣/ ١٩٧): «زياد».

(٥) «المجروحين» (١/ ٣٠٨).

(٦) «مسند أحمد» (٦/ ٢٠).

الأشياخ، عن فضالة بن عبيد الأنصاري قال: علمني النبي ﷺ رقيةً...، فذكر نحو الحديث، وزاد فيه: «**وَقُلْ ذَلِكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ تَعَوَّذْ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**».

وإسناده ضعيف؛ لضعف **أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم**(١)، **ولإبهام الأشياخ** الذين روى عنهم.

والشاهد: قوله: «**رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ**» أي: في العُلُوِّ، فأثبت أن الله في السماء.

والحديث وإن كان ضعيفًا إلَّا أنه له شواهد، ولهذا احتج به **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوى»(٢).

❁ ❁ ❁

(١) سئل عنه الإمام **أحمد بن حنبل** فقال: «ضعيف»، **وقال مرة**: «ليس بشيء»، وضعَّفه **يحيى ابن معين**، **وقال أبو زُرْعَة**: «ضعيف، منكر الحديث»، **وقال أبو حاتم**: «ضعيف الحديث، طَرَقَهُ لصوص فأخذوا متاعه فاختلط». انظر: «تهذيب الكمال» (٣٣/١٠٩).

(٢) **قال**: «حديث حسن، رواه أبو داود وغيره». «مجموع الفتاوى» (٣/١٣٩).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَفِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: أَدِلَّةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ يَطُولُ بِذِكْرِهَا الْكِتَابُ، وَمُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ اللهُ فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ بَعْدَ هَذِهِ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ مُخَالِفٌ لِكِتَابِ اللهِ مُنْكِرٌ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ».

الشَّرح

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «**وَفِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ**» وهي مسألة العُلُوِّ «**أَدِلَّةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ يَطُولُ بِذِكْرِهَا الْكِتَابُ**» وكما تقدَّم وقلتُ لك: إن أفراد الأدلة تزيد على ألف دليل فلا يمكن حصرها[١]، كلها تدل على أن الله فوق المخلوقات وفوق العرش، فكل نصٍّ فيه أن الله استوى على العرش أو أن الله في السماء أو فيه دليل على الفوقِيَّة فهو دليل على أن الله في العُلُوِّ.

وكذا كل نصٍّ فيه العُلُوّ كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] فهو دليل على العُلُوِّ، وكل نصٍّ فيه الصعود كما في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠] فهو دليل على العُلُوِّ؛ فالصعود يكون من أسفل إلى أعلى، وكل نصٍّ فيه الرفع كما في قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النِّسَاء: ١٥٨] فهو دليل على العُلُوِّ، وكل نصٍّ فيه النزول كما في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزُّمَر: ١] فهو دليل على العُلُوِّ، وكل نصٍّ فيه رفع الإصبع إلى السماء فهو دليل على العُلُوِّ، وهكذا، هذه أنواع من الأدلة الكثيرة

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٢٦).

التي لا حصر لها، ولذلك **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: «**يَطُولُ** بِذِكْرِهَا الْكِتَابُ».

لكن قد تُحصر أنواع الأدلة مثلما ذكرتُ لك، نصوص الاستواء، نصوص العُلُوِّ، نصوص الفوقِيَّة، نصوص النـزول، نصوص الرفع، نصوص الصعود، وهكذا، وكل نوع تحته أفراد كثيرة، مثلًا: نصوص الاستواء تحتها سبعة أفراد من الأدلة.

○ قوله: «**وَمُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ اللهُ فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ مُخَالِفٌ لِكِتَابِ اللهِ مُنْكِرٌ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ**» يعني: الذي يُنْكِر أن الله تعالى في العُلُوِّ يكون مخالفًا لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإذا كان جاحدًا لهذه النصوص فإنه يكفر ويكون مرتدًا ـ والعياذ بالله ـ، أما إذا كان متأوِّلًا فقد لا يُحكم عليه بالكفر؛ لأن هناك فرق بين الجاحد والمتأول.

فالجاحد الذي جحد كلام الله أو كلام الرسول ﷺ فهذا يكفر، كمن يجحد قول تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فهذا كذَّب الله، ومن كذَّب الله كَفَرَ، أما **المتأوِّل** فلا يجحد، بل يقول: أنا أؤمن بالآية ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ لكني أتأولها، فأقول معنى ﴿ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ استولى، فهذا لا يكفر؛ لأنه مُتأوِّل.

❁ ❁ ❁

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: «اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ»، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ حَقٌّ، قَضَاهَا اللهُ فِي سَمَائِهِ، وَجَمَعَ عَلَيْهَا قُلُوبَ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ»، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: «نَعْرِفُ رَبَّنَا فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ بَائِنًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةِ: «إِنَّهُ هَهُنَا» وَأَشَارَ إِلَى الْأَرْضِ».

الشَّرح

استدل **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ أيضًا بالآثار عن السلف على ثبوت العُلُوِّ.

○ قوله: **«وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: «اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ»»**(١).

«اللهُ فِي السَّمَاءِ» يعني: في العُلُوِّ.

○ قوله: **«وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ»** وأما هو تَعَالَى فهو فوق العرش.

○ قوله: **«وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ حَقٌّ، قَضَاهَا اللهُ فِي سَمَائِهِ، وَجَمَعَ عَلَيْهَا قُلُوبَ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ»»**(٢).

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» رقم (١١).
قال الذهبي: «هذا حديث ثابت عن مالك رَحِمَهُ اللهُ». «العرش» (٢/٢٢٨)

(٢) أخرجه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص ١٢٤، ١٢٥) من طريق أبي الحسن الهكاري.
قال الذهبي: «**قال أبو القاسم بن عساكر**: «لم يكن موثقًا»، **وقال ابن النجار**: «متهم بوضع الحديث وتركيب الأسانيد» قاله في ترجمة عبدالسلام بن محمد». «ميزان الاعتدال» (٥/١٣٨).
وحكم علي إسناده **الذهبي** أنه واهٍ كما في «العلو للعلي الغفار» (ص ١٦٥).
وقال ابن القيم: «وصح عن الشافعي أنه قال: «خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حقٌّ...»». «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٩٥).

والشاهد: قوله: «**قَضَاهَا اللهُ فِي سَمَائِهِ**» يعني: في عُلُوِّهِ، فأثبت أن الله تعالى في السماء.

○ قوله: «**وَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: «نَعْرِفُ رَبَّنَا فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ بَائِنًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةِ: «إِنَّهُ هَهُنَا» وَأَشَارَ إِلَى الْأَرْضِ»**(١).

وعبدالله **بن المبارك** رَحِمَهُ اللهُ هو الإمام الورع الزاهد المشهور(٢).

الشاهد: «**نَعْرِفُ رَبَّنَا فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ**» فأثبت أن الله تعالى فوق سبع سماوات.

○ قوله: «**بَائِنًا مِنْ خَلْقِهِ**» أي: منفصلًا عن المخلوقات، والمخلوقات نهايتها من جهة العُلُوِّ العرش، والله فوق العرش، وهو ليس مختلطًا بالمخلوقات.

○ قوله: «**وَلَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةِ: «إِنَّهُ هَهُنَا» وَأَشَارَ إِلَى الْأَرْضِ**» **فالجهمية** تقول: إن الله في كل مكان، في الأرض وفي السماء ـ نعوذ بالله ـ، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وقد اتفق **سلف الأمة وأئمتها** على أن الخالق تعالى بائن من مخلوقاته، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، **والسلف والأئمة** كفَّروا **الجهمية** لما قالوا إنه في كل مكان، وكان مما أنكروه عليهم أنه كيف يكون في البطون والحشوش والأخلية؟!، تعالى الله عن ذلك»(٣).

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» رقم (٢٢).
قال ابن تيمية: «وروى عبدالله بن أحمد وغيره بأسانيد صحيحة عن عبدالله بن المبارك» «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٦٤)، وانظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٤٣)، و«مجموع الفتاوى» (٥/ ١٣٨).
وقال ابن القيم: «روى الدارمي والحاكم والبيهقي وغيرهم بأصح إسناد إلى علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: ....». «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٧١).

(٢) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٧٨ ـ ٤٢١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢/ ١٢٦).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا الْقُرْآنُ وَصَحَّتْ بِهَا الْأَخْبَارُ: الْوَجْهُ.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَرَوَى أَبُو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَعٌ، ثِنْتَانِ مِنْ ذَهَبٍ حِلْيَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَثِنْتَانِ مِنْ فِضَّةٍ حِلْيَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ».

الشَّرح

من الصفات التي جاءت في القرآن العزيز وثبتت في السنة المطهَّرة: صفة الوجه لله عَزَّ وَجَلَّ.

○ قوله: «**وَمِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا الْقُرْآنُ**» يعني: أثبتها الله تعالى في كتابه كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩].

○ قوله: «**وَصَحَّتْ بِهَا الْأَخْبَارُ**» يعني: صحت بها الأحاديث عن رسول الله ﷺ «**الْوَجْهُ**» أي: صفة الوجه.

واستدل رَحِمَهُ اللَّهُ على ذلك بأدلة من الكتاب العزيز والسنة المطهَّرة.

○ قوله: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، **وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]» وصفة الوجه من الصفات الذاتية الثابتة لله تعالى، ويتأوَّلها **الأشاعرة**:

فمنهم: من يؤلها بالذات فيقول في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ

ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧] أي: ذاته، وتجدون هذا في «تفسير الجلالين»[(١)]، وقصدهم بذلك إنكار الوجه.

ومنهم: ابن فورك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]، الذي يقول بأنه لا سبيل إلى تأويل هذه الصفة.

ومنهم: من أثبت الصفة، **كالبيهقي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)].

ومنهم: من أول الوجه بالذات، **كالبغدادي**[(٤)] **والآمدي**[(٥)].

والآية قد دلت على: إثبات الوجه والذات لله تعالى.

ومنهم: من فوَّضَ، والتفويض معناه: تفويض المعنى، يقولون: لا نعلم معنى هذه الصفة فنفوِّضها إلى الله، والتفويض: هو عدم إثبات معنى لنصوص الصفات، وهذا باطل، **قال بعض أهل العلم**: إن التفويض شرٌّ من التعطيل، **والمفوِّضة شرٌّ من المُعطِّلَة، فالمفوِّضة** هم الذين لا يثبتون معاني الصفات، يقولون: لا ندري معنى الاستواء، ولا معنى اليدين، ولا معنى الوجه، يقولون: كأنها حروف أعجمية لا نفهم معناها، وهذا غلط؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمر نبيه ﷺ أن يتدبَّرَ القرآن كله ولم يستثنِ شيئًا، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النِّساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمَّد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧].

والمفوِّضة طائفة تُقابل المعطِّلة، **والمعطِّلة** هم الذين عطَّلُوا الرَّبَّ

---

(١) «تفسير الجلالين» (ص ٧١٠).

(٢) انظر: «مشكل الحديث وبيانه» (ص: ٤٣).

(٣) انظر: «الاعتقاد» للبيهقي (ص٤٥)، و«الأسماء والصفات» (ص٣٠١)، وانظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٣/ ٣٨١).

(٤) انظر: «أصول الدين» لأبي منصور البغدادي (ص ١١٠).

(٥) انظر: «غاية المرام في علم الكلام» (ص ١٤٠).

عن صفات كماله وتأوَّلوها، فأوَّلوا صفة الاستواء بالاستيلاء، وصفة الوجه بالذات.

وأهل الحقِّ أثبتوا الصفات وأثبتوا معانيها وفوَّضوا الكيفية.

ولا يعلم الكيفية إلَّا الله كما قال **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ لما سُئِلَ عن الاستواء قال: «**الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَان بِهِ وَاجِب، والسؤال عنه بدعة**»(١)، **فنعرف معنى العلم وأنه ضد الجهل، ونعرف السمع وأنه ضد الصمم، ونعرف البصر وأنه ضد العمى، فنعرف المعنى ونثبته، وتقول المفوِّضة**: «لا ندري معنى البصر، ولا ندري معنى السمع، ولا ندري معنى العلم، بل هي حروف نلوكها بألسنتنا لا ندري معناها، فنفوِّض معناها إلى الله»، وهذا باطل؛ بل المعاني معلومة، إنما الذي لا يُعْلَم هو كيفية الصفات، كيفية صفة العُلُوِّ، وصفة السمع، وصفة الاستواء، وصفة الوجه وغيرها فلا يعلمها إلَّا الله، أما المعنى فمعلوم.

واستدل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بأدلة من السنة على إثبات صفة الوجه لله ﷻ.

○ قوله: «**وَرَوَى أَبُو مُوسَى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **عَنِ النَّبِيِّ** ﷺ **قَالَ: «جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَعٌ، ثِنْتَانِ مِنْ ذَهَبٍ حِلْيَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَثِنْتَانِ مِنْ فِضَّةٍ حِلْيَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ** ﷻ **إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ**» أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»(٢).

وفيه: إثبات الوجه.

وفيه: إثبات الرؤية، وأن الله تعالى يُرى يوم القيامة، وسيتكلم

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]»، رقم (٧٤٤٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨٠).

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عن صفة الرؤية، وهي من الصفات التي اشتد النزاع فيها بين **أهل السنة وأهل البدع**.

وفيه: إثبات الكبرياء لله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧].

○ قوله: «**وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ** ﷻ **إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ**» وهذا خاصٌّ بالمؤمنين، فالمؤمنون يرون ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الجنة، ويرونه أيضًا في موقف القيامة.

وأما غير المؤمنين فقد اختلف **العلماء** في رؤيتهم لله في موقف القيامة:

منهم من قال: يراه أهل الموقف كلهم مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفرة.

ومنهم من قال: لا يراه إلَّا المؤمنون والمنافقون؛ لأن المنافقين صاروا مع المؤمنين في الدنيا وجرت عليهم أحكام الإسلام فصاروا معهم في الآخرة، ثم بعد ذلك ينفصل المؤمنون عن الكفار، ويُضرب بينهم بسور له باب.

وقال آخرون من أهل العلم: لا يراه إلَّا المؤمنون، وأما الكفار فإنهم يُحجبون عن الله، قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

- **من قال**: إن الكفار يرون ربَّهم يوم القيامة، **قالوا**: رؤية الكفار ليست كرامة ولا نعيما، وهذه الرؤية لا تفيدهم، ولكن يستزيدون بها عذابًا إذا حُجِبُوا، مثل السارق حين يرى السلطان ثم يعاقبه فإنه لا يستفيد من هذه الرؤية إلَّا عقوبة[(١)].

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/٤٦٦-٤٦٧، ٤٧٢-٤٧٥، ٤٨٥ _ ٥٠٦).

○ قوله: «**جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَعٌ، ثِنْتَانِ مِنْ ذَهَبٍ حِلْيَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا**» وهذه للسابقين المقربين، «**وَثِنْتَانِ مِنْ فِضَّةٍ حِلْيَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا**» للمقتصدين أصحاب اليمين كما قال الله تعالى في سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن: ٤٦]، ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۝٤٨﴾ [الرحمن: ٤٨]، ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾ [الرحمن: ٥٠] هذه للمقربين، ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ [الرحمن: ٦٢] هذه للمقتصدين، يعني: أربع جنات.

وفيه: أن المؤمنين يتفاوتون في درجاتهم في الجنة على حسب أعمالهم.

وفيه: الردُّ على **الجهميةِ** الذين قالوا: الجنة والنار يوم القيامة تفنيان جميعًا، **والمعتزلةِ** الذين قالوا: إن الجنة والنار تخلقان يوم القيامة، وأما الآن فهما عدم[(١)]، وهذا من أبطل الباطل؛ أخبر الله تعالى أن الجنة موجودة، وأن النار أُعِدت للكافرين، وأخبر النبي ﷺ أنه يفتح للمؤمن بابًا إلى الجنة ويأتيه من روحها وطيبها، ويفتح للكافر بابًا إلى النار ويأتيه من حرِّها وعذابها[(٢)]، فقول **الجهمية والمعتزلة** من أبطل الباطل.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (١/١٤٦، ١٤٧)، و«درء تعارض العقل والنقل» (١/٣٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في المسألة في القبر وعذاب القبر»، رقم (٤٧٥٣)، والنسائي، كتاب الجنائز، باب «الوقوف للجنائز»، (٤/٧٨)، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب «ما جاء في الجلوس في المقابر»، رقم (١٥٤٩)، وأحمد (٤/٢٨٧) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

قال المنذري: «هذا الحديث حديث حسن رواته محتج بهم في «الصحيح» كما تقدَّم، وهو مشهور بالمنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء كذا **قال أبو موسى الأصبهاني** رحمه الله، والمنهال روى له البخاري حديثًا واحدًا». «الترغيب والترهيب» (٤/١٩٧).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى أَبُو مُوسَى قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ بِأَرْبَعٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النَّارُ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨] رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

الشَّرح

رواه الإمام مسلم في «صحيحه»[(١)] كما قال **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ.

○ قوله: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**»؛ لأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُنزَّهٌ عن النوم، فالنوم يحتاج إليه الضعيف، فالمخلوق يحتاج إلى النوم ليستريح، والله تعالى لا يتعب ولا يلحقه تعب، قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

○ قوله: «**يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ**» والقسط: العدل، والمعنى كما قال **الشيخ السعدي** رَحِمَهُ اللهُ: «يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الذر، الذي توزن بها الحسنات والسيئات»[(٢)].

○ قوله: «**يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النَّارُ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ**»

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٩).

(٢) «تفسير السعدي» (ص ٥٢٤).

في هذا الحديث: تنزيه الله عن النوم.

وفيه: أن الله تعالى احتجب عن خلقه بالنار أو بالنور(١).

وفي قوله: «**لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ**»: إثبات الوجه لله تعالى.

وفيه: أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا؛ لأنه احتجب عن خلقه ﷻ بالنار أو بالنور، ولو كشف الحجاب لاحترق الخلق؛ لقوله ﷺ «**حِجَابُهُ النَّارُ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ**» ومحمد ﷺ شيء، وفي لفظ: «**لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(٢) **أي: جميع الخلق، ومحمد ﷺ من الخلق.**

لا يستطيع أحد أن يثبت لرؤية الله تعالى في الدنيا، ولهذا لما كلَّم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام من وراء حجاب طمع موسى عليه الصلاة والسلام في الرؤية، قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾، فردَّ الله تعالى عليه: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ فلا تستطيع ببشريتك هذه أن تتحمل وتثبت للرؤية، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ والجبل صخر عظيم ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ فإن ثبت الجبل للرؤية فأنت تستطيع وإلَّا فلا، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ تدكك الجبل وساح ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ أغمي عليه، فلمَّا أفاق موسى عليه الصلاة والسلام قال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «تَلا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾، فَقَالَ: «**قَالَ: «يَا مُوسَى، إِنَّهُ لا يَرَانِي حَيٌّ إِلَّا مَاتَ، وَلا يَابِسٌ إِلَّا تَدَهْدَهَ، وَلا رَطْبٌ إِلَّا تَفَرَّقَ، إِنَّمَا يَرَانِي أَهْلُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ لَا**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٩).

تَمُوتُ أَعْيُنَهُمْ وَلَا تَبْلَى أَجْسَامُهُمْ»[(١)].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، ويدخل في ذلك: نبينا عليه الصلاة والسلام؛ فإنه بشر كلَّمة الله من وراء حجاب، **وجماهير الصحابة** على أن النبي ﷺ لم يرَ ربَّهُ ليلة المعراج[(٢)] وهذا هو **الصواب** الذي عليه المُحقِّقُون **كشيخ الإسلام ابن تيمية**[(٣)] **وغيره**[(٤)] **فالصواب** أنه رآه بعين قلبه ولم يرَهُ بعينيه، وإنما كلَّمه الله من وراء حجاب، ولا يستطيع أحد أن يرى الله في الدنيا لا جبريل ولا غيره من الملائكة ولا غيرهم، ولكن الله ينشئ المؤمنين يوم القيامة نشأة قويَّةً لينظر المؤمنون إلى ربهم يوم القيامة، ويتحملون بها رؤيته.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أبو عبدالرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» رقم (١٧٥، ١٧٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٣٥).

(٢) حكى **إجماع الصحابة** على أنه لم يرَ ربه ليلة المعراج **عثمان بن سعيد الدارمي** في كتاب «الرؤية».

انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم (ص ١٢).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥١٠).

(٤) انظر: شرح «العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٢٤٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَهَذِهِ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ بِنَصِّ الْكِتَابِ وَخَبَرِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ فَيَجِبُ الْإِقْرَارُ بِهَا وَالتَّسْلِيمُ كَسَائِرِ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ بِوَاضِحِ الدَّلَالَاتِ».

الشَّرح

○ قوله: «**فَهَذِهِ صِفَةٌ**» يعني: صفة الوجه.

○ قوله: «**ثَابِتَةٌ بِنَصِّ الْكِتَابِ وَخَبَرِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ**» كما تقدَّم.

○ قوله: «**فَيَجِبُ الْإِقْرَارُ بِهَا وَالتَّسْلِيمُ كَسَائِرِ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ بِوَاضِحِ الدَّلَالَاتِ**» فيجب على كل مسلم أن يُقِرَّ بهذه الصفة، فيثبت الوجه لله ﷻ كسائر الصفات الثابتة، خلافًا لمن أنكر الصفات **كالجهمية والمعتزلة، فقالوا**: ليس لله وجه، ولا علم، ولا سمع، ولا بصر، وخلافًا **للأشاعرة** الذين تأوَّلوها بالذات، **وبعض الأشاعرة** أثبتها **كالبيهقي وغيره.**

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«**وَتَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ وَصَحَّتِ الْآثَارُ بِأَنَّ اللهَ ﷻ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّسْلِيمُ لَهُ، وَتَرْكُ الِاعْتِرَاضِ عَلَيْهِ، وَإِمْرَارُه مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تَأْوِيلٍ، وَلَا تَنْزِيهٍ يَنْفِي حَقِيقَةَ النُّزُولِ**».

الشَّرْح

انتقل **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ بعد أن انتهى من الكلام على إثبات صفة الوجه إلى إثبات صفة النزول، **قال** رَحِمَهُ اللهُ: «**وَتَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ وَصَحَّتِ الْآثَارُ بِأَنَّ اللهَ ﷻ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا**».

وقد بيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن صفة النزول ثابتة بالتواتر، والتواتر دليل قطعي، ويُقابِل التواترُ الآحادَ، إذ **الأدلة نوعان**: متواتر وآحاد.

المتواتر: هو الذي يرويه عدد كثير تستحيل العادة تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى آخره، ويكون مستندًا إلى الحسِّ كرؤية أو سماع، وما دون ذلك فهو **آحاد.**

والآحاد أنواع: قد يكون غريبًا، أو عزيزًا، أو مشهورًا.

الغريب: الذي يرويه واحد عن واحد، **والعزيز**: الذي يرويه اثنان، **والمشهور**: الذي يرويه ثلاثة فأكثر ما لم يصل إلى حدِّ التواتر(١).

يقول **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ إن صفة النزول ثابتة بالنصوص المتواترة، فقد

---

(١) انظر: «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» لابن حجر (ص ٤١ ـ ٥٠).

رواها جمع غفير من الصحابة، وصحت الآثار بأن الله ﷻ ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا(١).

وهذا النزول يليق بجلال الله وعظمته، ولا نعلم كيفية النزول، **فإذا قال قائل:** «ما كيفية النزول؟» نقول كما **قال الإمام مالك** رحمه الله: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»(٢) فالنزول معلوم في اللغة العربية، وأما كيفية نزول الرَّبِّ فلا نكيِّف، ولا نقول: «على كيفية كذا»، ويأتي الكلام في هذا.

○ قوله: «**فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّسْلِيمُ لَهُ، وَتَرْكُ الِاعْتِرَاضِ عَلَيْهِ، وَإِمْرَارُه مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تَأْوِيلٍ**» فلا تُكيِّف وتقول: «ينزل على كيفية كذا»، ولا تمثِّل وتقول: «ينزل مثل نزول المخلوق»، ولا تأوِّل كما أوَّل **المبتدعة**، قالوا: «ينزل أمره» أو «ينزل مَلَكٌ»، وهذا تأويل باطل.

○ قوله: «**وَلَا تَنْزِيهٍ يَنْفِي حَقِيقَةَ النُّزُولِ**» يشير **المؤلف** رحمه الله إلى الردِّ على الذين أوَّلُوا صفة النزول بنفي حقيقة هذه الصفة مُدَّعِينَ أنهم إنما فعلوا ذلك لأن الإثبات الحقيقي يتنافى مع مقصد التنزيه، وأن التنزيه يقتضي نفي هذه الحقيقة، **فنقول:** إنَّ التنزيه الذي ينفي حقيقة النزول باطل، بل التنزيه الحقيقي هو إثبات الصفة على وجه يليق بجلال الله وعظمته.

❁ ❁ ❁

---

(١) وسيأتي **المؤلف** رحمه الله بهذه الروايات.

(٢) تقدَّم تخريجه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، يَقُولُ: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ**»، وَفِي لَفْظٍ: «**يَنْزِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**».

وَلَا يَصِحُّ حَمْلُهُ عَلَى نُزُولِ الْقُدْرَةِ، وَلَا الرَّحْمَةِ، وَلَا نُزُولِ الْمَلَكِ».

الشَّرْح

حديث أبي هريرة رضي الله عنه حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[1]، وهو من الأحاديث المتواترة.

ولا يتكلَّف الإنسان ويتحذلق كما يقول **بعض الناس**: «إن الليل يختلف في الأماكن، فيكون عندنا ثلث الليل الآخر وفي بلاد أخرى عندهم في الضحى أو بعد الظهر»، وقد استشكل هذا **بعض الناس**.

● **الجواب: الإشكال الذي في ذهنك الآن وقع بسبب التشبيه والتمثيل** بأن شبَّهتَ نزول الخالق بنزول المخلوق فأشكل عليك الأمر، أما إذا ألغيت من ذهنك التشبيه والتمثيل، فتعلم أن ينزل سبحانه ولا نعرف كيف ينزل، فهو فعلٌ يفعله سبحانه كما يليق بجلاله وعظمته، ولا نُكيِّف ولا ندري ما الكيفية، فأنتَ في أيِّ مكان من أرض الله إذا

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب «الدعاء في الصلاة من آخر الليل»، رقم (١١٤٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٥٨).

جاء ثلث الليل الآخر فهو وقت التَّنـزُّل الإلهي فتضرعْ إلى الله وادْعُهُ ﷻ[(١)].

○ قوله: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**» السؤال أخصُّ من الدعاء، والاستغفار كذا أخصُّ، والدعاء أعم، فالاستغفار نوع من السؤال، والسؤال نوع من الدعاء، ففي الأول عمَّمَ قال: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟**» ثم جاء بالأخصِّ وهو السؤال قال: «**مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟**»، ثم جاء بالأخصِّ وهو الاستغفار قال: «**مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**».

○ قوله: «**وَلَا يَصِحُّ حَمْلُهُ عَلَى نُزُولِ الْقُدْرَةِ، وَلَا الرَّحْمَةِ، وَلَا نُزُولِ الْمَلَكِ**» وهذا تأويل المتأوِّلين، فقد **قال بعض المتأولين**: «ينزل الله أي: تنزل قدرته»، **وقال بعضهم**: «تنزل الرحمة»، **وقال بعضهم**: «ينزل الملك»[(٢)].

قال ابن القيم ﷺ في الكافية الشافية[(٣)]:

أتراه أصبح عاجزا عن قوله   استولى وينزل أمره وفلان

والتأويل بنحو هذه التأويلات من أبطل الباطل؛ لما يلي:

١- أن الرحمة في كل وقت، ولا تختص في ثلث الليل فقط.

٢- أن المَلَكُ لا يملك أن يقول: «من يدعوني فأستجيب له؟»، «من يسألني فأعطيه؟»، «من يستغفرني فأغفر له؟» لا يمكن أن يكون هذا إلَّا من الله ﷻ.

٣- أنه لا يجيب الدعاء ويغفر الذنوب ويعطي كل سائل سؤله إلا

(١) انظر: «شرح حديث النزول» (ص ٦٨، ١١٢).
(٢) انظر: «المواقف في علم الكلام» (ص٢٧٣)، و«شرح المقاصد» (٤/ ١٧٤).
(٣) «الكافية الشافية» (ص٢١١).

الله، وأمره ورحمته لا تفعل شيئًا من ذلك.

٤- أن نزول أمره ورحمته لا تكون إلا منه، وحينئذ فهذا يقتضي أن يكون هو فوق العالم، فنفس تأويله يبطل مذهبه؛ ولهذا قال بعض النفاة لبعض المثبتين: ينزل أمره ورحمته؛ فقال له المثبت: فممن ينزل؟! ما عندك فوق شيء؛ فلا ينزل منه لا أمر، ولا رحمة ولا غير ذلك؟! فبهت النافي وكان كبيرًا فيهم[1].

وبهذا يبطل تأويل **المبتدعة** بأن المعنى نزول أمره أو نزول رحمته أو نزول المَلَك.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «شرح حديث النزول» (ص ٦٦).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لِمَا رَوَى مُسْلِمٌ بِإِسْنَادِهِ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ قَالَ: «يَنْزِلُ اللهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ، فَيَقُولُ: «أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»، حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ».

وَرَوَى رِفَاعَةُ بْنُ عَرَابَةَ الْجُهَنِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثُ اللَّيْلِ يَنْزِلُ اللهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: «لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَهُ؟، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَجِيبُ لَهُ؟، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي أُعْطِيهِ؟»، حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ» رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ يَقْطَعَانِ تَأْوِيلَ كُلِّ مُتَأَوِّلٍ، وَيَدْحَضَانِ حَجَّةَ كُلِّ مُبْطِلٍ».

الشَّرْح

أورد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ طرقا للحديث، إحداها من رواية للإمام مسلم في «صحيحه»[1]. والثانية من رواية الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في «المسند»[2]، وكذا ابن ماجه[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا كان كذلك والنزول المذكور في الحديث النبوي على قائله أفضل الصلاة والسلام الذى اتفق

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٥٨).
(٢) مسند أحمد» (٤/ ١٦).
(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب «ما جاء في أي ساعات الليل أفضل»، رقم (١٣٦٧).

عليه الشيخان البخاري ومسلم واتفق علماء الحديث على صحته هو «**إذا بقي ثلث الليل الآخر**»، وأما رواية النصف والثلثين فانفرد بها مسلم في بعض طرقه[(١)]، وقد **قال الترمذي**: إن أصح الروايات عن أبي هريرة ﷺ: «**إذا بقي ثلث الليل الآخر**»[(٢)]، وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ من رواية جماعة كثيرة من الصحابة كما ذكرنا قبل هذا، فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث، والذي لا شكَّ فيه «**إذا بقي ثلث الليل الآخر**».

فإن كان النبي ﷺ قد ذكر النزول أيضًا إذا مضى ثلث الليل الأول وإذا انتصف الليل فقوله حقٌّ وهو الصادق المصدوق، ويكون النزول أنواعًا ثلاثة: الأول: إذا مضى ثلث الليل الأول، ثم إذا انتصف وهو أبلغ، ثم إذا بقي ثلث الليل، وهو أبلغ الأنواع الثلاثة»[(٣)].

○ قوله: «**وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ يَقْطَعَانِ تَأْوِيلَ كُلِّ مُتَأَوِّلٍ، وَيَدْحَضَانِ حَجَّةَ كُلِّ مُبْطِلٍ**» نعم، فالحديثان يقطعان تأويل كل مُتأوِّل، ويدحض حجة كل مُبطِل.

وأخبار النزول متواترة في الجملة، **قال الإمام ابن عبدالبر** رحمه الله: «هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته،... وهو حديث منقول من طرق متواترة ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي ﷺ»[(٤)] واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٥٨).

(٢) قال رحمه الله: «وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَوْجُهٍ كَثِيرَةٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**يَنْزِلُ اللهُ ﷻ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ**»، وَهُوَ أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ». «سنن الترمذي»، كتاب الصلاة، باب «ما جاء في نزول الرب ﷻ إلى السماء الدنيا كل ليلة»، رقم (٤٤٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٧٠).

(٤) «التمهيد» (٧/ ١٢٨).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٢٢).

ينزل سبحانه كل ليلة إلى سماء الدنيا نزولًا لا يُشابه نزول المخلوقين، نزولًا يليق بجلاله وعظمته، ولا نعلم كيفيته ولا ندري كنْهَهُ.

قال الإمام الآجري ﷺ: «الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: «كيف ينزل؟»، ولا يردُّ هذا إلَّا **المعتزلة**، وأما **أهل الحقِّ** فيقولون الإيمان به واجب بلا كيف؛ لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله ﷺ أن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، فكما قَبِلَ **العلماء** عنهم ذلك كذلك قَبِلُوا منهم هذه السنن، **وقالوا**: «من ردَّها فهو ضال خبيث»، يحذرونه ويحذرون منه»[(١)].

وقال الإمام ابن خزيمة ﷺ في «كتاب التوحيد» ـ وهو كتاب عظيم، اعتمده أهل الحقِّ، وأهل السنة والجماعة ينقلون عنه ـ بعد أن ذكر هذه الأخبار: «نشهد شهادة مُقِرٍّ بلسانه مُصَدِّقٍ بقلبه مُسْتَيْقِنٍ بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرَّبِّ من غير أن تصف الكيفية؛ لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، والله جلَّ وعلا لم يترك ولا نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مُصَدِّقُونَ بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير مُتَكَلِّفِينَ القول بصفته أو بصفة الكيفية؛ إذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول.

وفي هذه الأخبار ـ ما بان وثبت وصح ـ أن الله جلَّ وعلا فوق سماء الدنيا الذى أخبرنا نبينا أنه ينزل إليه؛ إذ محال في لغة العرب أن يقول «نزل» من أسفل إلى أعلى، ومفهوم في الخطاب: أن النزول من أعلى إلى أسفل»[(٢)].

(١) «الشريعة» (٣/ ١١٢٤ ـ ١١٢٦).
(٢) «كتاب التوحيد» (١/ ٢٨٩، ٢٩٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَرَوَى حَدِيثَ النُّزُولِ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُمُّ سَلَمَةَ زَوْجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَخَلْقٌ سِوَاهُمْ».

الشَّرْح

يُبيِّن **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ أن أحاديث النزول متواترة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **«وَرَوَى حَدِيثَ النُّزُولِ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»** أخرجه أحمد في «المسند»[(١)].

○ قوله: **«وَعَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ»** أخرجه أحمد في «المسند»[(٢)].

○ قوله: **«وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ»** أخرجه أحمد في «المسند»[(٣)].

○ قوله: **«وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ»** أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد»[(٤)].

○ قوله: **«وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ»** أخرجه مسلم في «صحيحه»[(٥)].

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ١٢٠).
قال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه، ورجالهما ثقات، وقد صرَّح ابن إسحق بالسماع». «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٤)

(٢) «مسند أحمد» (١/ ٣٨٨).
قال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح». «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٣).

(٣) «مسند أحمد» (٤/ ٨١).
قال الهيثمي: «رواه أحمد والبزار وأبو يعلى، ورجالهم رجال الصحيح، ورواه الطبراني». «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٤).

(٤) «التوحيد» (١/ ٢٩٦).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٥٨).

○ قوله: «وَعَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ» أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»(١).

○ قوله: «وَأَبُو الدَّرْدَاءِ» أخرجه البزار في «مسنده»(٢).

○ قوله: «وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ» أخرجه أحمد في «المسند»(٣).

○ قوله: «وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة»(٤).

○ قوله: «وَأُمُّ سَلَمَةَ زَوْجُ رَسُولِ اللهِ» أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»(٥).

○ قوله: «وَخَلْقٌ سِوَاهُمْ» كرواية عبادة بن الصامت رضي الله عنه عند الطبراني في «المعجم الأوسط»(٦).

وقد ذكر اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»(٧) أن نزول الرب تبارك وتعالى رواه عن النبي عشرون نفسًا، فلكثرتها بلغت حدَّ التواتر.

❁ ❁ ❁

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٧٦١).

(٢) «مسند البزار» (١٠/ ١٧) رقم (٤٠٧٩).

قال الهيثمي: «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» والبزار بنحوه، وفيه **زيادة بن محمد الأنصاري** وهو منكر الحديث». «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٥)

(٣) «مسند أحمد» (٤/ ٢٢).

قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار بنحوه غير أنه قال: «**إن في الليل ساعة ينادي مناد**»، ورواه الطبراني بنحو لفظ أحمد ورجالهما رجال الصحيح، غير **علي بن زيد** وقد وُثِّق وفيه ضعف». «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٣).

(٤) «السنة» رقم (٥١٢).

(٥) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٧٦٧).

(٦) «المعجم الأوسط» رقم (٦٠٧٩).

(٧) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٣٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ مُصَدِّقُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَصِفَ لَهُ كَيْفِيَّةً أَوْ نُشَبِّهَهُ بِنُزُولِ الْمَخْلُوقِينَ».

الشَّرح

○ قوله: «وَنَحْنُ» يعني: نحن معشر **أهل السنة والجماعة** «**مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ**» أي: بصفة النزول «**مُصَدِّقُونَ**» به «**مِنْ غَيْرِ أَنْ نَصِفَ لَهُ كَيْفِيَّةً أَوْ نُشَبِّهَهُ بِنُزُولِ الْمَخْلُوقِينَ**» فلا نُشبَّه بنزول المخلوقين ولا نُكيِّفه، وإنما علم الكيفية موكول إلى الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: سُئِلَ أَبُو حَنِيفَةَ عَنْهُ - يَعْنِي: عَنِ النُّزُولِ - فَقَالَ: «يَنْزِلُ بِلَا كَيْفَ»».

الشَّرْح

أراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر الأحاديث المتواترة في صفة النزول أن يذكر أقوال أهل العلم من **أهل السنة والجماعة** الذين أثبتوا هذه الصفة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**«وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: سُئِلَ أَبُو حَنِيفَةَ»** وهو أحد الأئمة الأربعة «**عَنْهُ - يَعْنِي: عَنِ النُّزُول -، فَقَالَ: «يَنْزِلُ بِلَا كَيْفَ»**»[1] **يعني: ينزل الرَّبُّ** جَلَّ جَلَالُهُ **بلا كيف، فأثبت النزول بلا كيف.**

وهذا قول **أهل السنة والجماعة**، فلا نقول: «على كيفية كذا» أو «يشبه نزول المخلوق»، فالكيف منفي، ولا يعلمه إلَّا الله.

(١) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٤٨٩).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ صَاحِبُهُ: «الْأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَتْ أَنَّ اللهَ يَهْبِطُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَنَحْوَ هَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ قَدْ رَوَتْهَا الثِّقَاتُ فَنَحْنُ نَرْوِيهَا، وَنُؤْمِنُ بِهَا، وَلَا نُفَسِّرُهَا».

الشَّرْح

○ قوله: «**وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ صَاحِبُهُ**» هو الصاحب الثاني[1] لأبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ، والصاحب الأول هو أبو يوسف[2].

○ قوله: «**الْأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَتْ أَنَّ اللهَ يَهْبِطُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَنَحْوَ هَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ قَدْ رَوَتْهَا الثِّقَاتُ فَنَحْنُ نَرْوِيهَا، وَنُؤْمِنُ بِهَا، وَلَا نُفَسِّرُهَا**»[3] يعني: لا نُفَسِّرُها تفسير **أهل البدع والمؤولين** الذين يؤولونها ويُفسِّرُون النزول بنزول المَلَكِ أو نزول القدرة أو نزول الرحمة، فلا نُفَسِّرُها ولا نُفَسِّرُ الكيفية، وإنما نرويها ونؤمن ونُصدِّق بها، ونكِل العلم بالكيفية إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

❁ ❁ ❁

(١) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٣٤ ـ ١٣٦).

(٢) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٥٣٥ ـ ٥٣٩).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٧٤١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَيْنَا عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأَبِي عَابِرَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ فَسَمِعَ قَاصًّا يَقُصُّ بِحَدِيثِ النُّزُولِ، فَقَالَ: «إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ يَنْزِلُ اللهُ ﷻ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا بِلَا زَوَالٍ وَلَا انْتِقَالٍ وَلَا تَغَيُّرِ حَالٍ»، فَارْتَعَدَ أَبِي رَحِمَهُ اللهُ وَاصْفَرَّ لَوْنُهُ، وَلَزِمَ يَدِي وَأَمْسَكْتُهُ حَتَّى سَكَنَ، ثُمَّ قَالَ: «قِفْ بِنَا عَلَى هَذَا المتخوِّضِ»، فَلَمَّا حَاذَاهُ قَالَ: «يَا هَذَا، رَسُولُ اللهِ أَغْيَرُ عَلَى رَبِّهِ ﷻ مِنْكَ، قُلْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ»، وَانْصَرَفَ».

الشرح

هذه القصة رواها عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل عن أبيه، ولم أقف على من خَرَّجَ هذه القصة، وقد حكاها **شيخُ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ في «الاستقامة»[1] وغيره[2].

○ قوله: «**كُنْتُ أَنَا وَأَبِي عَابِرَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ فَسَمِعَ قَاصًّا يَقُصُّ بِحَدِيثِ النُّزُولِ**» والقاصُّ هو الواعظ، والغالب أن هؤلاء القاصِّين الذين يعظون الناس ليس عندهم علم، بل يعظونهم بالقصص والحكايات والأحاديث الضعيفة والموضوعة، فعبد الله بن أحمد بن حنبل مرَّ مع أبيه في المسجد وسمع واعظًا يقص عليهم حديث النزول.

○ قوله: «**فَقَالَ: «إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ يَنْزِلُ اللهُ ﷻ إِلَى**

(١) «الاستقامة» (١/ ٧٢-٧٣).

(٢) انظر: «أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات» لمرعي الكرمي (ص ٦٣).

سَمَاءِ الدُّنْيَا بِلَا زَوَالٍ وَلَا انْتِقَالٍ وَلَا تَغَيُّرِ حَالٍ»» فأنكر الإمام أحمد رحمه الله قوله: «بِلَا زَوَالٍ وَلَا انْتِقَالٍ وَلَا تَغَيُّرِ حَالٍ».

○ قوله: «فَارْتَعَدَ أَبِي رَحِمَهُ اللهُ وَاصْفَرَّ لَوْنُهُ، وَلَزِمَ يَدِي وَأَمْسَكْتُهُ حَتَّى سَكَنَ، ثُمَّ قَالَ: «قِفْ بِنَا عَلَى هَذَا المتخوِّضِ»، فَلَمَّا حَاذَاهُ قَالَ: «يَا هَذَا، رَسُولُ اللهِ أَغْيَرُ عَلَى رَبِّهِ ﷻ مِنْكَ، قُلْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ» قال الرسول ﷺ: «**ينزل ربنا**» ولم يقل: «بلا زوال ولا انتقال ولا تغيِّر حال»، والرسول ﷺ أغْيَرُ منك ولم يقل ذلك، فلا تتجاوز كلام الرسول ﷺ[١].

○ قوله: «وَانْصَرَفَ» الإمام أحمد رحمه الله، ما قال غير هذا.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١١)، (٨/ ٢١-٢٩)، (١٦/ ٤٢٣)، شرح حديث النزول (ص ٤٥٧، ٤٤٥، ٢١٠)، ودرء التعارض (٢/ ٧-٨).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«قَالَ حَنْبَلُ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِاللهِ - يَعْنِي: أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ -: «يَنْزِلُ اللهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»، قُلْتُ: «نُزُولُهُ بِعِلْمِهِ أَوْ بِمَاذَا؟»، فَقَالَ لِي: «اسْكُتْ عَنْ هَذَا، مَا لَكَ وَلِهَذَا؟!، أَمْضِ الْحَدِيثَ عَلَى مَا رُوِيَ بِلَا كَيْفَ وَلَا حَدٍّ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ وَبِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ»».

الشَّرْح

أخرج هذا القصة ابن بطة في «الإبانة»[١].

○ قوله: «قَالَ حَنْبَلُ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِاللهِ - يَعْنِي: أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ -: «يَنْزِلُ اللهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»، قُلْتُ: «نُزُولُهُ بِعِلْمِهِ أَوْ بِمَاذَا؟»، فَقَالَ لِي: «اسْكُتْ عَنْ هَذَا» أي: لا تقُلْ به «مَا لَكَ وَلِهَذَا؟!».

○ قوله: «أَمْضِ الْحَدِيثَ عَلَى مَا رُوِيَ بِلَا كَيْفَ وَلَا حَدٍّ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ وَبِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ» فلا تزِدْ على ما جاءت به الآثار وما جاء به الكتاب العزيز.

والمعنى: أن نصوص الصفات من الآيات والأحاديث يمضِيها المسلم ويُمِرُّها كما جاءت، ولا يتأوَّلها تأويلًا يُخالِف ظواهر النصوص، ويؤمن بها من غير تعرض للكيفية.

❁ ❁ ❁

(١) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (٣/ ٢٤٢).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَالَ الْإِمَامُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: قَالَ لِي الْأَمِيرُ عَبْدُاللهِ بْنُ طَاهِرٍ: «يَا أَبَا يَعْقُوبَ، هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي تَرْوِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ «يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»، كَيْفَ يَنْزِلُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: «أَعَزَّ اللهُ الْأَمِيرَ، لَا يُقَالُ لِأَمْرِ الرَّبِّ ﷻ كَيْفَ؟، إِنَّمَا يَنْزِلُ بِلَا كَيْفَ».

وَمَنْ قَالَ: «يَخْلُو الْعَرْشُ عِنْدَ النُّزُولِ أَوْ لَا يَخْلُو» فَقَدْ أَتَى بِقَوْلٍ مُبْتَدَعٍ وَرَأْيٍ مُخْتَرَعٍ».

الشَّرْح

○ قوله: «**وَقَالَ الْإِمَامُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ**» أبو يعقوب رَحِمَهُ اللَّهُ، الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، أبو يعقوب، من أئمة **أهل السنة والجماعة**[(١)].

○ قوله: «**قَالَ لِي الْأَمِيرُ عَبْدُاللهِ بْنُ طَاهِرٍ**» هو عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، الأمير العادل، أبو العباس، حاكم خراسان وما وراء النهر[(٢)].

○ قوله: «**يَا أَبَا يَعْقُوبَ**» وهي كنية **الإمام إسحاق بن راهويه.**

○ قوله: «**هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي تَرْوِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»، كَيْفَ يَنْزِلُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: «أَعَزَّ اللهُ الْأَمِيرَ**» فتأدَّب **الإمام إسحاق مع الأمير**، و«**أَعَزَّ اللهُ الْأَمِيرَ**» دعاء له،

---

(١) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٥٨ ـ ٣٨٣).

(٢) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦٨٤، ٦٨٥).

«لَا يُقَالُ لِأَمْرِ الرَّبِّ ﷻ كَيْفَ؟، إِنَّمَا يَنْزِلُ بِلَا كَيْفَ».

أخرج هذا القصة بنحوها اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»(١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»(٢).

○ قوله: **«وَمَنْ قَالَ: «يَخْلُو الْعَرْشُ عِنْدَ النُّزُولِ أَوْ لَا يَخْلُو» فَقَدْ أَتَى بِقَوْلٍ مُبْتَدَعٍ وَرَأْيٍ مُخْتَرَعٍ»** وهذا من كلام **المؤلف** ؒ.

يرى **المؤلف** ؒ أنه لا يُقال «يخلو العرش عند النزول» أو «لا يخلو العرش عند النزول»، وأن هذا قول مبتدع ورأي مخترع، فنقول: «ينزل الرَّبُّ» ولا نقول «يخلو العرش» أو «لا يخلو العرش».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ: «والمقصود هنا الكلام على من يقول «ينزل، ولا يخلو منه العرش»، وأن **أهل الحديث** في هذا على ثلاثة أقوال:

منهم: من ينكر أن يُقال «يخلو» أو «لا يخلو» كما يقول ذلك **الحافظ عبدالغني وغيره.**

ومنهم: من يقول: «بل يخلو منه العرش»، وقد صَنَّفَ **عبدالرحمن بن منده** مصنفًا في الإنكار على من قال: «لا يخلو من العرش» أو «لا يخلو منه العرش» كما تقدَّم بعض كلامه.

وكثير من أهل الحديث يتوقَّف عن أن يقول «يخلو» أو «لا يخلو»، **وجمهورهم** على أنه لا يخلو منه العرش، **وكثير منهم** يتوقَّف عن أن يُقال «يخلو» أو «لا يخلو»؛ لشكِّهم في ذلك وأنهم لم يتبيَّن لهم جواب أحد الأمرين، وأما مع كون الواحد منهم قد ترجح عنده أحد الأمرين لكن يمسك في ذلك؛ لكونه ليس في الحديث، ولِمَا يُخَافُ من الإنكار

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٧٧٤).

(٢) «الأسماء والصفات» (٢/ ٤٨٦).

عليه، وأما الجزم بخلو العرش فلم يبلغنا إلّا عن **طائفة قليلة منهم**.

والقول الثالث ـ وهو الصواب، وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها ـ: أنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه، وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسنة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض بحيث يبقى السقف فوقهم، بل الله مُنزَّهٌ عن ذلك»(١).

ولا شكَّ أن المؤمن يستفيد من أحاديث النزول بأن الله ﷻ يستجيب الدعاء في هذا الوقت وهو ثلث الليل الآخر، ولهذا يقول **العلماء**: إنه وقت النزول الإلهي(٢)، وهذا الوقت وقت شريف، ونصف الليل الثاني أفضل من نصف الليل الأول.

وفي «الصحيحين»(٣) عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: «**مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَأَوْسَطِهِ، وَآخِرِهِ، فَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ**»، وفيهما(٤) عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ ﷺ: «كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ؟ قَالَتْ: «**كَانَ يَنَامُ أَوَّلَهُ وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصَلِّي ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ وَثَبَ فَإِنْ كَانَ بِهِ حَاجَةٌ اغْتَسَلَ، وَإِلَّا تَوَضَّأَ وَخَرَجَ**»، وفيهما(٥) عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ خَالَتُهُ، فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤١٤، ٤١٥).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٧٥)، و«مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٥٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب «ساعات الوتر»، رقم (٩٩٦)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٤٥) ـ واللفظ له ـ.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب «من نام أول الليل وأحيا آخره»، رقم (١١٤٦)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٣٩).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب «قراءة القرآن بعد الحدث وغيره»، رقم (١٨٣)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٦٣).

وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، «**فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي**»، وفيهما[(١)] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ**» فكان داود عليه السلام ينام النصف الأول، ثم يقوم السُّدس الرابع والسُّدس الخامس، ثم ينام السُّدس السَّادس حتى يستعين به على أعمال النهار، هذه النومة في السُّدس الأخير؛ لأنه كان مَلِكًا حاكمًا يحكم بين الناس، قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦].

يتبيَّن من هذا أن النصف الأخير هو أفضل الليل، وهو السُّدس الرابع والخامس والسَّادس، وأما النصف الأول فإنه ينامه داود عليه السلام وينامه نبينا ﷺ فيكون النصف الثاني بأسداسه الثلاثة هو أفضل الليل، فالسُّدس الرابع والخامس يقومه داود، والسُّدس الخامس والسَّادس يقومه نبينا عليه الصلاة والسلام.

وفي «الصحيحين»[(٢)] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقِيلَ: «مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ»، فَقَالَ: «**بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ**».

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يومًا ويفطر يومًا»، رقم (٣٤٢٠)، ومسلم، كتاب الصيام، رقم (١١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب «إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه»، رقم (١١٤٤)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٧٤).

○ قوله: «**مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ**» المراد الجنس، ويحتمل العهد، ويراد به صلاة الليل أو المكتوبة[١]، فينبغي للمسلم ـ ولا سيما طالب العلم ـ أن يكون له نصيب من هذا الوقت العظيم الثمين وقت النزول الإلهي، فالرَّبُّ ﷻ ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، ويقول: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»[٢] حتى يطلع الفجر، فينبغي أن يكون المسلم في هذا الوقت من الذاكرين الله كثيرًا، ومن المستغفرين بالأسحار، ومن المستيقظين لا من النائمين.

❁ ❁ ❁

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٢٨).

(٢) تقدَّم تخريجه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِنْ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ الثَّابِتَةِ عَنْ رَسُولِهِ الْمُصْطَفَى الْأَمِينِ : الْيَدَانِ.

قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، **وَقَالَ** ﷻ : ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]».

الشَّرح

تقدَّم الكلام على بعض الصفات، صفةِ الاستواء، وصفة العُلُوِّ، وصفة الوجه، وصفة النزول، ثم تكلَّم **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ على صفة اليدين.

واليدان صفة لله ﷻ، وهذه الصفة ثابتة بالكتاب العزيز وبالسنة المطهَّرة.

استدل **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ بآيتين من كتاب الله ﷻ:

الأولى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، **وفي الآية**: الردُّ على اليهود قبَّحهم الله الذين قالوا يد الله مغلولة، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

الثانية: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وفي الآيتين : إثبات اليدين لله.

وجه الدلالة : أن الله تعالى أثبت لنفسه يدين اثنتين، وأضافهما إلى نفسه الكريمة بضمير الإفراد.

وأما قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات:

٤٧] فليست من آيات الصفات؛ فقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ يعني: والسماء بنيناها بقوة وقدرة[١]، من آدَ يَئِيدُ أيْدًا إذا اشْتَدَّ وقَوِيَ[٢]، ولم يضفها الرَّبُّ ﷻ إلى نفسه بضمير الإفراد، بل بصفة الجمع التي تدل على القوة والعظمة، فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾.

بخلاف هاتين الآيتين؛ فإن الله تعالى قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] فأتى باليدين بصيغة التثنية، وأضافها إلى نفسه بضمير الإفراد، وكذلك في الآية الأخرى خاطب الله تعالى إبليس لمَّا امتنع من السجود لآدم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ۝٧٥﴾ [ص: ٧٥].

❀ ❀ ❀

---

(١) كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد وسفيان، وغيرهم.
انظر: «تفسير الطبري» (٢١/٥٤٦)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣١٣).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/١٦١)، و«لسان العرب» لابن منظور (٣/٧٦).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْتَقَى آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: «يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ»، فَقَالَ آدَمُ: «أَنْتَ مُوسَى، كَلَّمَكَ اللهُ تَكْلِيمًا، وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَاصْطَفَاكَ بِرِسَالَتِهِ، فَبِكَمْ وَجَدْتَ فِي كِتَابِ اللهِ ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١﴾ [طه: ١٢١]»، قَالَ: «بِأَرْبَعِينَ سَنَةً»، قَالَ: «فَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟!»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»».

الشَّرْح

استدل **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ على إثبات صفة اليدين لله بالسنة، فاستدل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه في احتجاج آدم وموسى، وهو في «الصحيحين»(١).

○ قوله: **«الْتَقَى آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: «يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ»** يذكر موسى عليه الصلاة والسلام فضائل آدم عليه الصلاة والسلام وخصائصه.

اختصَّ اللهُ آدمَ عليه الصلاة والسلام بثلاثة أوصاف:

الأولى: خلقه الله بيده، فالله تعالى خلق الخلق كلهم بقدرته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢]،

(١) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب «تحاج آدم وموسى عند الله»، رقم (٦٦١٤)، ومسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٥٢).

لكن آدم عليه الصلاة والسلام له ميزة وخصوصية، وهي أن الله تعالى خلقه بيده، وهي تشريف وتكريم له من بين المخلوقات.

الثانية: نفخ الله فيه من روحه، يعني: من الروح التي خلقها، فإضافة المخلوق إلى خالقه تقتضي التشريف والتكريم، كما يُقال: «عيسى روح الله» روح من الأرواح التي خلقها الله، وكما تُضاف الكعبة فتقول: «بيت الله»، وناقة صالح فتقول: «ناقة الله».

الثالثة: أسجد الله ﷻ له ملائكته.

○ قوله: «**خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ**» وفي حديث عمر بن الخطاب ؓ عند أبي داود قَالَ: «**فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ**»(١) مع أن الله أعطاك هذه الخصائص؟!، وهذه من غيرة موسى ؑ، يريد أن يقول: «أنت السبب في خروجنا من الجنة، وإلَّا بقينا فيها».

○ قوله: «**فَقَالَ آدَمُ: «أَنْتَ مُوسَى، كَلَّمَكَ اللهُ تَكْلِيمًا، وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَاصْطَفَاكَ بِرِسَالَتِهِ**» ذكر آدم عليه الصلاة والسلام خصائص موسى عليه الصلاة والسلام، قال: «**أَنْتَ مُوسَى، كَلَّمَكَ اللهُ تَكْلِيمًا**» كلَّمه الله تعالى من وراء حجاب وبغير واسطة، «**وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ**» وخطَّ له التوراة بيده، **وفي هذا**: إثبات صفة اليد أيضًا، «**وَاصْطَفَاكَ بِرِسَالَتِهِ**» أي: اختارك على الناس برسالته.

○ قوله: «**فَبِكَمْ وَجَدْتَ فِي كِتَابِ اللهِ** ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١﴾ [طه: ١٢١]؟»، **قَالَ**: «**بِأَرْبَعِينَ سَنَةً**»» هذا تقدير خاصٌّ مأخوذ من القدر السابق، كما أن الإنسان يُكتب عليه تقدير خاصٌّ.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في القدر»، رقم (٤٧٠٢).

قال ابن عبدالبر: «هذا الحديث عند جماعة أهل العلم بالحديث صحيح من جهة الإسناد، وكلهم يرويه ويقِرُّ بصحته». «الاستذكار» (٨/٢٥٨).

هناك **تقدير عُمُري** وذلك أنه إذا مضى عليه أربعة أشهر في بطن أمه أرسل الله المَلَكَ فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقيًّا أو سعيدًا[(١)]، وهناك **تقدير حولي**، وهو التقدير في ليلة القدر، يُقدِّرُ الله ما يكون في تلك السنة من صحة ومرض، وإعزاز وإذلال، وإشقاء وإسعاد، وفقر وغنى قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥﴾ [الدخان: ٣-٥]، وهناك **تقدير يومي**، كل يوم، قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩] فكل يوم هو سبحانه في شأن، يُعِزُّ ويُذِلُّ، ويخفض ويرفع، ويُغْنِي ويُفْقِر، ويحيي ويميت ﷻ.

هذا تقدير خاص مأخوذ من القدر السابق، وهو ما كُتِبَ في اللوح المحفوظ؛ لأن اللوح المحفوظ مكتوب فيه كل شيء، كما ثبت في «صحيح مسلم»[(٢)] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»، قَالَ: «**وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**».

ولا يغادر الكتابُ صغيرةً ولا كبيرةً إلَّا أحصاها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩] وهو اللوح المحفوظ، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾ [يس: ١٢] وهو اللوح المحفوظ، فكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ.

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: «اكْتُبْ»، قَالَ: «رَبِّ، وَمَاذَا**

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب «ذكر الملائكة»، رقم (٣٢٠٨)، ومسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٤٣) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٥٣).

أَكْتُبُ؟»، قَالَ: «اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»»[١] **قوله:** «**اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ**» كل ما هو كائن إلى يوم القيامة من الذوات والصفات والحركات والسكون، لكن هذا تقدير مأخوذ من القدر السابق.

○ قوله: «**قَالَ: «فَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟!»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»**»، **وفي لفظ:** «**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**» ثَلاثًا[٢] يعني: غلبه بالحجة.

والشيء الذي لام عليه موسى آدمَ عليه السلام لأجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة، ولا شكَّ أنها مصيبة، ولم يلمه على الذنب؛ لأن آدم عليه السلام قد تاب منه، «**والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»[٣].

واحتج آدم عليه الصلاة والسلام بالقدر، فقال: «**فَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟!**» والاحتجاج بالقدر على المصائب لا بأس به، فجائز أن يحتجَّ الإنسان بالقدر، فإذا أصابته مصيبة قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله وما شاء الله»، لكن لا يصح الاحتجاج بالقدر على الذنب، وليس هو بحجة؛ فلو كان حجةً لكان حجةً للكفرة ولبطل التشريع.

وفي الحديث: إثبات صفة اليد في موضعين:

الأول: في قول موسى عليه السلام «**يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ**».

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في القدر»، رقم (٤٧٠٠)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة ن والقلم»، رقم (٣٣١٩)، وأحمد (٥/٣١٧).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٢) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب «تحاج آدم وموسى عند الله»، رقم (٦٦١٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب «ذكر التوبة»، رقم (٤٢٥٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
قال ابن حجر: «وسنده حسن». «فتح الباري» (١٣/٤٧١).

الثاني: في قول آدم «وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ».

وفيه: إثبات القدر.

وقد استدل **الجبرية** بهذا الحديث على الاحتجاج بالقدر، **وقالوا**: القدر حجة للعاصي، **وقالوا**: الإنسان مجبور على أفعاله فلا يُلام عليها[١]، ورفعت **القدرية** اللوم والذم عن العاصي، واحتجوا بالقدر[٢]، وكذَّبت **المعتزلة** بالقدر، **وقالوا**: إن الله تعالى لم يُقدِّر أفعال العباد، وإنما العباد هم الخالقون لأنفسهم خيرًا أو شرًّا طاعة ومعصية[٣]، فلهذا إنما يُلام ويُعذَّب على فعله، وهذا من أبطل الباطل[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ «وهذا الحديث ضلَّت فيه طائفتان:

طائفة كذَّبت به لمَّا ظنوا أنه يقتضي رفع الذم والعقاب عمن عصى الله لأجل القدر.

وطائفة شرٌّ من هؤلاء جعلوه حجة، وقد يقولون: القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه أو الذين لا يرون أن لهم فعلًا، وهم **الصوفية** الذين يُسمُّون أنفسهم «أهل الحقيقة»، ولا يرون أن لهم فعلًا فيلغون أفعالهم ويجعلونها أفعالًا لله، ويقولون: إن الإنسان إذا شهد الحقيقة رُفِعَ عنه التكليف فلا يُؤمر ولا يُنهى، وصار من الخاصَّة الذين تجاوزوا مرتبة العامة فلا تكليف عليه.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٣٥)، و«مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٤٣)، و«شفاء العليل» كلاهما لابن القيم (ص ٤٩).
(٢) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٨١).
(٣) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٤٦، ٤٧).
(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٤٣).

وهذا من أبطل الباطل، من قال: «إن أحدًا يسقط عنه التكليف وعقله معه ما عدا الحائض والنفساء في الصلاة خاصة» فإنه يستتاب، فإن تاب وإلَّا قُتِلَ مرتدًا؛ إذا زال العقل رُفِعَ التكليف كالصبي والشيخ المخرِّف والمجنون فهذا مرفوع عنهم القلم، فليس هناك أحد يُرفع عنه التكليف، كل واحد مُكلَّف حتى يموت».

ومن الناس من قال: إنما حج آدم موسى لأنه أبوه، أو لأنه كان قد تاب، أو لأن الذنب كان في شريعة واللوم في أخرى، أو لأن هذا يكون في الدنيا دون الأخرى، وكل هذا باطل.

ولكن وَجْهُ الحديث: أن موسى عليه السلام لم يَلُمْ أباه إلَّا لأجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة، فقال له: «**لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟!**»[1] لم يَلُمْهُ لمجرد كونه أذنب ذنبًا وتاب منه؛ فإن موسى يعلم أن التائب من الذنب لا يُلَام، وهو قد تاب منه أيضًا، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر لم يقل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]، والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويُسلِّم، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب، قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥] فأمره بالصبر على المصائب والاستغفار من المعائب»[2]، والقدر إنما يحتج به في المصائب دون المعائب[3].

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/٢٥٨، ٢٥٩).

(٣) انظر: «التدمرية» (ص٢٣١)، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص١٣٥)، و«مجموع الفتاوى» (٨/٧٧)، (٨/١٠٧-١١٠)، (٨/ ٢٣٨)، (٨/٣٠٤)، (٨/٤٥٤)، (١٠/١٦٠)، (١٠/٦٨٥)، (١١/٢٥٩)، و«شفاء العليل» (ص١٨)، قال في إيثار الحق على الخلق (ص٢٨١): [وقد أجمع أهل الاسلام على أن القدر يتعزى به أهل المصائب ولا يحتج به في المعائب].

ولا يزال **أهل العلم** يُبيِّنُون معنى هذا الحديث ويردُّون على من لم يفهمه من **المعتزلة** الذين يقولون بخلق أفعال العباد، **قال الإمام ابن القيم** كَلَلهُ: «وقد ردَّ هذا الحديث من لم يفهمه من **المعتزلة كأبي علي الجبائي ومن وافقه على ذلك**، وقال: «لو صح لبطلت نبوات الأنبياء؛ فإن القدر إذا كان حجة للعاصي بطل الأمر والنهي، فإن العاصي بترك الأمر أو فعل النهي إذا صحت له الحجة بالقدر السابق ارتفع اللوم عنه» وهذا من ضلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته؛ فإن هذا حديث صحيح متفق على صحته لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها قرنًا بعد قرن، وتُقابله بالتصديق والتسليم، ورواه أهل الحديث في كتبهم وشَهِدُوا به على رسول الله ﷺ أنه قاله، وحكموا بصحته، فما لأجهل الناس بالسنة ومن عرف بعداوتها وعداوة حملتها والشهادة عليهم بأنهم مجسمة ومُشبِّهة حشوية وهذا الشأن؟!، ولم يزل أهل الكلام الباطل المذموم موكلين بردِّ أحاديث رسول الله ﷺ التي تخالف قواعدهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة، كما ردوا أحاديث الرؤية، وأحاديث عُلُوِّ الله على خلقه، وأحاديث صفاته القائمة به، وأحاديث الشفاعة، وأحاديث نزوله إلى سمائه، ونزوله إلى الأرض للفصل بين عباده، وأحاديث تكلمه بالوحي كلامًا يسمعه من شاء من خلقه حقيقة، إلى أمثال ذلك»[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) «شفاء العليل» (ص ١٣، ١٤).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَلَا نَقُولُ: «يَدٌ كَيَدٍ»، وَلَا نُكَيِّفُ، وَلَا نُشَبِّهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُ الْيَدَيْنِ عَلَى الْقُدْرَتَيْنِ كَمَا يَقُولُ أَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالتَّأْوِيلِ، بَلْ نُؤْمِنُ بِذَلِكَ، وَنُثْبِتُ لَهُ الصِّفَةَ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ، وَلَا تَشْبِيهٍ.

وَلَا يَصِحُّ حَمْلُ الْيَدَيْنِ عَلَى الْقُدْرَتَيْنِ؛ فَإِنَّ قُدْرَةَ اللهِ ﷻ وَاحِدَةٌ، وَلَا عَلَى النِّعْمَتَيْنِ؛ فَإِنَّ نِعَمَ اللهِ ﷻ لَا تُحْصَى كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]».

الشَّرح

○ قوله: «**فَلَا نَقُولُ: «يَدٌ كَيَدٍ»**» أي: إننا معشر **أهل السنة والجماعة** لا نقول «يدٌ كيَدٍ»، فلا نقول: «يد الله كيد المخلوق»؛ فهذا تمثيل، والله تعالى ليس كمثله شيء.

○ قوله: «**وَلَا نُكَيِّفُ، وَلَا نُشَبِّهُ**» فلا نقول: «إن يد الله كيفيتها كذا»، ولا نُشبِّه فنقول: «إن يد الله تشبه كذا وكذا»؛ كل هذا باطل، وهي طريقة أهل التكييف والتشبيه.

○ قوله: «**وَلَا نَتَأَوَّلُ الْيَدَيْنِ عَلَى الْقُدْرَتَيْنِ كَمَا يَقُولُ أَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالتَّأْوِيلِ**» من **المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، بعضهم** يتأوَّل اليد بالقدرة، واليدين بالقدرتين، يقول: اليدان القدرتان أو النعمتان[1]، وهذا من أبطل الباطل كما بيَّنَ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.

(١) انظر: «الإرشاد» للجويني (ص١٥٥)، و«الاقتصاد» والغزالي (ص٣١)، و«مشكل الحديث» لابن فورك (٣٧٣-٣٨٢، ٤٣٣-٤٣٧).

○ قوله: «**بَلْ نُؤْمِنُ بِذَلِكَ وَنُثْبِتُ لَهُ الصِّفَةَ**» نُثْبِت ما أثبته الله لنفسه من الصفات.

○ قوله: «**مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ**» يعني: من غير تحديد لكيفية الصفة؛ لأن الكيفية لا يعلمها إلَّا الله، **فالسلف** إنما يُثبِتون الصفة بمعناها الظاهر منها، وينفون المشابهة والكيفية.

○ قوله: «**وَلَا تَشْبِيهٍ**» يعني: لا نُشبِّه، فلا نقول: «إن يد الله تشبه يد المخلوق».

○ قوله: «**وَلَا يَصِحُّ حَمْلُ الْيَدَيْنِ عَلَى الْقُدْرَتَيْنِ فَإِنَّ قُدْرَةَ اللهِ ﷻ وَاحِدَةٌ**» واليدان اثنتان، فكيف تؤول اليدان بالقدرتين وقدرة الله ﷻ واحدة؟!

○ قوله: «**وَلَا عَلَى النِّعْمَتَيْنِ؛ فَإِنَّ نِعَمَ اللهِ ﷻ لَا تُحْصَى كَمَا قَالَ ﷻ**: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]»؛ لأنك إذا أوَّلت اليدين بالنعمتين، يكون المعنى: لما خلقت بنعمتي، فصار فيه حصر للنعم بأنها اثنتان، ونعم الله لا تُعدُّ ولا تُحصى، ثم إن النعم مخلوقة وصفات الله ليست مخلوقة.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] فإذا أوَّلوها بالقدرة يكون المعنى: ما منعك أن تسجد لِمَا خلقت بقدرتي، فيفسد المعنى، والقدرة واحدة ليست اثنتين، وكذلك إذا فَسَّرُوها بالنعمة، يكون المعنى: ما منعك أن تسجد لِمَا خلقت بنعمتي؟!، والنعم كثيرة ليست اثنتين، فنعم الله لا تُعدُّ ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فتأويل **أهل البدع** لليد بالقدرة أو بالنعمة يَفْسَدُ المعنى به، ولا يستسيغ عاقل أن يُقال ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ أي: بنعمتي أو بقدرتي.

وتأويل اليد بالقدرة فيه إبطال للخصائص التي خصَّ الله بها بعض مخلوقاته، فآدم خصَّه الله بأن خلقه بيده، فإذا فُسِّرَت اليد بالقدرة يكون المعنى: ما خلقت بقدرتي، فتزول الخصوصية، وإبليس مخلوق بقدرة الله، فإذا كان إبليس مخلوقًا بقدرة الله وآدم مخلوقًا بقدرة الله زال التفضيل لآدم، والله تعالى فضل آدم لقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وكذلك خطَّ الله تعالى التوراة لموسى عليه السلام بيده، فإذا قيل: «اليد القدرة»، يكون المعنى: خطَّ الله التوراة بقدرته، فزالت الخصوصية، وبهذا يتبيَّن أن تأويل **أهل الباطل** اليد بالقدرة أو بالنعمة تأويل باطل(١).

ومقالة المشبِّهَة الذين يقولون: «يد كيدي، وقدم كقدمي، وبصر كبصري» مقالة معروفة وقد ذكرها الأئمة **كيزيد بن هارون وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم**، وأنكروها وذموها ونسبوها إلى مثل **داود الجواربي البصري وأمثاله**(٢).

ومن شبَّه الله بخلقه كفر، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: «**ومذهب سلف الأمة وأئمتها** أن يُوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين، بل هو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في

---

(١) انظر: «عقيدة الإمام أحمد» رواية الخلال (ص١٠٤)، و«نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد» (٢٨-٤١)، و«الإبانة لأبي الحسن الأشعري» (ص١٣٢-١٤٠)، و«الفصل في الملل والنحل» (٢/١٢٧)، و«الرد على الشاذلي» (ص٢١٩)، و«بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٢٦٠-٢٦٢) (٣/ ٣٤٣-٣٤٤)، و«مجموع الفتاوى» (٥/ ٩٨) (٦/ ٣٦٤-٣٦٥).

(٢) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٤/ ١٤٥).

صفاته ولا في أفعاله، **وقال نعيم بن حماد الخزاعي**: «من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهًا»[(١)] [(٢)].

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ١٦٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٥٣٢)، والذهبي في «العلو» (ص ١٢٦)، وفي «العرش» (٢/ ٢٣٨)، وفي «السير» (١٠/ ٦١٠) وقال (١٣/ ٢٩٩): (وما أحسن قول نعيم بن حماد الذي سمعناه بأصحِّ إسنادٍ) ثم ذكره.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٩٥، ١٩٦).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَكُلُّ مَا قَالَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ وَصَحَّ عَنْ رَسُولِهِ بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ مِثْلُ: الْمَحَبَّةِ، وَالْمَشِيئَةِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالضَّحِكِ، وَالْفَرَحِ، وَالْعَجَبِ، وَالْبُغْضِ، وَالسُّخْطِ، وَالْكُرْهِ، وَالرِّضَا، وَسَائِرِ مَا صَحَّ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهُ، وَإِنْ نَبَتْ عَنْهَا أَسْمَاعُ بَعْضِ الْجَاهِلِينَ وَاسْتَوْحَشَتْ مِنْهَا نُفُوسُ الْمُعَطِّلِينَ».

الشَّرح

○ قوله: «**وَكُلُّ مَا قَالَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ وَصَحَّ عَنْ رَسُولِهِ بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ**» فإنَّا نُؤمِن بهذه الصفات، فنثبتها لله ﷻ ونقبلها.

○ قوله: «**بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ**» يعني: الرواة، وخبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ هو الصحيح لذاته.

والمراد بالعدل: من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة.

والضبط ضبطان:

ضبط صدر وهو أن يُثْبِتَ ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء.

وضبط كتاب وهو صيانته لديه منذ سَمِعَ فيه وصححه إلى أن يُؤَدِّيَ منه[1].

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ إذا كان الحديث صحيحًا بأن رواه العدل عن العدل، واتصل السند مع كمال الضبط، ولم يكن شاذًّا ولا معلَّلًا فإننا

(١) انظر: «نزهة النظر» لابن حجر (ص ٥٨، ٥٩).

نقبله ونُثْبِت الصفات التي وردت فيه، ومَثَّلَ رَحِمَهُ اللَّهُ لبعض هذه الصفات، وبعضها ثابت بالكتاب والسنة، وبعضها ثابت بالسنة فقط.

○ قوله: «**مِثْلُ: الْمَحَبَّةِ**» وصفة المحبة ثابتة بالكتاب والسنة.

من الكتاب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المَائدة: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبَة: ٤].

ومن السنة: ما في «الصحيحين»[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ» فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ» فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**».

وفيهما: إثبات صفة المحبة لله ﷻ.

نقول: «**إن الله يُحِبُّ**»، فنُثْبِتُ المحبة لله ﷻ؛ لأنها ثابتة بالكتاب والسنة، فنثبتها لله على ما يليق بجلاله وعظمته ولا يماثل المخلوقين في محبته.

أما **المعتزلة** فأنكروها[٢]، وأوَّلها **الجهمية والأشاعرة** بالإرادة[٣] قالوا: «أحبَّ» يعني أراد؛ لأنها من الصفات السبع التي يثبتونها، **الأشعرية** يقولون إن له صفات سبعًا، الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر، وينفون ما عداها، **وفيهم** من يضم إلى ذلك

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب «ذكر الملائكة»، رقم (٣٢٠٩)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٦٣٧).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٧٤).
(٣) انظر: «منهاج السنة النبوية» (١/ ١٤٦).

اليد فقط، **ومنهم** من يتوقَّف في نفي ما سواها، **وغلاتهم** يقطعون بنفي ما سواها(١).

○ قوله: «**وَالْمَشِيئَةِ، وَالْإِرَادَةِ**» وهي ثابتة في الكتاب العزيز والسنة المطهَّرة.

من الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [الكهف: ٣٩]، وغيرها.

ومن السنة: انظر «صحيح البخاري» كتاب التوحيد، فقد عقد بابًا «في المشيئة والإرادة»(٢).

وفيه: إثبات صفة المشيئة والإرادة لله ﷻ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي أن يُعرف أن الإرادة في كتاب الله على نوعين:

أحدهما: **الإرادة الكونية**، وهي الإرادة المستلزِمة لوقوع المراد التي يُقال فيها: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»، وهذه الإرادة في مثل قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ﴾ [هود: ٣٤]، وقال تعالى:

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/٣٥٨، ٣٥٩).

(٢) من رقم (٧٤٦٤) إلى (٧٤٨٠).

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، وأمثال ذلك.

النوع الثاني: فهو **الإرادة الدينية الشرعية**، وهي محبة المراد ورضاه، ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاهم بالحسنى كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٦-٢٨] فهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد إلَّا أن يتعلق به النوع الأول من الإرادة»[(١)].

وتجتمع **الإرادتان** في حقِّ المؤمن المطيع، وتنفرد **الإرادة الكونية** في حقِّ العاصي والكافر، فأراد الله تعالى الإيمان من أبي بكر رضي الله عنه كونًا وقدرًا ودينًا وشرعًا فوقع، فتجتمع **الإرادتان** في حقِّ المؤمن، وتنفرد **الكونية** في حقِّ العاصي.

أراد الله تعالى من العباد **دينًا وشرعًا** أن يعبدوه ويُوحِّدوه ويُخلصوا له العبادة، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، أما **كونًا وقدرًا** فله الحكمة البالغة، فمن الناس من أراد أن يعبدوه لحكمة بالغة، ومنهم من أراد ألَّا يعبدوه، فوقعت **الإرادة الكونية والإرادة الدينية** في حقِّ المؤمن المطيع، وتخلفت الإرادة الدينية في حقِّ العاصي والكافر، ولهذا فإن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٨٧، ١٨٨).

ﱡﭐﲧ ﲨﲩ ﲪﲫ ﱠ [الأحزاب: ٣٣]**إرادة دينية شرعية**، ولو كانت **إرادة كونية** لأسلم أهل البيت كلهم، بل نجد من أهل البيت من لم يُسْلِمْ، فأبو لهب من أهل بيت النبي ﷺ ولم يُسْلِمْ.

ولا يمكن أن يتخلَّف متعلَّق ومراد **الإرادة الكونية**، بخلاف **الإرادة الدينية الشرعية** فقد تحصل وقد لا تحصل، فأراد الله تعالى من أبي بكر رضي الله عنه الإيمان كونًا وقدرًا ودينًا وشرعًا فوقع، وأراد الإيمان من أبي لهب دينًا وشرعًا ولم يرده كونًا وقدرًا فوقعت **الإرادة الكونية** ولم تقع **الإرادة الدينية**، وبهذا يتبيَّن الفرق بين الإرادتين.

قسَّم **أهل السنة والجماعة** الإرادة إلى قسمين: إرادةٍ كونية قدرية، وإرادةٍ دينية شرعية؛ عملًا بالنصوص، فسَلِمُوا من التناقض، فأخذوا النصوص التي تثبت الإرادة الكونية القدرية وصفعوا بها وجوه **المعتزلة** وأبطلوا مذهبهم، وأخذوا نصوص الإرادة الدينية الشرعية وصفعوا بها وجوه **الجبرية من الأشاعرة والجهمية** فأبطلوا مذهبهم، واستدلوا بأدلة هؤلاء وهؤلاء، وأثبتوا الإرادتين فسَلِمُوا من التناقض فهداهم الله للحقِّ وللصراط المستقيم الذي هو هُدى بين ضلالتين.

وأما **أهل البدع** فلم يعملوا إلَّا ببعض النصوص، **فالجبرية من الأشاعرة والجهمية** لم يثبتوا إلَّا الإرادة الكونية وأنكروا الإرادة الدينية الشرعية فضلُّوا، فإنهم استدلوا بالنصوص التي فيها إثبات الإرادة الكونية فقط وأغمضوا أعينهم عن النصوص التي فيها إثبات الإرادة الدينية الشرعية، **والمعتزلة** بالعكس أثبتوا الإرادة الدينية الشرعية وأنكروا الإرادة الكونية فضلُّوا، فإنهم استدلوا بالنصوص التي فيها إثبات الإرادة الدينية الشرعية وأغمضوا أعينهم عن النصوص التي تثبت الإرادة الكونية القدرية(١).

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٦٣، ٦٤).

○ قوله: «**وَالضَّحِكِ**» والضحك من الصفات التي ثبتت بالسنة المطهَّرة ولم تأتِ في الكتاب العزيز.

من أدلتها: ما في «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ**»، ومعنى الحديث: يضحك الله تعالى من رجلين مسلم وكافر يقتتلان في الجهاد فيدخلان الجنة، يقتل الكافر المسلم فيكون شهيدًا، ثم يمنُّ الله على الكافر بالإسلام بعد ذلك فيُسْلِمُ ويموت على الإسلام.

ومنها: ما في «الصحيحين»[(٢)] في قصة آخر أهل النار دخولًا الجنة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ؛ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا»، فَيَقُولُ: «هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟»، فَيَقُولُ: «لَا وَعِزَّتِكَ»، فَيُعْطِي اللهَ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ رَأَى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا رَبِّ، قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ»، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: «أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟!»، فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ»، فَيَقُولُ: «فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟»، فَيَقُولُ: «لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ»، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب «الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل»، رقم (٢٨٢٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٨٩٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الآذان، باب «فضل السجود»، رقم (٨٠٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨٢).

فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ»، فَيَقُولُ اللهُ: «وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ؛ أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟!»، فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ، لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ»، فَيَضْحَكُ اللهُ ﷻ مِنْهُ ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ».

وفيهما: إثبات صفة الضحك لله ﷻ.

○ قوله: «**وَالْفَرَحِ**» وهو من الصفات التي ثبتت بالسنة المطهَّرة.

من أدلتها: ما في «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ»، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**».

هذا الرجل كان في أرض فلاة مهلكة، وفقد بعيره وعليه طعامه وشرابه وبحث عنه فلم يجده، وهو في صحراء لا يستطيع أن يهتدي إلى شيء، فلما أيس من راحلته نام تحت شجرة ليموت، فلما استيقظ وجد الراحلة قائمة عند رأسه وعليها طعامه وشرابه فشهق وأخذها من شدة الفرح، وجعل يُنادي ربَّهُ يريد أن يقول: «اللهم أنت ربي وأنا عبدك» فأخطأ فقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ**» وهذه كلمة كفرية، لكن إذا تكلَّم بكلمة الكفر ذاهلًا غير متعمد فلا يؤاخذ بها، ولو قالها عن عمد صار كفرًا، وهذا يدل على أن **حاكي الكفر لا يكفر**، فالمتكلِّمَ بكلمة الكفر عن غير عمد لا يكفر.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب «التوبة»، رقم (٦٣٠٩)، ومسلم، كتاب التوبة، رقم (٢٧٤٧) ـ واللفظ له ـ.

وفيه: إثبات صفة الفرح لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، فلا يشبه فرح المخلوق.

○ قوله: «**وَالْعَجَبِ**» صفة ثابتة بالكتاب العزيز والسنة المطهَّرة.

قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾ [الصَّافات: ١٢]، في قراءة بضم التاء فيكون الضمير لله تعالى[١].

فيها: إثبات صفة العَجَبِ لله ﷻ.

ومن السنة: ما رواه البخاري في «صحيحه»[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ**».

ومنها: ما في «الصحيحين»[٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: «مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟**»[٤]، **فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ**: «**أَنَا**» فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: «أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، فَقَالَتْ: «مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي»، فَقَالَ: «هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً» فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ[٥]، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا**»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

---

(١) انظر: «الحجة في القراءات السبع» (ص٣٠١)، و«تفسير الطبري» (٢٣/ ٤٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب «الأسارى في السلاسل»، رقم (٣٠١٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب «قول الله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]»، رقم (٣٧٩٨)، ومسلم، كتاب الأشربة، رقم (٢٠٥٤).

(٤) أي: من يؤوي هذا فيضيفه. «فتح الباري» (٧/ ١١٩).

(٥) أي: بغير عشاء. «فتح الباري» (٧/ ١٢٠).

وفيهما: إثبات صفة العَجَبِ لله ﷻ.

○ قوله: «**وَالْبُغْضِ**» وصفة البعض تُقابِل المحبة، وهي ثابتة بالكتاب العزيز والسنة المطهرة.

من الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠] والمقت: أشد البغض.

من السنة: ما في «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ»، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ» فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: «إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ»، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ»، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ**».

وفيه: إثبات صفة البُغْضِ لله تعالى.

○ قوله: «**وَالسُّخْطِ**» وهي صفة ثابتة بالكتاب العزيز والسنة المطهَّرة.

من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٢٨﴾ [محمد: ٢٨].

ومن السنة: ما في «الصحيحين»[(٢)] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: «يَا**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب «ذكر الملائكة»، رقم (٣٢٠٩)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٦٣٧) ـ واللفظ له ـ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب «صفة الجنة والنار»، رقم (٦٥٤٩)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٢٩).

أَهْلَ الْجَنَّةِ»، فَيَقُولُونَ: «لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ»، فَيَقُولُ: «هَلْ رَضِيتُمْ؟»، فَيَقُولُونَ: «وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟!»، فَيَقُولُ: «أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»، قَالُوا: «يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟!»، فَيَقُولُ: «أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»».

وفيه: إثبات صفة السُّخْطِ لله تعالى.

○ قوله: «**وَالْكُرْهِ**» وهي صفة ثابتة بالكتاب العزيز والسنة المطهَّرة.

من الكتاب: قال الله تعالى في حقِّ المنافقين: ﴿۞وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٤٦﴾ [التوبة: ٤٦].

ومن السنة: ما في «الصحيحين»[١] عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**».

وفيه: إثبات صفة الكُرْهِ لله تعالى.

○ قوله: «**وَالرِّضَا**» وهي صفة ثابتة بالكتاب العزيز والسنة المطهَّرة.

من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزُّمَر: ٧].

ومن السنة: حديث الأبرص والأعمى والأقرع في بني إسرائيل في «الصحيحين»[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا للهِ ﷻ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ....**»،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»، رقم (٦٥٠٧)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٦٨٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب «حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل»، رقم (٣٤٦٤)، ومسلم، كتاب الزهد والرقاق، رقم (٢٩٦٤).

وفيه: «**فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ**».

وفيه: إثبات صفتي الرِّضَا والسُّخْطِ لله تعالى.

ومنها: ما رواه مسلم في «صحيحه»[(١)] عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: «**فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»»، فاستعاذ ﷺ بصفة الرِّضا من صفة السُّخط، وهذه كلها ثابتة.

○ قوله: «**وَسَائِرِ مَا صَحَّ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهُ وَإِنْ نَبَتْ عَنْهَا أَسْمَاعُ بَعْضِ الْجَاهِلِينَ**»، نبا الشيء ينبو أي: تجافى وتباعد[(٢)]، يعني: وإن تجافت عنها أسماع **بعض الجاهلين**؛ لأنها لا توافقهم ولا توافق أهواءهم، **فبعض الجاهلين من المبتدعة وغيرهم** تنبو أسماعهم عن بعض الصفات فلا يثبتونها **كالجهمية والمعتزلة وغيرهم**، «**وَاسْتَوْحَشَتْ مِنْهَا نُفُوسُ الْمُعَطِّلِينَ**» ولذلك إذا سمع **بعضهم** آيات الصفات ارتعد.

فبين المؤلف ﵀ **أننا** نثبتها ما دام أن الله تعالى أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ وإن تجافت عنها أسماع بعض الجاهلين، وإن استوحشت منها نفوس المُعطِّلين فلا يضرنا هذا.

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، رقم (٤٨٦).

(٢) «لسان العرب» (١٥/ ٣٠٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَمِمَّا نَطَقَ بِهَا الْقُرْآنُ وَصَحَّ بِهَا النَّقْلُ مِنَ الصِّفَاتِ: النَّفْسُ.

قَالَ اللهُ ﷻ إِخْبَارًا عَنْ نَبِيِّهِ عِيسَى عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]، وَقَالَ ﷻ لِمُوسَى عليه السلام: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١].

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَكَتَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ «إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»».

الشَّرْح

○ قوله: «وَمِمَّا نَطَقَ بِهَا الْقُرْآنُ وَصَحَّ بِهَا النَّقْلُ مِنَ الصِّفَاتِ: النَّفْسُ» ذكر **المؤلف** رحمه الله أن من صفات الله النَّفْسَ، فأثبت لله نفسًا وجعلها من الصفات، وهذا قول **لبعض العلماء، قالوا**: إن من الصفات النَّفْس، **ومنهم من قال**: إن النَّفْس هي الذات المجرَّدَة عن الصفات، وكلا القولين غير صحيح.

والصواب أن المراد بالنَّفْس: الله، يعني: ذاته سبحانه المتصلة

بصفاته، وليس المراد بها ذاتًا مجرَّدَةً عن الصفات، وليس المراد بها صفة للذات، هذا **هو الصواب الذي عليه جمهور العلماء** كما حقَّق ذلك أهل العلم **كشيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره، **قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعلوم أن نفس الله التي هي ذاته المقدَّسة الموصوفة بصفات الكمال ليست مثل نفس أحد من المخلوقين.

وقد ذهب **طائفة من المنتسبين إلى السنة من أهل الحديث وغيرهم وفيهم طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما** إلى أن النفس صفة من الصفات، **والصواب** أنها ليست صفة، بل نفس الله هي ذاته سبحانه الموصوفة بصفاته سبحانه؛ وذلك لأنه بإضافته إليه قطع المشاركة فكذلك لما أضاف إليه علمه وقوته ووجهه ويديه وغير ذلك قطع بإضافته إليه المشاركة فامتنع أن شيئًا من ذلك من جنس صفات المخلوقين كما امتنع أن تكون ذاته من جنس ذوات المخلوقين»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويُراد بنفس الشيء: ذاته وعينه كما يُقال «رأيت زيدًا نفسَهُ وعيْنَهُ»، وقد قال تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وفي الحديث الصحيح أنه قال لأم المؤمنين: «**لقد قلتُ بعدك أربع كلمات لو وُزِنَّ بما قلتيه لوزنتهن «سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله مداد كلماته**»[(٢)]، وفي الحديث الصحيح الإلهي عن النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم**»[(٣)].

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١٠/٣٠٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٧٢٦).

(٣) يأتي تخريجه.

فهذه المواضع المراد فيها بلفظ «النفس» عند **جمهور العلماء** الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتًا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات، **وطائفة من الناس** يجعلونها من باب الصفات، كما يظن **طائفة** أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ»[(١)].

فالذي يقول «إن النَّفْس صفة للذات» قد أخطأ، والذي يقول «إن النَّفْس هي الذات المجرَّدَة عن الصفات» قد أخطأ، **والصواب** أن النَّفْس هي ذاته المتصفة بصفاته، **خلافًا لما ذهب إليه المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ هنا من أن النَّفْس من الصفات، بل النَّفْسُ هي ذات الله المتصفة بالصفات، والصفات كلها صفة للنَّفْس، العلم والرحمة والقدرة والحب والبغض والكراهة والسخط كلها صفات للنَّفْسِ.

واستدل **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ على أن لله نَفْسًا بالكتاب والسنة.

○ قوله: «**قَالَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **إِخْبَارًا عَنْ نَبِيِّهِ عِيسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **أَنَّهُ قَالَ**: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦]» فأقرَّهُ الله تعالى على قوله عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ﴾ فأثبت لله تعالى نَفْسًا.

○ قوله: «**وَقَالَ** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ﴾ [الأنعام: ١٢]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ **لِمُوسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١]» فأثبت سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنفسه نَفْسًا.

ومن السنة: «**وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ**: «**يَقُولُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ**

(١) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٩٢، ٢٩٣).

أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»(١).

وهو حديث قدسي، أضافه النبي ﷺ إلى ربِّهِ ﷻ، فهو من كلامه سبحانه لفظًا ومعنى كالقرآن.

وفي قوله: «**وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي**» إثبات المعيَّة لله، وهذه معيَّة خاصَّة؛ لأن المعيَّة نوعان:

المعيَّة العامَّة: هي معيَّة العلم والإحاطة لجميع الخلق للمؤمن والكافر، فالله تعالى مع خلقه بإحاطته، وباطلاعه، ونفوذ قدرته ومشيئته، ورؤيته لهم من فوق عرشه، وسمعه لكلامهم.

وتأتي في سياق المحاسبة والمجازاة والتخويف كقوله سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المجادلة: ٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد: ٤]، وقوله سبحانه: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨].

المعيَّة الخاصَّة: هي معيَّة القُرْبِ، وهي خاصة بالمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩٤﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨]، ومنها: قوله: «**وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي**» فهذه معيَّة خاصَّة للذاكرين، فهي خاصَّة بالمؤمن، ومقتضاها النصر والتأييد والحفظ والكلاءة(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقوله جلَّ ذكره: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]»، رقم (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٦٧٥).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦٥).

وتأتي في سياق المدح والثناء كقوله ﷻ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وفي «الصحيحين»[١] عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا»، فَقَالَ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟!**» فهذه معيَّة خاصَّة، وكقوله سبحانه لموسى وهارون ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]، لمَّا دخل فرعون معهم في الخطاب جاءت المعيَّة العامَّة ﴿قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء: ١٥]، ولما انفرد موسى وهارون انفردت وجاءت المعيَّة الخاصَّة ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾، فهو ﷻ مع الناس كلهم بعلمه واطلاعه وإحاطته، ومع المتقين والمحسنين والصابرين بعونه ونصره وتأييده وتوفيقه وتسديده.

وهو ﷻ فوق العرش، ولا منافاة بين المعيَّة وبين الفوقِيَّة؛ لأن المعيَّة ليس معناها الاختلاط والامتزاج، والمعيَّة في لغة العرب تعني مطلق المصاحبة، وهي تختلف باختلاف المتعلقات ومصحوبها، فتقول: «فلان مع فلان» يعني: في الرأي أو الاعتقاد وإن كان هذا في المشرق وهذا في المغرب، وتقول: «الأمير مع الجيش» وقد يكون الجيش في مكان والأمير في آخر، «مع» يعني: في الرأي والتدبير والتسيير، ويُقال: «فلان زوجته معه» وقد تكون في المشرق أو المغرب، يعني: عصمتها معه، فالمعيَّة لا تُفِيد الاختلاط ولا الامتزاج، وإنما معناها مطلق المصاحبة، وتفيد مع المصاحبة المقارنة في أمر من الأمور، تقول العرب: «ما زلنا نسير والقمر معنا» وليس

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب «مناقب المهاجرين وفضلهم، منهم أبو بكر عبدالله ابن أبي قحافة التيمي رضي الله عنه»، رقم (٣٦٥٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٣٨١).

القمر مختلطًا بالأرض، وتقول: «المتاع معك» وإن كان فوق رأسك، فلا منافاة بين العُلُوِّ والمعيَّة.

أما أهل البدع **كالجهمية والمعتزلة وغيرهم** فضاقت صدورهم وضاقوا ذرعًا في الجمع بين النصوص، وضربوا النصوص بعضها ببعض ـ نعوذ بالله ـ فأبطلوا نصوص الفوقِيَّة والمعيَّة والعُلُوِّ التي تزيد على ثلاثة آلاف دليل، **قالوا**: إن المعيَّة توجب الاختلاط والامتزاج وأن الله مع الخلق مختلط بهم فأنكروا نصوص الفوقِيَّة والمعيَّة والعُلُوِّ، وهذا من جهلهم وضلالهم وانحرافهم وزيغهم واتباعهم الهوى[(١)].

وفي الحديث: إثبات المعيَّة الخاصَّة وهي معيَّة مع الذاكرين.

وفي قوله: «**فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي**» إثبات أن لله نَفْسًا، وهذا هو **الشاهد من الحديث.**

وفي قوله: «**وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا**» إثبات القرب لله تعالى.

والقرب جاء خاصًّا ولم يأتِ عامًّا، وعند **المحقِّقِين** من أهل العلم **كشيخ الإسلام ابن تيمية**[(٢)] **وابن القيم رحمهما الله** أن القُرْبَ لا يكون إلَّا خاصًّا، ولا يكون عامًّا وخاصًّا كالمعِيَّة.

قال الإمام ابن القيم ﵀: «وأما القُرْبُ فلا يقع في القرآن إلَّا خاصًّا، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة، وقربه من عابده بالإثابة.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ولهذا نزلت جوابًا للصحابة ﵃ وقد سألوا رسول الله «ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه؟»، فأنزل الله تعالى

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٠٢، ١٠٣).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٩٣).

هذه الآية[١].

الثاني: قوله: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»[٢] «**أقرب ما يكون الرَّبُّ من عبده في جوف الليل**»[٣] فهذا قربه من أهل طاعته، وفي «الصحيح»[٤] عن أبي موسى ﷺ قال: كنا مع النبي في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير، فقال: «**يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم؛ إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»، فهذا قرب خاصٌّ بالداعي دعاء العبادة والثناء والحمد، وهذا القرب لا يُنافي كمال مباينة الرَّبِّ لخلقه واستواءه على عرشه بل يجامعه ويلازمه، فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض ـ تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا ـ ولكنه نوع آخر، والعبد في الشاهد يجد روحه قريبة جدًّا من محبوب بينه وبينه مفاوز تتقطع فيها أعناق المطي ويجده أقرب إليه من جليسه»[٥].

وذهب **بعض العلماء** أن قربه تعالى نوعان عامٌّ وخاصٌّ، **فالقرب العامُّ** قربه بعلمه من جميع الخلق، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦]، **والقرب الخاصُّ** قربه من عابديه وسائليه ومحبيه، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٣١٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، رقم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب «في دعاء الضيف»، رقم (٣٥٧٩)، والنسائي، كتاب المواقيت، باب «النهي عن الصلاة بعد العصر»، (١/ ٢٧٩)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب «ما جاء في أي ساعات الليل أفضل»، رقم (١٣٦٤) من حديث عمرو بن عبسة ﷺ.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ٤٥٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب «ما يكره من رفع الصوت في التكبير»، رقم (٢٩٩٢)، مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٧٠٤).

(٥) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦٦).

[العَلق: ١٩][(١)]، إلا أن **المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله** على أن القُرْبَ لا يأتي إلَّا خاصًّا ولا يأتي عامًّا.

○ قوله: «**وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» تقدَّم المراد بالقُرْبِ، والقُرْبُ يكون قُرْب الله من العابدين بالإثابة وقُرْبه من السائلين بالإجابة.

وقد فسَّر **النووي وجماعة «وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»** أي: أتاه ثوابي مسرعًا[(٢)]، لكن هذا من ثمرات القُرْبِ، **والصواب** أن الهرولة وصف يليق بالله، ولا يلزم منه النقص؛ لأنه سبحانه لا يشابه المخلوقين في شيء من الصفات، لكن من أثر الصفة أن الله أسرع بالخير من العبد، وأن الله لا يقطع الثواب عن العبد حتى يقطع العبد العمل، فهو من القرب الخاص.

○ قوله: «**وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَكَتَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ «إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»»**» أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[(٣)]، وهو الدليل الثاني من السنة الذي استدل به المؤلف رحمه الله على إثبات أن لله نَفْسًا.

وقد تقدَّم ذكر المؤلف رحمه الله له في مبحث العُلُوِّ، **قال** رحمه الله: «**وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ ﷻ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ**

(١) «تفسير السعدي» (ص ٣٨٤، ٣٨٥).

(٢) شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٧/ ٣)، وانظر: شرح «صحيح البخاري» لابن بطال (١٠/ ٤٢٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨]، وقوله جل ذكره: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المَائدة: ١١٦]»، رقم (٧٤٠٤)، ومسلم، كتاب التوبة، رقم (٢٧٥١).

الْعَرْشِ»»[١].

وجه الدلالة: من قوله: «فَكَتَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ» فأثبت لله نَفْسًا.

وفي الحديث: إثبات صفة الرحمة.

وفيه: إثبات صفة الغضب.

(١) تقدَّم تخريجه.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْحَقِّ وَاتَّفَقَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ وَالصِّدْقِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُرَى فِي الْآخِرَةِ كَمَا جَاءَ فِي كِتَابِهِ وَصَحَّ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وَرَوَى جَرِيرُ بْنُ عَبْدِاللهِ الْبَجَلِيُّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ﷻ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩)﴾ [ق: ٣٩]، وَفِي رِوَايَةٍ: «سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا».

وَرَوَى صُهَيْبٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نُودُوا «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا لَمْ تَرَوْهُ»، فَيَقُولُونَ: «مَا هُوَ، أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟!»، قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، قَالَ: «فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ»، ثُمَّ تَلَا ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رضي الله عنه: «النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِأَعْيُنِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «مَنْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ» فَهُوَ كَافِرٌ»».

الشرح

انتقل المؤلف رحمه الله إلى إثبات صفة الرؤية.

وصفة الرؤية من الصفات التي اشتد فيها النـزاع بين **أهل السنة وأهل البدع**، وهي من العلامات الفارقة بينهما.

وتقدَّم أن صفة العُلُوِّ وصفة الكلام وصفة الرؤية هذه الصفات الثلاث من العلامات الفارقة بين **أهل السنة** وبين **أهل البدع**، فمن أثبتها فهو من **أهل السنة**، ومن نفاها فهو من **أهل البدع**.

أنكر **الجهمية والمعتزلة** رؤية الله في الآخرة[١] وقالوا: إن الله لا يُرى، وأما **الأشاعرة** فأثبتوا الرؤية لكن أنكروا الجهة، **قالوا**: إنه يُرى لا في جهة، لا أمام الرائي، ولا خلفه، ولا عن يمينه، ولا عن يساره، ولا فوقه، ولا تحته، وهذا هو المشهور عن **متأخري الأشعرية**، فصاروا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فوافقوا **أهل السنة** في أن الله يُرى، وخالفوهم في العُلُوِّ، فوافقوا **المعتزلة** في إنكار العُلُوِّ، ووافقوا **أهل السنة** في أنه يُرى.

وقالوا قولًا ضحك منهم العقلاء، فإذا قيل للأشاعرة: «إن الله يُرى»، **قالوا**: «نعم، أين يُرى؟»، قيل: «من فوق؟»، **قالوا**: «لا»، قيل: «من تحت؟»، **قالوا**: «لا»، قيل: «من أمام؟»، **قالوا**: «لا»، قيل: «من خلف؟»، **قالوا**: «لا»، قيل: «من يمين؟»، **قالوا**: «لا»، قيل: «من شمال؟»، **قالوا**: «لا»، قيل: «من أين يُرى؟!»، **قالوا**: «يُرى، لكن لا في جهة»، وهذا غير ممكن ولا معقول[٢]؛ لا بُدَّ أن يكون المرء بجهة من الرأي، فقالوا هذا القول[٣]، وعادة **الأشاعرة** أن يكونوا مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

○ قوله: «**وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْحَقِّ وَاتَّفَقَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ وَالصِّدْقِ**» وهم

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٦٢).

(٢) **قال ابن أبي العز**: «ومن قال: «يُرى لا في جهة» فليُراجِع عقله، فإما أن يكون مكابرًا لعقله أو في عقله شيء، وإلا فإذا قال: «يُرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته» ردَّ عليه كل من سَمِعَه بفطرته السليمة». شرح «العقيدة الطحاوية» (ص ٢١١).

(٣) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٣٢٦).

الرُّسُل والصحابة والتابعون والأئمة وأتباعهم ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة إلى يوم القيامة «**أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُرَى فِي الآخِرَةِ كَمَا جَاءَ فِي كِتَابِهِ وَصَحَّ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ**» فاتفقوا على إثبات الرؤية، وخالفهم **أهل الباطل.**

أما الكتاب: «**قَالَ اللهُ ﷻ:** ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]».

استدل المؤلف رحمه الله بقول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢)﴾ بالضاد أخت الصاد، من النَّضْرَة والبهاء والحُسْنِ، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ بالظاء أخت الطاء، يعني: تنظر إلى ربِّها، والمراد بها: تنظر إلى ربِّها بأبصارها.

وجه الدلالة: إضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة ﴿إِلَى﴾ الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدي بـ ﴿إِلَى﴾ خلاف حقيقته وموضوعه صريح في أن الله ﷻ أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرَّبِّ جلَّ جلاله(١).

واقتصر **المؤلف** رحمه الله على آية واحدة، والأدلة في هذا من كتاب الله تعالى كثيرة.

منها: قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد ثبت في «صحيح مسلم»(٢) عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟»، فَيَقُولُونَ: «أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟»، فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ** ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾»، ففسَّر

---

(١) انظر: «حادي الأرواح» لابن القيم (ص ٢٠٤).

(٢) يأتي تخريجه.

النبي ﷺ ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ في هذه الآية بالنظر إلى وجه الله الكريم، وسيسوقه **المؤلف** رحمه الله.

ومنها: قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [ق: ٣٥] كقوله ﷻ ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾.

ومنها: قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: ١٥] فدلت الآية بمنطوقها على أن الكفار محجوبون عن رؤية الله ﷻ فلا يرونه، ودلت الآية؟ بمفهومها على أن المؤمنين ينظرون إلى الله ﷻ وأنهم غير محجوبين عن رؤيته، وقد استدل **الإمام الشافعي** رحمه الله بهذه الآية على رؤية المؤمنين لربِّهم، **قال**: «**وفي هذه الآية**: دليل على أن المؤمنين يرونه ﷻ يومئذ»(١) وقال: «لَمَّا حجب قومًا بالسخط دل على أن قومًا يرونه بالرضا»(٢)، فانظر إلى دقة استنباطه رحمه الله.

وأما الأحاديث فهي متواترة كما قال **العلَّامة ابن القيم** رحمه الله(٣)، **وقد رواها عن النبي ﷺ أكثر من ثلاثين صحابي**(٤).

ومن ذلك: ما استدل به المؤلف رحمه الله فقال: «**وَرَوَى جَرِيرُ بْنُ عَبْدِاللهِ الْبَجَلِيُّ** رضي الله عنه **قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ﷻ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ** ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٤٨٦).
(٢) «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٦١).
(٣) «حادي الأرواح» (ص ٢٠٥).
(٤) **قال ابن حجر**: «جمع **الدارقطني** طرق الأحاديث الواردة في رؤية الله تعالى في الآخرة فزادت على العشرين، وتتبعها **ابن القيم** في «حادي الأرواح» فبلغت الثلاثين، وأكثرها جياد، وأسند **الدارقطني** عن يحيى بن معين قال: «عندي سبعة عشر حديثًا في الرؤية صحاح»». «فتح الباري» (١٣/ ٤٣٤).

ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩]»، والحديث مخرَّج في «الصحيحين»[(١)].

○ قوله: «**وَفِي رِوَايَةٍ**: «**سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا**»» وهي عند البخاري في «صحيحه»[(٢)].

○ وقوله: «**فَتَرَوْنَهُ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ**» ليس هذا تشبيه لله بالقمر ـ تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا ـ فالله تعالى لا يُماثِله شيءٌ من خلقه، وإنما المراد تشبيه الرؤية بالرؤية، **يقول العلماء**: «فشبَّه الرؤية بالرؤية ولم يُشبِّه المرئي بالمرئي»[(٣)]، فليس تشبيهًا لله بالقمر، وإنما تشبيه الرؤية بالرؤية، يعني: أنكم سترون ربكم رؤية واضحة من فوقكم كما ترون القمر رؤية واضحة من فوقكم.

○ قوله: «**لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» يُروى بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه: لا ينضم بعضكم إلى بعض وتزدحمون وقت النَّظر إليه، ويجوز ضم التاء وفتحها على تُفَاعِلون وتَتَفاعلون، ومعنى التخفيف: لا ينالكم ضَيمٌ في رؤيته، فيراه بعضكم دون بعض، والضَّيْمُ: الظُّلم[(٤)].

○ قوله: «**فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»، **ثُمَّ قَرَأَ** ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩]» والصلاة التي قبل طلوع الشمس صلاة الفجر، والتي قبل غروب الشمس صلاة العصر، وهاتان الصلاتان لهما شأن في أول النهار وآخره.

وفيه: الحثُّ على زيادة العناية بهاتين الصلاتين مع بقية الصلوات.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب «فضل صلاة العصر»، رقم (٥٥٤)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٣٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالى ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]»، رقم (٧٤٣٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٧).

(٤) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ١٠١).

وفيه: دليل أن المحافظة على هاتين الصلاتين من أسباب رؤية الله في الجنة، **قال الخطابي:** «قوله عقيب هذا «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**» يدل على أن الرؤية قد يُرجى نيلها بالمحافظة على هاتين الصلاتين، وخُصّتا بهذا كما خُصّتا بلقب التوسط من بين الخمس، وإن كانت كل واحدة من الخمس مستحقة لهذه الصفة وفي وضع الحساب»[1].

○ قوله: «**وَرَوَى صُهَيْبٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نُودُوا «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا لَمْ تَرَوْهُ»، فَيَقُولُونَ: «مَا هُوَ، أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟!»، قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، قَالَ: «فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ»، ثُمَّ تَلَا ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾** [يونس: ٢٦] **رَوَاهُ مُسْلِمٌ**» أخرجه مسلم في «صحيحه»[2].

وفي هذا الحديث: إثبات رؤية المؤمنين لربهم ﷻ.

وفيه: تفسير ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ بأنها الرؤية، وهذا مما فسَّرت فيه السنةُ الكتابَ العزيزَ.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فالذين أحسنوا هم المؤمنون فأحسنوا في عبادة الله وإلى الخلق، فلهم الحسنى وهي الجنة، ولهم الزيادة وهي النظر إلى وجه الله الكريم.

وفيه: دليل على أن رؤية الله تعالى أعظم نعيم يُعطاه أهل الجنة، حتى إنهم ينسون ما هم فيه من نعيم الجنة عند رؤيتهم لربهم.

وهذا يُؤيِّد **القول الصحيح** أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا،

---

(١) انظر: «شرح السنة» للبغوي (٢/ ٢٢٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨١).

وأن النبي ﷺ لم يرَ ربَّهُ ليلة المعراج[١]؛ لأنه نعيم وادُخِرَ للمؤمنين في الجنة فلا يراه أحد في الدنيا لا الرُّسُل ولا غيرهم، ولأن البشر لا يستطيعون الثبات لرؤية الله في الدنيا لبشريتهم الضعيفة.

○ قوله: «**وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ** ﷺ: «**النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِأَعْيُنِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»» والإمام **مالك بن أنس** رحمه الله إمام مشهور[٢]، والأثر أخرجه الآجري في «الشريعة»[٣]، وهذا دليل من أقوال السلف.

يقول: «**النَّاسُ** يَنْظُرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِأَعْيُنِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وهذا هو قول **أهل السنة والجماعة قاطبة**[٤]، **وقصده من هذا الردَّ على المعتزلة** الذين يُفسِّرون الرؤية بالعلم[٥] يقولون «**يَنْظُرُونَ** إِلَى اللهِ تَعَالَى» يعني: يعلمون الله بقلوبهم، ويُفسِّر **الأشاعرة** الرؤية بغير الجهة، **ومنهم** من وافق **المعتزلة**، وقال: إن المراد بالرؤية زيادة العلم في القلب، وهذا باطل.

○ قوله: «**وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «مَنْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ» فَهُوَ كَافِرٌ**»» أخرجه الآجري في «الشريعة»[٦].

وفيه: أن السلف كفَّروا من أنكر الرؤية، وهذا قول **أئمة السلف**[٧].

وهذا التكفير من **العلماء** لمن أنكر الرؤية إنما هو تكفير بالعموم،

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥١٠، ٥١١).

(٢) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٨ ـ ١٣٥).

(٣) «الشريعة» رقم (٥٧٤).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٣٦).

(٥) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٣٩٦).

(٦) «الشريعة» رقم (٥٨٠).

(٧) **قال ابن تيمية**: «والذي عليه **جمهور السلف** أن من جحد رؤية الله في الدار الآخرة فهو كافر، فإن كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك عُرِّفَ ذلك كما يُعرَّف من لم تبلغه شرائع الإسلام، فإن أصر على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر».
انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٨٦).

وفرق بين التكفير بالنوع والتكفير بالعين، فمن أنكر رؤية الله فهو كافر، ومن أنكر عُلُوَّ الله واستوائه على عرشه فهو كافر، لكن من قال بهذا القول لا نحكم عليه بالكفر حتى تقوم عليه الحجة وتُبيَّن له الأدلة؛ فيمكن أن يكون عنده شبهة، أو لم يبلغه النصُّ، فالمُعيَّن لا يكفر إلَّا بعد قيام الحجة ووضوحها وإصراره على إنكارها، أما تكفير **العلماء** لمن أنكر الرؤية فهو تكفير بالنوع.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَمِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ: أَنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا بِكَلَامٍ مَسْمُوعٍ مَفْهُومٍ مَكْتُوبٍ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

وَرَوَى عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَنْظُرُ إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ».

وَرَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ: لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا جَابِرُ، أَلَّا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ لِأَبِيكَ؟»، قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: «وَمَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، قَالَ: «يَا عَبْدَاللهِ، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِيكَ»، قَالَ: «يَا رَبِّ، تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً»، قَالَ: «إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ»، قَالَ: «فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩] رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه».

الشرح

انتقل **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ إلى إثبات صفة الكلام، وسيطيل فيها، وهي من الصفات التي اشتد النزاع فيها بين **أهل السنة وأهل البدع**، وهي من العلامات الفارقة بينهما.

قوله: «وَمِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ» وهم الرُّسُل وأتباعهم، من

الصحابة والتابعين، وتابيعهم، والأئمة والعلماء، وهم أهل السنة والجماعة: **«أَنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا بِكَلَامٍ مَسْمُوعٍ مَفْهُومٍ مَكْتُوبٍ»**.

يقول **أهل السنة**: إن الله تعالى مُتكلِّم بحرف وصوت مسموع مفهوم، سمعه جبرائيل منه ﷻ، وينادي الله تعالى الناس يوم القيامة ويسمعون كلامه.

فكلام الله مسموع تفهمه القلوب وتعلمه، وكلامه مقروء بالألسن أيضًا، مكتوب في المصاحف، فكلام الله إذا قرأه قارئ فهو مقروء له، وإذا سمعه السامع فهو مسموع له، وإذا حفظه الحافظ فهو محفوظ له، وإذا علمه وفهمه في قلبه فهو معلوم له ومفهوم، وهو في هذه المواضع كلها حقٌّ، أي: في المواضع كلها حقيقة وليس مجازًا؛ لأن المجاز يصح نفيه، فيُقال: «ما قرأ القارئ كلام الله»، «ما سمع القارئ كلام الله»، وهذا باطل ولا يصح، بل يدل على الحقيقة، يُقال: «قرأ القارئ كلام الله من المصحف»، «سمع السامع كلام الله»، «كتب الكاتب كلام الله»، «حفظ الحافظ كلام الله»، «نظر الناظر في كلام الله»، فهو حقٌّ حقيقة في هذه المواضع كلها[١].

واستدل **المؤلف** رحمه الله من الكتاب العزيز، **فقال**: «**قَالَ** اللهُ ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]»، واقتصر رحمه الله على هذه الآية، وهناك أدلة آخر، **منها**:

١- قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾ [الأعراف: ٢٢] فنادى الله تعالى الأبوين.

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٣- قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾

---

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٩٥)، و«مجموع الفتاوى» (١٢/ ٩٧، ٩٨).

[مَريَم: ٥٢]، والنداء هو الكلام من بُعْدٍ والمناجاة الكلام من قُرْبٍ، **وفي هذا**: إثبات الكلام لله تعالى وأنواعه من النداء والنجاء كما هو **مذهب أهل السنة والجماعة**(١).

٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٠]، والآيات كثيرة.

وأنكر **أهل البدع** الكلام، **قالوا**: لو كان الله يتكلَّم لكان الكلام بحرف وصوت ولصار محلًا للحوادث، فيحدث الكلام والحروف في ذاته، وهذا لا يليق به إنما يليق بالمخلوق الحادث(٢)، وهذا باطل؛ لأن هذا في كلام المخلوق وكلام الله لا يُشابه كلام المخلوق، إنما يحل الحوادث في ذات المخلوق، والرَّبُّ يتكلَّم بكلام ليس مثل كلام المخلوقين، ولا نعلم كيف يتكلَّم ﷻ.

وقالوا: لو قلنا إن الله يتكلَّم للزم من ذلك أن يكون له شفتان وأضراس وأسنان؛ لأن الذي يتكلَّم لا بُدَّ أن يُخرِج الحروف من الشفتين والأضراس والثنية العليا والسفلى وحافة اللسان، والله مُنَزَّهٌ عن ذلك.

نقول: من قال إن هذا يلزم؟! فنحن نرى بعض المخلوقات تتكلَّم وليس لها أضراس ولا لسان، فالجلود تنطق قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النُّور: ٢٤] وليس لها لسان، وكان الحجر يُسلِّم على النبي ﷺ، في «صحيح مسلم»(٣) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**» وليس له لسان، وسُمِعَ

---

(١) «تفسير السعدي» (ص ٤٩٦).

(٢) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٢٧٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٢٧٧).

تسبيح الطعام بين يدي النبي ﷺ، روى البخاري في «صحيحه»[١] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «...، **فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ**» وليس للطعام لسان، فإذا كانت بعض المخلوقات تتكلَّم ولا نعرف كيف تتكلَّم فكيف تُنكِرون أن الله يتكلَّم ولا نعرف كيف يتكلَّم؟!، لكن **أهل البدع** - والعياذ بالله - ابتُلُوا بمخالفة النصوص والإعراض عنها وتأويلها ودفعها، نسأل الله السَّلامة والعافية.

وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] هذا إخبار بأن الله شَرَّفَ موسى عليه الصلاة والسلام بكلامه، وأكَّدَ بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازه، هذا هو الغالب[٢]، فهذا المصدر ﴿تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ ينفي التأويل والمجاز.

وقد شقَّتْ الآيات التي فيها أن الله يتكلَّم على **الجهمية**، حتى تمنى **بعضهم** أن يمحوا آيات الكلام من المصحف - والعياذ بالله -، بل حَرَّفَ **بعض الجهمية** قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ وقرأها «**وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَى تَكْلِيمًا**» فجعل اللهَ هو المُكَلَّمُ وموسى هو المُتكلِّمُ حتى ينفي عن الرَّبِّ صفة الكلام، وتأوَّل **بعض الجهمية** التكليم بالتجريح، إذ يقال للكلْم: جرح[٣]، فقالوا في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ أي: جرحه بأظافير الحكمة تجريحًا[٤]، ولكن ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ [المائدة: ٤١]، فلا حيلة في من أضلَّهُ الله، فالجهمية لمَّا لم يستطيعوا تحريف لفظ الآية

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب «علامات النبوة في الإسلام»، رقم (٣٥٧٩).

(٢) «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٤١٤).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (١٠/ ١٤٧).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٦٥).

حرفوا معناها[١].

○ قوله: «**وَرَوَى عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَنْظُرُ إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ**» أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[٢].

○ قوله: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» فيه: إثبات كلام الله، وأنه يكلم كل أحد يوم القيامة.

○ قوله: «**لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ**»، و«ترَّجم فلان كلامه» إذا بيَّنَهُ وأوضحه، و«ترجم كلام غيره» إذا عَبَّرَ عنه بلغة غير لغة المتكلِّم، واسم الفاعل «ترجمان»، وفيه لغات، **الأولى**: فتح التاء وضم الجيم، **والثانية**: ضمهما معًا بجعل التاء تابعة للجيم، **والثالثة**: فتحهما بجعل الجيم تابعة للتاء[٣]، **والرابعة** ـ وفيها ضعف ـ: بضم التاء وفتح الجيم. وعلى هذا فلا أحد يغلط في هذا.

○ قوله: «**ثُمَّ يَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَنْظُرُ إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ**» أي: فينظر العبد عن يمينه فلا يرى إلَّا عمله أمامه، وينظر عن شماله فلا يرى إلَّا عمله أمامه، «**ثُمَّ يَنْظُرُ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ**».

○ قوله: «**فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» أي: نصفها «**فَلْيَفْعَلْ**» أي: فمن استطاع أن يَقِيَ وجهه النار فيجعل بينه

---

(١) انظر: «منهاج السنة» (٥/ ٤٢٤)، و«شرح الأصفهانية» (١/ ١١١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم»، رقم (٧٥١٢)، ومسلم، كتاب الزكاة، رقم (١٠١٦).

(٣) «المصباح المنير» للفيومي (١/ ٧٤).

وبينها حجابًا بشقِّ تمرة فليفعل ويتصدق بها على فقير، فإذا أعطيتَ الفقير نصف تمرة وهذا أعطاه نصف تمرة وهذا أعطاه نصف تمرة تجمَّع عنده شيء سَدَّ به جوعه.

وفي هذا: فضل الصدقة، وأن الصدقة تَقِي من النار.

وفي لفظ آخر: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[1]، فإذا كنت لا تستطيع أن تتصدَّق ولا بشيء قليل فالكلمة الطيبة تقوم مقام الصدقة، فترد الفقير بكلام طيب، تقول له: «يا أخي، ما عندي شيء الآن، ولكن ـ إن شاء الله ـ تأتينا في المستقبل سيأتينا خير، وتأتينا في يوم كذا أو بعد كذا».

وفي الحديث: إثبات الكلام لله تعالى، وهو صريح في ذلك، وأن ما من أحد إلَّا وسيُكلِّمه الله تعالى يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان يترجم له.

وفيه: الردُّ على أهل البدع كالجهمية والمعتزلة وغيرهم الذين أنكروا كلام الله.

○ قوله: «**وَرَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ قَالَ: لَمَّا قُتِلَ عَبْدُاللهِ بْنُ عَمْرِو ابْنِ حَرَام قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا جَابِرُ، أَلَّا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ لِأَبِيكَ؟»، قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: «وَمَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، قَالَ: «يَا عَبْدَاللهِ، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِيكَ»، قَالَ: «يَا رَبِّ، تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً»، قَالَ: «إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُون»، قَالَ: «فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي»»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩] رَوَاهُ**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب «علامات النبوة في الإسلام»، رقم (٣٥٩٥)، ومسلم، كتاب الزكاة، رقم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

ابْنُ مَاجَه» رواه ابن ماجه، وكذا الترمذي[١].

○ قوله: «**وَمَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا**» أي: مواجهة ليس بينهما حجاب[٢].

وفيه: إثبات الكلام لله ﷻ.

وفيه: منقبة لعبد الله بن حرام ـ وهو والد جابر رضي الله عنهما، وقد قُتِل شهيدًا في غزوة أحد[٣] ـ أن الله تعالى كلَّمه بدون واسطة، وأما غيره فمن وراء حجاب، قال الله له: «**يَا عَبْدَاللهِ، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِيَكَ**»».

■ **مسألة**: ذكر بعضهم أن في الحديث أن عبدالله بن حرام رضي الله عنه رأى الله، وإنما في الحديث الله كلمه بدون حجاب، ولو قيل به: فإنه بعد الموت، ورؤية الله لا تكون إلا بعد الموت، ففي الحديث: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكِم لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ**»[٤].

○ قوله: «**قَالَ: «يَا رَبُّ، تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً**»» لَمَّا رأى عبدالله بن حرام رضي الله عنه فضل الشهادة وأنها منزلة عالية وأن الشهيد له فضل عظيم تمنى أن يُعاد للدنيا مرة ثانية حتى يُقتل شهيدًا ثانيةً ليضاعف له الأجر فيصير بأجر شهيدين.

○ قوله: «**قَالَ: «إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعون**»» أي: لا

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة آل عمران»، رقم (٣٠١٠)، وابن ماجه، في المقدمة، باب «فيما أنكرت الجهمية»، رقم (١٩٠).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه».
وقال المنذري: «رواه الترمذي وحَسَّنه، وابن ماجه بإسناد حسن أيضًا، والحاكم وقال: «صحيح الإسناد»». «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٠٦).
وقال ابن القيم: «وإسناده صحيح». «حادي الأرواح» (ص ٢٢٦).
(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/ ١٨٥).
(٣) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٢٤ ـ ٣٢٨).
(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفتن» رقم (٢٩٣١).

يَرْجِعون إلى الدنيا أو لا يُرْجَعون، وهذا كتبه الله أنهم إليها لا يرجعون.

○ قوله: «قَالَ: «فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]» بَلَّغَ الله تعالى عن عبدالله بن حرام وعن الشهداء وأخبر الله عن حالهم أنهم في عيش طيب وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، لا تحسبنهم أمواتًا بل هم أحياء، حياة برزخية غير الحياة الحقيقية، فقد زالت عنهم الهموم والأكدار والأنكاد والأمراض والأسقام والخوف والفتن التي كانت في الدنيا، وتحققوا السعادة الأبدية، ولهذا جاء في «الصحيحين»(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا الشَّهِيدَ؛ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى**» أيُّ مسلم يموت وله منزلة ويرى مكانه في الجنة لا يحب أن يرجع إلى الدنيا أبدًا؛ لأنه زالت عنه جميع المكدرات والهموم والأسقام والأمراض وخوف الموت والفتن التي كان معرّضا لها في الدنيا، إلَّا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع حتى يُقتل مرة أخرى لِمَا يرى من فضل الشهادة.

وللشهداء منزلة عالية عند الله، في «صحيح مسلم»(٢) عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَاللهِ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب «الحور العين وصفتهن يحار فيها الطرف شديدة سواد العين شديدة بياض العين، ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ﴾ [الدّخان: ٥٤] أنكحناهم»، رقم (٢٧٩٥)، ومسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٨٧٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٨٨٧).

فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً فَقَالَ: «هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟»، قَالُوا: «أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟!»، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: «يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى»، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا»، لَمَّا بذل الشهداء أجسادهم لله حتى قُتِلُوا عَوَّض الله أرواحهم أجسادًا - وهي حواصل طير خضر - تتنعم بواسطتها، فكان تَنَعُّمُ الشهيد أكبر من تَنَعُّمِ المؤمن غير الشهيد وإن كان كل منهما روحه في الجنة، فحياة الشهداء حياة البرزخية، وهي أكمل من حياة المؤمنين من غير الشهداء.

وحياة الأنبياء أكمل من حياة الشهداء، قال الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر: ٣٠]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤] ومع ذلك جسده عليه الصلاة والسلام طري في قبره؛ لأن الله قد حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء؛ عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»**، قَالَ: قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ - يَقُولُونَ: بَلِيتَ -؟!»، فَقَالَ: **«إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»**[1].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب «فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة»، رقم (١٠٤٧)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب «إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة»، (٣/ ٩١)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب «في فضل الجمعة»، رقم (١٠٨٥)، وأحمد (٤/ ٨).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ٤١٣).

وقال النووي: «رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح». «خلاصة الأحكام» (٢/ ٨١٤).

وقال ابن القيم: «إسناده صحيح». «جلاء الأفهام» (ص ٨٠).

■ **مسألة: هل يبقى جسد الشهيد كما يبقى جسد الأنبياء؟**

الله أعلم، لكن وُجِدَ بعض الشهداء من تبقى أجسادهم مدة طويلة لم تَبْلَ، وكأنه ـ والله أعلم ـ كلما كانت الشهادة أكمل كلما كان بقاء جسده أطول.

أما الأنبياء فإن الأرض لا تأكل أجسادهم؛ لأن الله حَرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ومع ذلك فهم ميتون في أحكام الدنيا، وهم أحياء حياة برزخية.

والروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه، فهي تذهب وتختلط بالأرواح، وقد تختلط بأرواح الأموات، لكنها سريعة، فإذا حركت رجله رجعت روحه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه؛ إذ تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا(١).

والكفار ـ والعياذ بالله ـ تُعذَّب أرواحهم وأجسادهم، كل منها يأخذ قسطه من العذاب، والمؤمن ـ نسأل الله الكريم من فضله ـ يُنعَّم بدنه وروحه، كل منهما يأخذ قسطه كاملًا.

---

(١) «الروح» لابن القيم (ص ٤٣، ٤٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ ﷻ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ.

وَالْمَسْمُوعُ مِنَ الْقَارِئِ كَلَامُ اللهِ ﷻ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِنَ التَّالِي.

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

وَهُوَ مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]».

الشرح

○ قوله: «**وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ ﷻ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ**» هذا هو معتقد **أهل السنة والجماعة**، وهو الذي دلت عليه النصوص.

القرآن كلام الله ألفاظه ومعانيه، وليس كلام الله ألفاظه دون المعاني ولا المعاني دون الحروف[(١)]، خلافًا لأهل البدع، فإن **المعتزلة** أنكروا أن يكون القرآن كلام الله، بل **قالوا**: إن القرآن مخلوق لفظه ومعناه، **وقالت الأشاعرة**: ليس في المصحف كلام الله، كلام الله معنى قائم بنفس الرَّبِّ، والرَّبُّ سبحانه اضطر جبريل ففهم المعنى القائم بنفسه على قولين، **منهم من يقول**: إن القرآن عَبَّرَ به جبريل عن المعنى

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٤٤)، (٣/ ١٧٢)، (٣/ ٢٠٨)، (٦/ ٥٣٥-٥٤٠)، (١٢/ ٣٥-٣٦)، (١٢/ ٢٤٤)، (١٢/ ٣٧٥)، (١٢/ ٥٢٦-٥٣٢)، (٣٣/ ١٧١-١٧٢).

الذي في نفس الله، **ومنهم من قال**: الذي عَبَّرَ به محمد، **ومنهم طائفة ثالثة** قالت: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ، ولم يتكلَّم الله تعالى بالقرآن ولم يسمعه منه، وهذه أقوال باطلة.

يتبيَّن بهذا أن **المعتزلة** يقولون: القرآن مخلوق لفظه ومعناه، **والأشاعرة** يقولون: القرآن هو المعنى واللفظ مخلوق، فاللفظ كلام البشر، فيكون مذهب **الأشاعرة** نصف مذهب **المعتزلة**؛ يقول **المعتزلة**: القرآن اللفظ والمعنى مخلوقان، وتقول **الأشاعرة**: اللفظ والحروف مخلوقة والمعنى ليس بمخلوق، ولهذا فإن **بعض الأشاعرة** - والعياذ بالله - يغلو فيطأ المصحف بقدمه، ويقول: «ليس في المصحف كلام الله»، وهذا كفر ناشئ عن هذا المذهب الباطل بأن القرآن هو المعنى القائم بنفس الرَّبِّ، وأن الحروف والألفاظ ليست من كلامه سبحانه[١].

ولهذا قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ في «العقيدة الواسطية»[٢] وهي عقيدة عظيمة مختصرة في معتقد **أهل السنة والجماعة**، أنصح كل طالب علم أن يحفظها، **قال** رَحِمَهُ اللهُ: «**ومن الإيمان بالله وكُتُبِهِ**: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلَّم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة؛ فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا إلى من قاله مُبلِّغًا مؤدِّيًا، وهو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف».

---

(١) انظر: «الحجة في بيان المحجة» لأبي القاسم الأصبهاني (١/ ٤٢٩)، و«الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار» ليحيى بن أبي الخير العمراني (٢/ ٥٤٤).

(٢) «العقيدة الواسطية» (ص ٣٠).

○ قوله: «**وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ ﷻ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ**» يعني: أوحاه الله إلى جبريل، فسمعه جبرائيل من الله ﷻ فنزل به على قلب محمد ﷺ كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٢-١٩٤]، فالقرآن مُنزَّلٌ غير مخلوق، ومن قال: «إنه مخلوق» كَفَر.

○ قوله: «**وَالْمَسْمُوعُ مِنَ الْقَارِئِ كَلَامُ اللهِ ﷻ**» حينما يقرأ القارئ يُسْمَع منه كلام الله، وأما الصوت فهو صوت القارئ، كما **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ: «والصوت صوت القارئ والكلام كلام الباري»[(١)].

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ**»[(٢)] **فأضاف ﷺ الأصوات إليهم والصوت يُنسب إلى الإنسان، وفي «الصحيحين»**[(٣)] **عَنْ الْبَرَاءِ** رضي الله عنه **قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ** يَقْرَأُ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين: ١] فِي الْعِشَاءِ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ أَوْ قِرَاءَةً» فأضاف الصوت إليه ﷺ، فالصوت صوت العبد، **ومنهم**: من صوته حسن، **ومنهم**: من صوته ثخين، **ومنهم**: من صوته دقيق، والقرآن والكلام كلام الله تعالى.

واستدل **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ على أن المسموع من القارئ كلام الله ﷻ فقال: «**قَالَ اللهُ ﷻ**: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] **وَإِنَّمَا سَمِعَهُ**

---

(١) «الرد على المنطقيين» (ص ٥٤٢).

(٢) علقه البخاري في «صحيحه» بالجزم، فقال في ترجمة «باب قول النبي ﷺ «الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة، وزينوا القرآن بأصواتكم».
وأخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب «استحباب الترتيل في القراءة»، رقم (١٤٦٨)، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب «تزيين القرآن بالصوت»، (٢/١٧٩)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب «في حسن الصوت بالقرآن»، رقم (١٣٤٢)، وأحمد (٤/٢٨٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الآذان، باب «القراءة في العشاء»، رقم (٧٦٩)، ومسلم، كتاب الصلاة، رقم (٤٦٤).

مِنَ التَّالِي» فأخبر أن ما يسمعه المستجير هو كلام الله، والمستجير يسمعه بصوت القارئ(١).

○ قوله: «وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]» فأضاف الكلام إلى الله تعالى.

○ قوله: «وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]» ﴿ٱلذِّكْرَ﴾ هو القرآن، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ فهو مُنزَّل، أُنزل من عند الله على النبي ﷺ، والله تعالى في العُلُوِّ فتكلَّم بهذا القرآن وسمعه جبرائيل، ونزل به على قلب محمد ﷺ.

○ قوله: «وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]» خطاب للنبي ﷺ، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٩٢﴾ أي: أنزله الله عليك وأوحاه إليك، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ وهو جبريل عليه السلام ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يعني: يا محمد ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾.

○ قوله: «وَهُوَ مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ» يعني: كلام الله تعالى محفوظ في صُدُور حفظته «كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]».

القرآن كلام الله، مقروء بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، وهو في هذه المواضع كلها حقٌّ ليس بمجاز؛ لأنه لو كان مجازًا لصح نفيه، ولقِيل: «ما قرأ القارئ كلام الله»، و«ما سمع السامع كلام الله»، و«ما حفظ الحافظ كلام الله»، وهذا باطل؛ لا يتوجه نفيه فدل على أنه حقيقة.

❁ ❁ ❁

---

(١) «الرد على المنطقيين» (ص ٥٤٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ؛ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ مِنْ عُقُلِهِ»».

الشَّرْح

الحديث أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[(١)].

○ قوله: «**اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ؛ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ مِنْ عُقُلِهِ**» **قال أهل اللغة**: التَّفصِّي: الانفصال، وهو بمعنى الرواية الأخرى «**أشد تفلتًا**»[(٢)].

النَّعم: أصلها الإبل والبقر والغنم، والمراد هنا: الإبل خاصَّة؛ لأنها التي تعقل، والعُقُل بضم العين والقاف ويجوز إسكان القاف وأصل العقل مصدر عقلت البعير بالعقال أعقله عقلا، والعقال: حبل يثنى به يد البعير إلى ركبتيه فيشد به[(٣)].

وفيه: الحث على استذكار القرآن.

○ قوله: «**اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ**» يدل على أن القرآن محفوظ في الصدور ويستذكره الإنسان، فدل على أن الحافظ يحفظ كلام الله ولهذا

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب «استذكار القرآن وتعاهده»، رقم (٥٠٣٢)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٩٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٩١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) تهذيب اللغة (١/ ١٥٩)، وشرح النووي على «صحيح مسلم» (٦/ ٧٧).

يستذكره حتى لا ينساه.

شَبَّه النبي ﷺ تفلت القرآن من الصدور بتفلّت الإبل المعقلة تتفلت شيئًا بعد شيء، لكن إذا كان صاحبها يتعاهدها فالذي يتفلت يربطه ثبتت في مكانها، كذلك الإنسان إذا كان يستذكر القرآن بقي، وإذا كان لا يستذكره نسيه.

والشاهد: قوله: **اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ**»؛ فإنه يدل على أن القرآن محفوظ في الصدور.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ، مَنْظُورٌ بِالْأَعْيُنِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝٣﴾ [الطور: ١-٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۝٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]».

الشَّرْح

○ قوله: «**وَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ**» يعني: أن القرآن مكتوب في المصاحف.

○ قوله: «**مَنْظُورٌ بِالأَعْيُنِ**» كما أنه مقروء بالألسن، ومسموع بالآذان، وهو في هذه المواضع كلها حقيقة.

استدل **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ على أن القرآن مكتوب في المصاحف، فقال: «**قَالَ** اللهُ ﷻ: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝٣﴾ [الطور: ١-٣]»، ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢﴾ وهو القرآن، ﴿فِي رَقٍّ﴾ أي: الجلد، ﴿مَنْشُورٍ ۝٣﴾ يعني: مكتوب في رَقٍّ.

○ قوله: «**وَقَالَ** ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۝٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]» فدل على أن القرآن مكتوب في المصاحف، إذًا المصاحف فيها كلام الله.

وفيها: الردُّ على **الأشاعرة** الذين يقولون: إن المصاحف ليس فيها كلام الله، بل المكتوب فيها ما عُبِّرَ به عن كلام الله، أما كلام الله فهو في نفسه لا يُسْمَع، وهذا من أبطل الباطل؛ فالقرآن مسموع بالآذان، مقروء بالألسن، منظور بالأعين، محفوظ في الصدور، مكتوب في

المصاحف، فإذا فتح الإنسان المصحف وقرأ فهو ينظر إلى كلام الله، وإذا قرأه فهو يقرأ كلام الله، وإذا سمعه فهو يسمع كلام الله، وإذا كتبه فهو يكتب كلام الله، وهو في هذه المواضع كلها حقٌّ، وهذا هو **الصواب** الذي عليه **أهل السنة والجماعة** كما دلت عليه النصوص، خلافًا **لأهل البدع**.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَرَوَى عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ أَنَّ «النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ».

الشَّرح

أخرج الحديث البخاري ومسلم في «صحيحيهما»(١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فيه**: النهي عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار للعلة المذكورة في الحديث، وهي خوف أن ينالوه فينتهكوا حرمته، فإن أُمِنت هذه العلة بأن يدخل في جيش المسلمين الظاهرين عليهم فلا كراهة ولا منع منه حينئذ؛ لعدم العلة، هذا هو **الصحيح**.

وهذه العلة المذكورة في الحديث هي من كلام النبي ﷺ، وغلط **بعض المالكية** فزعم أنها من كلام **مالك**»(٢).

وقد اختلفت الحال الآن، فلا يُخشى عليه؛ فصارت تناله أيديهم دون اختيارنا، فقد أخذوه منذ أزمنة طويلة، فالمصاحف موجودة عند الكفار، لكن وجه الحديث مخافةَ أن تناله أيديهم فيمتهنوه(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب «السفر بالمصاحف إلى أرض العدو»، رقم (٢٩٩٠)، ومسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٨٦٩).

(٢) شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٣/١٣).

(٣) جاء في فتاوى اللجنة الدائمة برئاسة شيخنا سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز: «يجوز حمله إلى بلادهم؛ للبلاغ وإقامة الحجة عليهم، وللتحفظ والتفهم لأحكامه عند الحاجة إذا كان للمسلمين قوة أو سلطان أو ما يقوم مقامهما من العهود والمواثيق ونحو ذلك مما يكفل حفظه ويرجى معه التمكن من الانتفاع، ويؤيده علة النهي المذكورة) (٤/٦٣)، (٢٤/٩٦).

والشاهد من الحديث: أنه ﷺ نهى أن يُسَافر بالقرآن ـ يعني بالمصحف ـ، فدلَّ على المصحف فيه القرآن، قال ابن القيم رحمه الله: «ومن المعلوم بالضرورة أنه لا محذور في السفر إلى أرض العدو بمداد وورق وكاغد، وإن النهي إنما وقع عن السفر بالكلام الذي تضمنه الورق والمداد، فهو المقصود لذاته، والورق والمداد مقصود قصد الوسائل، ولهذا يرغب الناس في الكتاب المشتمل على الكلام الذي ينتفع به ويتنافسون فيه ويبذلون فيه أضعاف ثمن الكاغد والمداد، لعلمهم أن المقصود هو الكلام نفسه لا المداد والورق»[١].

وفيه: الردُّ على **الأشاعرة** الذين يقولون المصحف ليس فيه القرآن وإنما فيه ما عُبِّرَ به عن كلام الله، ولذلك ـ والعياذ بالله ـ **بعض غلاتهم وفساقهم** يهين المصحف ويطأه بقدمه، ويقول: «ليس فيه كلام الله».

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (ص٥١٩).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه: «مَا أُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ حَتَّى أَنْظُرَ فِي كَلَامِ اللهِ عز وجل»، يَعْنِي: الْقِرَاءَةَ فِي الْمُصْحَفِ».

الشَّرْح

أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في «السنة»(١)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء»(٢).

والشاهد: «**حَتَّى أَنْظُرَ فِي كَلَامِ اللهِ عز وجل**» فدل على أن كلام الله منظور في المصاحف، فالإنسان إذا قرأ في المصحف ينظر إلى كلام الله تعالى، كما أنه يقرأ كلام الله فهو ينظر إلى كلام الله.

وفي هذا الأثر: دليل على أن المصحف فيه كلام الله ينظره القارئ، كما أن من قرأ القرآن فهو يقرأ كلام الله، وكما أن من سمع قارئ القرآن فهو يسمع كلام الله، ومن كتب القرآن فهو يكتب كلام الله، وكذا من نظر في المصحف فهو ينظر إلى كلام الله، وهو في هذه المواضع كلها حقيقة.

---

(١) «السنة» رقم (١٢٢).

(٢) «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «كَانَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ رضي الله عنه يَأْخُذُ الْمُصْحَفَ فَيَضَعُهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَيَقُولُ: «كِتَابُ رَبِّي عز وجل، وَكَلَامُ رَبِّي عز وجل»».

الشَّرح

أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في «السنة»[١].

○ قوله: «**وَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ**» هو عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة رحمه الله، وهو من التابعين[٢].

○ قوله: «**كَانَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ رضي الله عنه**» هو عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، كان من أشد الناس على رسول الله ﷺ، ثم أسلم عكرمة عام الفتح وخرج إلى المدينة، ثم إلى قتال أهل الردة، ووجهه أبو بكر الصديق إلى جيش نعمان فظهر عليهم، ثم إلى اليمن ثم رجع فخرج إلى الجهاد عام وفاته فاستشهد[٣]

○ قوله: «**كَانَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ رضي الله عنه يَأْخُذُ الْمُصْحَفَ فَيَضَعُهُ عَلَى وَجْهِهِ**» وهذا اجتهاد منه رضي الله عنه «**فَيَقُولُ: «كِتَابُ رَبِّي عز وجل، وَكَلَامُ رَبِّي عز وجل»**».

وتجد **بعض العامة** الآن إذا أخذ المصحف قَبَّله أو وضعه على

(١) «السنة» رقم (١١٠).

(٢) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٥/٨٨ ـ ٩٠).

(٣) «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٤/٥٣٨).

جبهته، وهذا جاء من فعل عكرمة بن أبي جهل ولم يرد عن النبي ﷺ أنه فعل شيئًا من ذلك ولا عن كبار الصحابة أنهم فعلوا شيئًا من ذلك، **فالأولى** ترك ذلك.

ولو قبَّله الإنسان ولم يعمل به لم يُفِده التقبيل، فالمهم العمل بهذا القرآن بتنفيذ أحكامه، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والانزجار بزواجره، والاتعاظ بمواعظه، والوقوف عند حدوده، والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه؛ هذا الذي ينفع الإنسان وهو الذي عليه مدار سعادته.

﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَأَجْمَعَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ وَالْمُقْتَدَى بِهِمْ مِنَ الْخَلَفِ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ».

الشَّرح

○ قوله: **«وَأَجْمَعَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ وَالْمُقْتَدَى بِهِمْ مِنَ الْخَلَفِ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ»** قال بهذا **أئمة السلف والمُقْتَدَى بهم** من الخلف[1]، ولا عبرة **بأهل البدع** الذين خالفوا في ذلك.

من قال: «القرآن مخلوق» فهو كافر، كما أن من أنكر رؤية الله فهو كافر.

وكما تقدَّم فهذا حكم على العموم، فيُقال: «من قال: «القرآن مخلوق» كافر»، أما الشخص المعيَّن فلا بُدَّ من قيام الحجة عليه، فلا يكفر حتى توجد الشروط وتنتفي الموانع، فإذا وجدت الشروط وانتفت الموانع حُكِمَ بكفره؛ لأن الشخص المعيَّن قد يكون جاهلًا، وقد يكون تكلَّم بكلام لا يفهم معناه، وقد يكون قد دخل في الإسلام جديدًا فلا يعلم الحكم، وقد يكون شُبِّه ولُبِّسَ عليه، فالشخص المعيَّن لا يكفر إلَّا بعد قيام الحجة عليه، لكن على العموم من قال: «القرآن مخلوق» فهو كافر، ومن أنكر رؤية الله تعالى فهو كافر.

وزعم قوم أن هذا القرآن كلام الله ووقفوا، وقالوا: «لا نقول

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٤٨٧).

مخلوق ولا غير مخلوق»، وهم الواقِّفة، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ: «**وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني** - صاحب «حلية الأولياء» وغير ذلك من المصنفات المشهورة في الاعتقاد الذى جمعه -: «طريقنا طريق السلف المتَّبِعين الكتاب والسنة وإجماع الأمة»، وذكر أن مما اعتقدوه «أن القرآن كلام الله، وكذلك سائر كتبه المُنَزَّلة كلامه غير مخلوق، وأن القرآن من جميع الجهات مقروءًا ومتلوًّا ومحفوظًا ومسموعًا ومكتوبًا وملفوظًا وأنه كلام الله حقيقة لا حكاية ولا ترجمة، وأنه بألفاظنا كلام الله غير مخلوق، **وأن الواقفة واللفظية من الجهمية وأن من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد به خلق كلام الله فهو عندهم من الجهمية، وأن الجهمي عندهم كافر**»[١].

❊ ❊ ❊

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٩٠).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ: «لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ»».

الشَّرْح

أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في «السنة»(١).

○ قوله: «**قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ: «لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ**»؛ لأنه صفة من صفاته، فالله تعالى هو الخالق بذاته وصفاته، أما الكلام فهو صفة الله.

○ قوله: «**مِنْهُ بَدَأَ**» يعني: أن القرآن بدأ من الله، أي: أن الله تكلَّم به.

○ قوله: «**وَإِلَيْهِ يَعُودُ**» يعني: يُرفع القرآن في آخر الزمان من السطور والصدور، فإذا ترك الناس العمل بهذا القرآن رُفِع في آخر الزمان، وهو من أشراط الساعة الكبار بعد خروج المهدي والدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى بن مريم فتتابع أشراط الساعة:

فمنها: الدخان.

ومنها: طلوع الشمس من مغربها.

ومنها: الدابة.

ومنها: نزع القرآن من المصاحف ومن صدور الرجال إذا ترك الناس العمل به ـ نعوذ بالله ـ، فينزع من صدورهم ومن مصاحفهم فيصبحون فلا يجد أحد في صدره آية ولا في المصاحف شيئًا.

---

(١) «السنة» رقم (١٣٥).

وأورد **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ قولَ **الإمام أحمد** «كلام الله من الله ليس ببائن منه» ثم **عَقَّبَ عليه بقوله**: «وهذا معنى قول **السلف** «القرآن كلام الله، منه بدأ، ومنه خرج، وإليه يعود»، **ثم قال**: «وليس معنى قول **السلف والأئمة** إنه منه خرج ومنه بدأ أنه فارق ذاته وحلَّ بغيره؛ فإن كلام المخلوق إذ تكلَّم به لا يُفارِق ذاته ويحل بغيره فكيف يكون كلام الله؟!، قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ٥]، فقد أخبر أن الكلمة تخرج من أفواههم ومع هذا فلم تُفارِق ذاتهم، وأيضًا فالصفة لا تُفارِق الموصوف وتحل بغيره لا صفة الخالق ولا صفة المخلوق، والناس إذا سمعوا كلام النبي ﷺ ثم بلَّغوه عنه كان الكلام الذي بلغوه كلام رسول الله ﷺ وقد بلَّغوه بحركاتهم وأصواتهم فالقرآن أولى بذلك، فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال: «**زَيِّنُوا القرآن بأصواتكم**»[(١)].

ولكن مقصود **السلف** الرد على **هؤلاء الجهمية**؛ فإنهم زعموا أن القرآن خلقه الله في غيره فيكون قد ابتدأ وخرج من ذلك المحل الذي خلق فيه لا من الله كما يقولون كلامه لموسى خرج من الشجرة فبيَّنَ **السلف والأئمة** أن القرآن من الله بدأ وخرج»[(٢)].

قالوا: إن الكلام خرج من الشجرة، وهو مخلوق في الشجرة، فالشجرة هي التي قالت: ﴿أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ [القَصَص: ٣٠]، هل يقول هذا مسلم عاقل؟!.

❁ ❁ ❁

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥١٧، ٥١٨).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَعَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ»».

الشَّرح

أثر عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[١] والبيهقي في «الأسماء والصفات»[٢].

وأثر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه جاء بنحو هذا المعنى [٣].

○ قوله: «وَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَعَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ»» وهذا أيضًا مثل أثر علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفيه: الردُّ على **الجهمية** الذين يقولون «إنه مخلوق».

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٣٧٥، ٣٧٦).

(٢) «الأسماء والصفات» (٢/ ٥٣).

(٣) انظر: «الرد على الجهمية» للدارمي رقم (٣٦٠)، و«السنة» رقم (١٢٥)، و«الإبانة الكبرى» (١/ ١٢/ ٢٥٢ - ٢٥٣)، و«الأسماء والصفات» (ص٢٤١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ دِينَارٍ يَقُولُ: «أَدْرَكْتُ مَشَايِخَنَا وَالنَّاسَ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ»».

رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ الْفَقِيهِ وَهِبَةُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مَنْصُورِ الْحَافِظُ الطَّبَرِيانِ فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ» لَهُمَا.

وَقَدْ أَدْرَكَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ أَبَا هُرَيْرَةَ وَابْنَ عَبَّاسٍ وَابْنَ عُمَرَ».

الشَّرح

○ قوله: «وَرُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ دِينَارٍ» هو عمرو بن دينار، الإمام الكبير، الحافظ، أبو محمد الجمحي مولاهم، المكي، الأثرم، أحد الأعلام، وشيخ الحرم في زمانه[١] «يَقُولُ: «أَدْرَكْتُ مَشَايِخَنَا وَالنَّاسَ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ»».

«رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ الْفَقِيهِ» وهو الإمام المُفسِّر المعروف شيخ المُفسِّرين، «وَهِبَةُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مَنْصُورِ الْحَافِظُ» وهو أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي «الطَّبَرِيانِ فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ» لَهُمَا» فأخرجه الطبري في «صريح السنة»[٢] واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[٣].

(١) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٠٠ - ٣٠٧).

(٢) «صريح السنة» رقم (١٦).

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٣٨١).

○ قوله: «**وَقَدْ أَدْرَكَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ أَبَا هُرَيْرَةَ وَابْنَ عَبَّاسٍ وَابْنَ عُمَرَ**»، إذًا مشايخه الصحابة وكبار التابعين[١]، وأفضل الناس بعد الأنبياء الصحابة، وكلام الصحابي إذا لم يخالفه غيره فهو حجة.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٥ ـ ١٣).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَاحْتَجَّ أَحْمَدُ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ كَلَّمَ مُوسَى، فَكَانَ الْكَلَامُ مِنَ اللهِ وَالِاسْتِمَاعُ مِنْ مُوسَى، وَبِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السَّجدَة: ١٣]».

الشَّرح

○ قوله: «**وَاحْتَجَّ أَحْمَدُ عَلَى ذَلِكَ**» يعني: احتجَّ على أن القرآن كلام الله وأن الكلام بدأ من الله «**بِأَنَّ اللهَ كَلَّمَ مُوسَى**» واحتج بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النِّسَاء: ١٦٤]، «**فَكَانَ الْكَلَامُ مِنَ اللهِ وَالِاسْتِمَاعُ مِنْ مُوسَى**».

○ قوله: «**وَبِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السَّجدَة: ١٣]**» إذًا الكلام من الله تعالى.

والأدلة كثيرة لكن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ اكتفى ببعضها.

❁ ❁ ❁

قَالَ المُؤَلِّفُ كَلَلهُ:

«وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ رِوَايَةِ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَتَقَرَّبُوا إِلَى اللهِ بِأَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ» يَعْنِي: الْقُرْآنَ».

الشَّرْح

الذي في الترمذي حديثان:

الأول: من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ خُنَيْسٍ، عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْطَاةَ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَا أَذِنَ اللهُ لِعَبْدٍ فِي شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ يُصَلِّيهِمَا، وَإِنَّ الْبِرَّ لَيُذَرُّ عَلَى رَأْسِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ، وَمَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ»، قَالَ أَبُو النَّضْرِ:** «يَعْنِي: الْقُرْآنَ»[(١)].

وإسناده ضعيف؛ لضعف بكر بن خنيس[(٢)] **وليث بن أبي سليم**[(٣)]، **ولانقطاعه؛ فإن زيد بن أرطاة** ـ وهو الفزاري الدمشقي ـ حديثه عن أبي أمامة مرسل كما قال **ابن أبي حاتم** في «الجرح والتعديل»[(٤)] وابن عساكر في «تاريخ دمشق»[(٥)]، ثم قد اضطرب فيه على **زيد بن أرطاة**

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب «ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر»، رقم (٢٩١١)، وكذا أحمد (٥/ ٢٦٨) من طريق بكر به.

(٢) ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٤/ ٢٠٨ ـ ٢١١).

قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، **وبكر بن خنيس** قد تكلم فيه **ابن المبارك** وتركه في آخر أمره».

(٣) ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٢٤/ ٢٧٩ ـ ٢٨٨).

(٤) «الجرح والتعديل» (٣/ ٥٥٦).

(٥) «تاريخ دمشق» (١٩/ ٢٥٢).

كما في الطريق الثاني.

الثاني: من حديث جبير بن نفير رضي الله عنه.

قال الترمذي: «وقد روي هذا الحديث عن زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير عن النبي ﷺ مرسل».

أخرجه من طريق الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْطَاةَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَى اللهِ بِأَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ**» يَعْنِي: الْقُرْآنَ.

قال البخاري في «خلق أفعال العباد»[1]: «هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه».

والشاهد منه: «**إِنَّكُمْ لَنْ تَتَقَرَّبُوا إِلَى اللهِ بِأَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ**» دلَّ على أن القرآن بدأ من الله لا من الشجرة كما تقول **المعتزلة والجهمية** أن الشجرة هي التي بدأ منها الكلام[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) «خلق أفعال العباد» (ص ١٠٤).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣١٥).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الْحُرُوفَ الْمَكْتُوبَةَ وَالْأَصْوَاتَ الْمَسْمُوعَةَ عَيْنُ كَلَامِ اللهِ ﷻ لَا حِكَايَةً وَلَا عِبَارَةً؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١-٢]، **وَقَالَ:** ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١-٢]، **وَقَالَ:** ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف: ١]، **وَقَالَ:** ﴿الٓمٓر﴾ [الرعد: ١]، **وَقَالَ:** ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى: ١-٢].

فَمَنْ لَمْ يَقُلْ إِنَّ هَذِهِ الْأَحْرُفَ عَيْنُ كَلَامِ اللهِ ﷻ فَقَدْ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ، وَخَرَجَ عَنْ جُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ حُرُوفًا فَقَدْ كَابَرَ الْعِيَانَ وَأَتَى بِالْبُهْتَانِ».

الشَّرْح

○ قوله: «**وَنَعْتَقِدُ**» يعني: نحن معشر **أهل السنة والجماعة** «**أَنَّ الْحُرُوفَ الْمَكْتُوبَةَ وَالْأَصْوَاتَ الْمَسْمُوعَةَ عَيْنُ كَلَامِ اللهِ ﷻ لَا حِكَايَةً وَلَا عِبَارَةً**» فنعتقد أن الحروف المكتوبة في المصاحف هي كلام الله، والأصوات المسموعة هي كلام الله، فالصوت صوت القارئ، والمسموع كلام الله، والذي ينظر في المصحف ينظر كلام الله، والذي يسمعه السامع كلام الله، فهو عين كلام الله ﷻ لا حكاية ولا عبارة.

وأراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ الردَّ على **الأشاعرة** القائلين بأن كلام الله هو المعنى النفسي القائم بنفس الرَّبِّ، **وعلى الكلابية** ـ أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب ـ القائلين بأن الحروف والألفاظ ليست كلام الله سواء

سُمِّيت حكاية أو عبارة، فكلام الله **عندهم** هو المعنى أما الحروف والأصوات والألفاظ فليست كلام الله، والمصاحف **عندهم** ليس فيها كلام الله؛ فكلام الله معنى نفسي قائم في نفس الرَّبِّ لا يُسْمَع كما أن العلم قائم بنفسه فالكلام قائم بنفسه مثل العلم[(١)].

وقد استدل **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ بالآيات للردِّ عليهم، **فقال:**

١- «**قَـــــالَ** اللهُ ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١-٢]» **وجه الدلالة:** قوله ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ فالكتاب الآن حروف مكتوبة أمامنا، وهو كلام الله تعالى.

٢- «**وَقَالَ:** ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١-٢]» فالكتاب الذي أُنْزِل إلى النبي ﷺ هو كلام الله، وهذا الكتاب الذي أُنْزِلَ فيه حروف وألفاظ.

٣- «**وَقَالَ:** ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف: ١]» والكتاب فيه حروف.

٤- «**وَقَالَ:** ﴿الٓمٓرۚ﴾ [الرعد: ١]، **وَقَالَ:** ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى: ١-٢]» فهذا كلام الله وهو حروف.

○ قوله: «**فَمَنْ لَمْ يَقُلْ إِنَّ هَذِهِ الْأَحْرُفَ عَيْنُ كَلَامِ اللهِ ﷻ**» أي: من أنكر أن هذه الحروف كلام الله ﷻ كمن قال: «القرآن مخلوق» فهو كافر كما قال **العلماء**، لكن **الأشاعرة** يقولون: نصف القرآن مخلوق وهو الحروف والألفاظ، ونصفه غير مخلوق وهو المعنى، أما **المعتزلة** فيقولون: ألفاظه ومعانيه مخلوقة.

○ قوله: «**فَقَدْ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ**» يعني: خرج منه «**وَخَرَجَ عَنْ جُمْلَةِ**

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/ ١٦٥، ٢٧٢).

الْمُسْلِمِينَ» يعني: خالفهم.

○ قوله: «**وَمَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ حُرُوفًا**» فمن يقول: «ليس كلام الله» «**فَقَدْ كَابَرَ الْعِيَانَ**» أي: كابَرَ الحِسَّ «**وَأَتَى بِالْبُهْتَانِ**».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ»، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

وَرَوَاهُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَفِيهِ: «أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ ①﴾ [البَقَرَة: ١] حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، ولَامٌ حَرْفٌ، ومِيمٌ حَرْفٌ»».

الشَّرْح

الحديث أخرجه الترمذي(١)، وعنده هذه الزيادة، ورواه غيره من الأئمة كما قال المؤلف(٢).

قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ **«قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»** الذي في المطبوع: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

○ قوله: **«أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ ①﴾ [البَقَرَة: ١] حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، ولَامٌ حَرْفٌ، ومِيمٌ حَرْفٌ»** فإذا قرأ المسلم ﴿الٓمٓ ①﴾ فهذه ثلاثة حروف فهي بثلاثين حسنة، كل حرف بعشر حسنات، وذلك لمن تقبَّل الله تعالى منه.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب «ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر»، رقم (٢٩١٠).

(٢) أخرجه الحاكم، رقم: (٢٠٤٧)، والدارمي، رقم: (٣٣٥١)، وسعيد بن منصور في «تفسيره»، رقم: (٤)، وعبدالرزاق في «مصنفه»، رقم: (٥٩٩٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه»، رقم: (٣٠٥٥٢)، والطبراني في «الكبير»، رقم: (٨٦٤٦).

وفيه: إثبات أن القرآن حروف.

وفيه: الردُّ على **الأشاعرة والكلابية** الذين يقولون: الحروف ليست من كلام الله ـ كما تقدم ـ.

❁ ❁ ❁

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى يَعْلَى بْنُ مَمْلَكٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا نَعَتَتْ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هِيَ تَنْعَتُ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا».

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَأَبُو عَبْدِالرَّحْمَنِ النَّسَائِيِّ، وَأَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»».

الشَّرْح

أخرجه أبو داود، والنسائي، والترمذي، وكذا أحمد(١).

وإسناده ضعيف؛ لجهالة **يعلى بن مملك**، قال **النسائي** عقب روايته للحديث: «**يعلى بن مملك** ليس بذلك المشهور»(٢) وقال الذهبي: «ما حدَّثَ عنه سوى ابن أبي مليكة»(٣).

○ قوله: «**وَرَوَى يَعْلَى بْنُ مَمْلَكٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا نَعَتَتْ**» يعني: وصفت، فالنعت هو الوصف «**قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هِيَ تَنْعَتُ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا**» يعني: أن النبي ﷺ ما كان يُسْرِع في قراءته، وإنما

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب «استحباب الترتيل في القراءة»، رقم (١٤٦٦)، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب «ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ»، رقم (٢٩٢٣)، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب «تزيين القرآن بالصوت»، (٢/ ١٨١)، وأحمد (٦/ ٢٩٤).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ٤٥٣).

(٢) «السنن الكبرى» (١/ ٤٣٢).

(٣) «ميزان الاعتدال» (٧/ ٢٨٦).

كان يقف على رؤوس الآي.

وفيه: الردُّ على من أنكر أن يكون القرآن حروفًا من **الأشاعرة والكلابية وغيرهم**.

❁ ❁ ❁

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَرَوَى سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ نَقْتَرِئُ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ فَقَالَ: «الْحَمْدُ للهِ، كِتَابُ اللهِ وَاحِدٌ، وَفِيكُمُ الْأَخْيَارُ، وَفِيكُمُ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ، اقْرَءُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَهُ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ كَمَا يُقَامُ السَّهْمُ لَا يَتَجَاوَزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ، وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ» رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ الآجُرِّيُّ وَأَئِمَّةٌ غَيْرُهُ».

الشَّرح

○ قوله: «**رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ الآجُرِّيُّ**» في «أخلاق حملة القرآن»[١] من طريق موسى بن عبيدة الرَّبْذِيِّ، عن عبدالله بن عبيدة وهو أخوه، عن سهل به.

إسناده ضعيف؛ لضعف موسى بن عبيدة[٢]، **لذا قال ابن حجر** بعد ما خرَّجه في «المطالب العالية»[٣] من طريق موسى به: «هذا إسناد ضعيف».

○ قوله: «**وَأَئِمَّةٌ غَيْرُهُ**» فأخرجه أبو داود، وأحمد وغيرهم[٤].

○ قوله: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَهُ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ**» يعني: يقرؤون قراءة مجوَّدَة، لكن لا يُقبل منهم.

---

(١) «أخلاق حملة القرآن» رقم (٢٩).
(٢) «الكامل في ضعفاء الرجال» (٤/ ١٣١).
(٣) «المطالب العالية» (١٣/ ٥٩١).
(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب «ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة»، رقم (٨٣١)، وأحمد (٥/ ٣٣٨)، وابن حبان، رقم (٧٦٠)، وابن المبارك في "الزهد" رقم (٨١٣)، والطبراني في "الكبير" رقم (٦٠٢١).

○ قوله: «**كَمَا يُقَامُ السَّهْمُ**» فهم يقيمونه إقامة جيدة كإقامة السهم «**لَا يَتَجَاوَزُ تَرَاقِيَهُمْ**» الترقوة هي: العظم الذي فوق الكتف، والمعنى: أنه غير مقبول منهم ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ؛ لعدم إخلاصهم.

○ قوله: «**يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ**» أي: يأخذون أجرهم مُقدَّمًا في الدنيا، فيأخذون مثلًا مالًا على القراءة فهذا أجرهم.

○ قوله: «**وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ**» أي: لا يطلبون الأجر المؤجَّلَ وهو الثواب عند الله ﷻ، وإنما يتعجلونه فيأخذون أجرهم مُقدَّمًا.

وفيه: التحذير من القراءة من أجل الدنيا، وتحذير للإنسان الذي يُرِيد بعمل الآخرة الدنيا.

والشاهد من الحديث: قوله: «**يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ**» فأثبت أن القرآن حروف، وأن القرآن يُقرَأ، وأن ما يقرؤه القارئ كلام الله، وأن ما يسمعه السامع كلام الله.

وفيه: الردُّ على من أنكر من **الأشاعرة والكلابية** أن يكون كلام الله حروفًا.

❁ ❁ ❁

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا: «إِعْرَابُ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِهِ»».

الشَّرْح

أخرج هذا الأثر أبو طاهر البزار في «أخبار النحويين»[(١)].

والمعنى في قوله: «**إِعْرَابُ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِهِ**» أن كون الإنسان يُجَوِّد القراءة ويقرأ قراءة مُجَوَّدة مُرتَّلة أحب إلينا من كونه يحفظ بعض الحروف وهو لا يقرأ قراءة مُجَوَّدة ولا يتأمل معانيها؛ فلأن يقرأ القرآن ويتفهَّم معانيه ويحفظ بعض الآيات أولى من الذي يحفظ آيات كثيرة وهو لا يُعْرِبها.

والشاهد: «**أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِهِ**» فأثبتا أن القرآن حروف.

وفيه: الردُّ على من أنكر من **الأشاعرة والكلابية** أن يكون القرآن حروفًا.

❁ ❁ ❁

(١) «أخبار النحويين» رقم (٤٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ فِي «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ» بِإِسْنَادِهِ قَالَ: سُئِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْجُنُبِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟، فَقَالَ: «لَا، وَلَا حَرْفًا»».

الشَّرْح

أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن»[١].

وعند الدارقطني: «اقرؤا القرآن ما لم يصب أحدكم جنابة، فإن أصابته جنابة ولا حرفًا واحدًا»، **قال الدارقطني**: «هو صحيح عن علي»[٢].

○ قوله: **«سُئِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْجُنُبِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟، فَقَالَ: «لَا، وَلَا حَرْفًا»»** يعني: أن الجُنُبَ لا يقرأ القرآن، ولكن غير الجُنُب يقرأه عن ظهر قلب ولو كان مُحْدِثًا.

وقراءة القرآن للجُنُبِ مختلف فيها بين أهل العلم، **جمهور العلماء** على أن الجُنُب لا يقرأ القرآن حتى يغتسل، أما إذا كان مُحْدِثًا حدثًا أصغر فله أن يقرأ القرآن بغير مسٍّ للمصحف؛ فلا يمسه حتى يتوضأ، لكن إن كان عن ظهر قلب فلا بأس[٣].

والشاهد: قوله: **«وَلَا حَرْفًا»**.

وفيه: إثبات أن القرآن حروف.

---

(١) «فضائل القرآن» (١/ ٣٠١).

(٢) «سنن الدارقطني» (١/ ١١٨).

(٣) انظر: «بدائع الصنائع» (١/ ٣٨)، و«المغني» (١/ ٩٦)، و«المجموع» (٢/ ١٧٩)، و«بداية المجتهد» لابن رشد (١/ ٣٠).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ - يَعْنِي: الْقُرْآنَ - فَقَدْ كَفَرَ بِهِ أَجْمَعَ»، وَقَالَ أَيْضًا: «مَنْ حَلَفَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ فَعَلَيْهِ بِكُلِّ حَرْفٍ يَمِينٌ»».

الشَّرْح

أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»[1].

بيَّن **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ أن القرآن حروف، وأنه لو أسقط حرفًا من الفاتحة ما صحت صلاته، وكذلك من كفر بحرف منه فإنه يكون كافرًا بالقرآن، واستدل بقول عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **«مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ - يَعْنِي: الْقُرْآنَ - فَقَدْ كَفَرَ بِهِ أَجْمَعَ»**.

○ قوله: **«وَقَالَ أَيْضًا: «مَنْ حَلَفَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ فَعَلَيْهِ بِكُلِّ حَرْفٍ يَمِينٌ»»** لأن كل حرف من سورة البقرة أو غيرها فو من القرآن، وظاهره

(١) «مصنف عبدالرزاق» (٨/ ٤٧٢)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٢٥٨)، وأخرج أوله: سعيد بن منصور في «تفسيره» (٩٣٦)، وابن أبي شيبة (٣٠١٠٩)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٤٩)، ولا يصح مرفوعًا مسندًا قال الإمام البخاري: (يذكر عن ابن مسعود، وإبراهيم، وعن النبي ﷺ مرسلا) «خلق أفعال العباد» (ص١٠١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهذا ثابت عن ابن مسعود) "مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٠٥)، وقال: (وأما قول ابن مسعود، فمن المحفوظ الثابت عنه، الذي رواه الناس من وجوه كثيرة صحيحة) «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٣٧٨)، وهو مروي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا، أخرجه الطبراني «مسند الشاميين» (٣٤٦٣).

أن عليه أيمان بكل حرف، أو بكل آية، وهذا أحد الأقوال في المسألة، وهو مروي عن إبراهيم النخعي[١]، ومجاهد[٢] والحسن[٣]، وهو رواية عن أبي حنيفة[٤]، ونص عليه أحمد[٥].

القول الثاني: أن الواجب كفارة واحدة، وهو مذهب الشافعي[٦]، والرواية الثانية عن أحمد[٧].

القول الثالث: أنها ليست بيمين، فلا كفارة عليه، وهو مروي عن عطاء[٨]، وهو مذهب الحنفية[٩].

ووجه ابن قدامة إيجاب كفارة بكل آية على الاحتياط لكلام الله، والمبالغة في تعظيمه، قال: (ويحتمل أن كلام أحمد، في كل آية كفارة، على الاستحباب لمن قدر عليه، فإنه الإمام أحمد قال: عليه بكل آية كفارة، فإن لم يمكنه فكفارة واحدة)[١٠]، قال الزركشي: (قال الزركشي: نص أحمد على هذا في رواية حرب وغيره، وهذا للوجوب أقرب منه للاستحباب؛ لأن أحمد إنما نقله لكفارة واحدة عند العجز)[١١]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ تعليقا على قول ابن

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣٦).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٢٢٣١)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (١٩٩٠٠).
(٣) «المرسيل» لأبي داود (٣٨٦)، و«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣٥)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (١٩٨٩٩).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار» (١٤/ ١٦٥)، و«المحيط البرهاني» (٤/ ٢٠٧).
(٥) انظر: «مختصر الخرقي» (ص١٤٩)، و«الإرشاد» (ص٤١٩)، و«الهداية على مذهب الإمام أحمد» (ص٥٥٨).
(٦) «المجموع» (١٨/ ٤١).
(٧) «المغني» (٩/ ٥١٥)، و«الشرح الكبير» (٢٧/ ٤٤٤).
(٨) «المحلى» (٦/ ٢٨٥).
(٩) «رد المحتار على الدر المختار» (٣/ ٧١٣).
(١٠) «المغني» (٩/ ٥١٥)، وانظر: «الإنصاف» (٢٧/ ٤٤٤-٤٤٨).
(١١) «شرح الزركشي» (٧/ ٩٩).

مسعود «عليه بكل آية كفارة» ـ: (اتبعه الأئمة وعملوا به؛ كالإمام أحمد وإسحاق وغيرهما)(١).

(١) «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٣٧٨).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَالَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ: قَرَأَ رَجُلٌ عَلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فَتَرَكَ وَاوًا فَقَالَ: «لَقَدْ تَرَكْتَ حَرْفًا أَعْظَمَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ»».

الشَّرح

لم أقف عليه مسندًا، لكن المعنى صحيح، فترْكُ حرف لا شكَّ أنه أعظم من الجبل؛ لأن كلام الله صفة من صفاته، ولا يجوز إسقاط شيء منه، ولا ترك حرف من حروفه.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي كَلَامٍ لَهُ: «قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إِلَّا اتِّبَاعُهُ، أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: «قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فَمَا أَسْقَطْتُ مِنْهُ حَرْفًا، وَقَدْ أَسْقَطَهُ وَاللهِ كُلَّهُ»».

الشَّرح

أخرجه عبدالله بن المبارك في «الزهد»(١).

○ قوله: «**وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إِلَّا اتِّبَاعُهُ، أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ**» يعني: يتدبر الآيات ويعمل بها؛ لأن التَّدبر وسيلة إلى العمل، ولهذا قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] فالتدبر سبيل إلى العمل وطريق إليه.

○ قوله: «**حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: «قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فَمَا أَسْقَطْتُ مِنْهُ حَرْفًا**» يعني: في القراءة، «**وَقَدْ أَسْقَطَهُ وَاللهِ كُلَّهُ**» حيث لم يعمل به ولم يتَّبعه، فإذا لم يعمل به ولم يتَّبعه فقد أسقطه كله وإن أقام حروفه؛ لأن التلاوة وإن كانت عبادة مستقلة إلَّا أنها وسيلة إلى العمل، فإذا لم يعمل به لم تحصل الفائدة وصار القرآن حجة عليه، فلا يكفي كون الإنسان يقرأ القرآن فقط ولا يعمل به بل المسلم يقرأ ويعمل ويتبع.

---

(١) «الزهد» رقم (٧٩٣)، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ٣٦٣)، والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٤١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: «مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَدْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ، وَمَنْ قَالَ: «لَا أُؤْمِنُ بِهَذِهِ اللَّامِ» فَقَدْ كَفَرَ»».

الشَّرح

أخرجه أبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»[(١)].

○ قوله: **«مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَدْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ، وَمَنْ قَالَ: «لَا أُؤْمِنُ بِهَذِهِ اللَّامِ» فَقَدْ كَفَرَ»**؛ لأنه يجب الإيمان بالقرآن كله، فمن آمن ببعضه وكفر ببعضه فقد كفر بالجميع.

وقد أخذ **عبدالله بن المبارك** رَحِمَهُ اللهُ هذا الكلام من قول الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ﴾ [البَقَرَة: ٨٥].

❁ ❁ ❁

---

(١) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص ١٧٣-١٧٥)، وذكر ابن تيمية قول ابن المبارك هذا بنصه في «نقض المنطق» (ص ١٤٩)، و«مجموع الفتاوى» (١٨٢/٤).

وقد روي عن ابن مسعود كما أخرجه عنه عبدالرزاق في «مصنفه» (١٥٩٤٦)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣٧٩)، وعن أبي العالية كما أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٩٣٦)، وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» رقم (١٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» رقم (٣٠١٠٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٢٠٧٧).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى عَبْدُاللهِ بْنُ أُنَيْسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ ـ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا»، قَالَ: قُلْتُ: «مَا بُهْمًا ؟»، قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ «أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ»»، قَالُوا: «وَكَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا ؟!»، قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ».

الشرح

أخرجه الإمام أحمد في «المسند»[١]، وهو حديث مشهور يُسمَّى «حديث المظالم».

○ قوله: «وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ» كما في «مسند ابن أبي شيبة»[٢]، والبخاري في «خلق أفعال العباد»[٣].

---

(١) «مسند أحمد» (٣/ ٤٩٥).
قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». «المستدرك» (٢/ ٤٧٥).
وقال المنذري: «رواه أحمد بإسناد حسن». «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢١٨).
وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، **وعبدالله بن محمد** ضعيف». «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٣).

(٢) «مسند ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٤٧).

(٣) «خلق أفعال العباد» رقم (٩٨).

وعلَّقه البخاري في «صحيحه»[١] قال: «وَرَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ إِلَى عَبْدِاللهِ بْنِ أُنَيْسٍ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ».

وقد اشترى جابر ﷺ لذلك بعيرًا، فالعلماء من الصحابة ومن بعدهم كان لهم عناية في طلب الحديث ويتحملون المشاق، فقد رحل جابر ﷺ في طلب حديث واحد.

وفيه: الرحلة في طلب العلم، ولذا أخرجه الخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب الحديث»[٢] تحت عنوان «ذكر من رحل في حديث واحد من الصحابة الأكرمين ﷺ أجمعين».

وعلَّقه أيضًا في موضع آخر[٣] قال: «وَيُذْكَرُ عَنْ جَابِرٍ عَنْ عَبْدِاللهِ ابْنِ أُنَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ «أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ»**»»، وأخرجه بتمامه في «الأدب المفرد»[٤]، وكذا أخرجه أحمد وتقدَّم.

والشاهد من الحديث: قوله «**فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ**».

وفيه: أن كلام الله بصوت يُسْمَعُ.

وفيه: الردُّ على **الكلابية والأشاعرة والفلاسفة** الذين يُنكرون أن يكون كلام الله بصوته، وهذا الحديث صريح؛ قال: «**فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ**».

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب العلم، باب «الخروج في طلب العلم».

(٢) «الرحلة في طلب الحديث» رقم (٣١).

(٣) «صحيح البخاري»، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]»، ولم يقل: ماذا خلق ربكم».

(٤) «الأدب المفرد» رقم (٩٧٠).

وأصح منه: ما في «الصحيحين»(١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «يَا آدَمُ»، فَيَقُولُ: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ»، فَيَقُولُ: «أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ»،....**» الحديث، **وفيه**: إثبات الصوت.

○ قوله: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ -**»؛ لأنها أرض المحشر.

○ قوله: «**عُرَاةً**» أي: لا ثياب عليهم.

○ قوله: «**غُرْلًا**» الغرل جمع الأغرل، وهو: الأقلف، والغرلة: القلفة(٢).

○ قوله: «**بُهْمًا**»، «**قَالَ: قُلْتُ: «مَا بُهْمًا؟»، قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ»، قَالُوا: «وَكَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللهُ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟!»**» أي: كيف يكون القصاص وليس عندنا لا دراهم ولا فضة ولا ذهب ولا أوراق نقدية ولا أمتعة ولا شيء؟!.

○ قوله: «**قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»**» أي: القصاص بالحسنات والسيئات.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب «قصة يأجوج ومأجوج»، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢٢٢).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٣٦٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفْوَانِ فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ».

الشَّرح

علَّقه البخاري في «صحيحه»[1] مختصرًا موقوفًا، ووصله أبو داود مرفوعًا[2]، وكذا أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» موقوفًا[3]، وفيه موضع الشاهد.

والشاهد: «**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ**»، **وفيه**: إثبات الصوت في كلام الله، وأن كلام الله تعالى بصوت يُسْمَعُ.

وفيه: الردُّ على من أنكر الصوت من **الكلابية والأشاعرة والفلاسفة**.

○ قوله: «**كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ**» أي: سلسلة الحديد «**عَلَى الصَّفْوَانِ**» وهو الحجر الأملس، وهذا من باب التقريب ليس فيه تشبيه الصوت المسموع من كلام الله بالصوت المسموع من السِّلسلة ـ والله أعلم ـ فهو كقوله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ﷻ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ**»[4] فليس هذا

(١) «صحيح البخاري»، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالى ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]»، ولم يقل ماذا خلق ربكم».

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في القرآن»، رقم (٤٧٣٨).

(٣) «السنة» رقم (٥٣٦).

قال الداقطني: «والموقوف هو المحفوظ». «العلل» (٥/ ٢٤٢).

(٤) تقدَّم تخريجه.

فيه تشبيه لله بالقمر، وإنما تشبيه الرؤية بالرؤية، وهنا تشبيه الصوت بالصوت، **فالمعنى**: كما أن الصوت المسموع من السِّلسلة عادة يكون قويًّا فكذلك الصوت المسموع من كلام الله يكون قويًّا، وإلَّا فصوت الله لا يُشبه صوت المخلوقين.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَوْلِ الْقَائِلِ «بِأَنَّ الْحَرْفَ وَالصَّوْتَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ مَخَارِجَ» بَاطِلٌ وَمُحَالٌ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: ٣٠]، وَكَذَلِكَ قَالَ ﷻ إِخْبَارًا عَنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنَّهُمَا ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾ [فصلت: ١١] فَحَصَلَ الْقَوْلُ مِنْ غَيْرِ مَخَارِجَ وَلَا أَدَوَاتٍ.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَلَّمَهُ الذِّرَاعُ الْمَسْمُومَةُ، وَصَحَّ أَنَّهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ الْحَجَرُ، وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ الشَّجَرَةُ».

الشَّرْح

بيَّن **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ شُبَهَ المنكِرين للحرف والصوت في كلام الله ﷻ ورَدَّ عليها، **قال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَقَوْلِ الْقَائِلِ**» من المنكِرين أن يكون كلام الله بحرف وصوت «**بِأَنَّ الْحَرْفَ وَالصَّوْتَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ مَخَارِجَ**» فمعروف أن الإنسان إذا تكلَّم فالحروف والصوت لها مخارج معروفة، حروف من أطراف اللسان، وحروف من حافة اللسان، وحروف من الإطباق بين الشفتين، فإذا قلنا أن كلام الله بحرف وصوت فهذا يلزم منه أن يكون الرَّبُّ له مخارج لحروفه فيكون له لسان وشفتان وأضراس، وهذا محال.

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَقَوْلِ الْقَائِلِ «بِأَنَّ الْحَرْفَ وَالصَّوْتَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ مَخَارِجَ» بَاطِلٌ وَمُحَالٌ**»، **فهذا كلام باطل لا وجه له، ويُردُّ عليهم بما يلي**:

أولًا: أن هذا فيه تشبيه الخالق بالمخلوق الآدمي، وقد نفى الله

عن نفسه مماثلة المخلوقات، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، فالله تعالى ليس له مثيل، فلا يمكن أن يماثل الخالق المخلوق، فالتمثيل باطل.

ثانيًا: يوجد بعض المخلوقات تتكلَّم من غير أسنان ولا أضراس ولا شفتين ولا لسان، وإذا كانت بعض المخلوقات يمكن أن تتكلَّم من دونها فإمكان ذلك في حقِّ الرَّبِّ أولى.

وقد ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أدلة:

الدليل الأول: «**قَالَ اللهُ ﷻ**: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠]»، فقوله ﴿وَتَقُولُ﴾ إذًا جهنم تكلَّمت وليس لها لسان ولا أضراس ولا أسنان ولا شفتان، فإذا أمكن أن تتكلَّم من دون مخارج فإمكان ذلك في حقِّ الرَّبِّ أولى.

الدليل الثاني: «**وَكَذَلِكَ قَالَ ﷻ إِخْبَارًا عَنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنَّهُمَا** ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ١١]» وليس لهما أضراس أو أسنان أو شفتان أو مخارج.

○ قوله: «**فَحَصَلَ الْقَوْلُ**» من جهنم ومن السماء والأرض «**مِنْ غَيْرِ مَخَارِجَ**» للحروف «**وَلَا أَدَوَاتٍ**» فلا أسنان ولا أضراس، وإذا أمكن هذا في المخلوق أمكن في الخالق من باب أولى.

الدليل الثالث: «**وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَلَّمَهُ الذِّرَاعُ الْمَسْمُومَةُ**» عَنْ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: «**ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ؛ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا**

مَسْمُومَةٌ»[١]، فهذه الذراع التي تكلَّمت ليس لها أضراس أو أسنان، ولا لها مخارج أو أدوات، فإذا أمكن هذا في المخلوق أمكن في الخالق من باب أولى.

الدليل الرابع: «**وَصَحَّ أَنَّهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ الْحَجَرُ**» رواه مسلم في «صحيحه»[٢] عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**»، وليس للحجر أضراس أو أسنان أو مخارج أو أدوات.

الدليل الخامس: «**وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ الشَّجَرَةُ**» عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سِرْنَا فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَجَاءَتْ شَجَرَةٌ تَشُقُّ الْأَرْضَ حَتَّى غَشِيَتْهُ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ ذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «**هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا ﷻ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَذِنَ لَهَا**»[٣]، وليس لها مخارج ولا أدوات ولا أضراس ولا أسنان، وإذا أمكن هذا في المخلوق أمكن في الخالق من باب أولى.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «وأما قولهم إن الكلام لا يكون إلَّا من جوف وفم وشفتين ولسان، أليس الله قال للسموات والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فُصِّلَت: ١١] أتراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟!، وقال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الديات، باب «فيمن سقى رجلًا سُمًّا أو أطعمه فمات أيقاد منه»، رقم (٤٥١٢).
وحديث أن يهوديةً أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها رواه البخاري، كتاب الهبة، باب «قبول الهدية من المشركين»، رقم (٢٦١٧)، ومسلم، كتاب السلام، رقم (٢١٩٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٢٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٧٣).
قال الهيثمي: «رواه أحمد بإسنادين، والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح». «مجمع الزوائد» (٩/ ٦).

يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين؟!، والجوارح إذ شهدت على الكافر فقالوا: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١] أنراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان؟!، ولكن الله أنطقها كيف شاء، وكذلك الله تكلَّم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان»[(١)]، فالإمام أحمد رحمه الله يرد على الجهمية في إنكارهم لكلام الله، **وذلك في شبهتهم** أن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم ولسان وشفتين، وحينئذ فيكون تشبيه بالمخلوق ـ هكذا يقولون ـ، **فرد عليهم** رحمه الله بأن عندنا أدلة على أن بعض المخلوقات تكلمت وليس لها لسان ولا جوف ولا فم ولا شفتان، وإذا أمكن هذا في بعض المخلوقات ولا نعلم الكيفية فإمكان ذلك في الخالق سبحانه من باب أولى.

وبهذا تبطل شبهة هؤلاء المنْكِرين للحرف والصوت في كلام الله ﷻ.

❊ ❊ ❊

---

(١) «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص ٣٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَأَجْمَعَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَجْرِي خَيْرٌ وَشَرٌّ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، خَلَقَ مَنْ شَاءَ لِلسَّعَادَةِ وَاسْتَعْمَلَهُ بِهَا فَضْلًا، وَخَلَقَ مَنْ أَرَادَ لِلشَّقَاءِ وَاسْتَعْمَلَهُ بِهِ عَدْلًا، فَهُوَ سِرٌّ اسْتَأْثَرَ بِهِ وَعِلْمٌ حَجَبَهُ عَنْ خَلْقِهِ، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]».

الشرح

انتقل **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ إلى مبحث القضاء والقدر.

أمر الله تعالى بالإيمان بالقرآن، وأخبر الله تعالى في كتابه بقضائه وقدره وأنه قدَّر الأشياء.

والإيمان بالقدر واجب بالكتاب والسنة والإجماع:

في الكتاب: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢].

وفي السنة المطهَّرة: في حديث جبرائيل المشهور في «صحيح مسلم»(١) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه: «قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ

(١) يأتي تخريجه.

الْإِيمَانِ»، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»».

والإجماع: نقله **المؤلف** رحمه الله **فقال: «وَأَجْمَعَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» وغيرُهُ.**

والقَدَرُ مبني على أصول أربعة من لم يُؤمن بها لم يُؤمن بالقدر:

الأصل الأول: الإيمان بعلم الله الشامل.

وهو الإيمان بأن الله تعالى عَلِمَ الأشياء قبل كونها ويعلم ما كان في الماضي، وما يكون في المستقبل والحاضر، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، أي: حتى الذي لا يكون فإن الله يعلمه، قال الله تعالى عن الكفار: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣]، وقال تعالى عن الكفار لمَّا طلبوا الإعادة إلى دار الدنيا: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨]، وقال تعالى عن المنافقين الذين تخلَّفوا عن المؤمنين في غزوة تبوك: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٦-٤٧]، فلا بد للإنسان أن يؤمن بهذا.

الأصل الثاني: الإيمان بكتابة الله للأشياء في اللوح المحفوظ.

وهو الإيمان بأن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، كتب كل ما يكون من الذوات والصفات والأقوال والأفعال والحركات والسكنات والرطب واليابس، قال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا

وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩] وهو اللوح المحفوظ، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [الحديد: ٢٢] وهو اللوح المحفوظ، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾ [الحج: ٧٠] وهو اللوح المحفوظ، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢] وهو اللوح المحفوظ.

وفي «صحيح مسلم»[(١)] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»، قَالَ: «**وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»، وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: «اكْتُبْ»، قَالَ: «رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟»، قَالَ: «اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»»[(٢)]، وفي لفظ: «**فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[(٣)].

الأصل الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة وإرادته.

وهو أن كل شيء يقع في هذا الوجود لا بُدَّ أن يسبق وجوده مشيئة الله وإرادته، فلا يمكن أن يقع في الكون إلَّا ما شاءه الله وأراده تبارك وتعالى، فلا يقع في ملك الله إلَّا ما يريده.

الأصل الرابع: الخلق والإيجاد.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في القدر»، رقم (٤٧٠٠)، والترمذي، كتاب القدر، باب «ما جاء في الرضا بالقضاء»، رقم (٢١٥٥).
قال الترمذي: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه».

(٣) أخرجه أحمد (٥/٣١٧).

وهو الإيمان بأن الله خلق وأوجد كل شيء في هذا الكون؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزُّمَر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصَّافات: ٩٦].

هذه مراتب القدر الأربعة من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقدر، وآمن **أهل السنة والجماعة** بهذه المراتب(١).

والقدريَّة طائفتان:

الطائفة الأولى: الغلاة الذين أنكروا المرتبتين الأوليين العلم والكتاب، فأنكروا علم الله بالأشياء قبل كونها، **قالوا**: «إن الله لا يعلم بالشيء حتى يقع، فإذا وقع عَلِمَه» فنسبوا الجهل إلى الله، وكذلك أنكروا أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ(٢)، وهذا كفر وضلال، وقد كَفَّرَهم العلماء.

وهؤلاء هم **القدريَّة الأُوَل** وقد ظهروا في أواخر عصر الصحابة، وكانوا يطلبون العلم في البصرة فأنكر قولهم أهل العلم.

ومن ذلك: ما رواه مسلم في «صحيحه»(٣) عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ «مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ»، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا: «لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/١٤٨-١٥٠).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٨/٤٢٩).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٨).

الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: «أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ[١]»، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ «وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ[٢]»، قَالَ: «**فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**»، وهذا الذى قاله ابن عمر رضي الله عنهما ظاهر في تكفيره **القدريَّة**[٣].

ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: «صَدَقْتَ»، **قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ»، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: «صَدَقْتَ»،...، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**»، قُلْتُ: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»، ولهذا **حكم العلماء**

(١) هو بتقديم القاف على الفاء، ومعناه: يطلبونه ويتتبعونه، هذا هو المشهور، **وقيل**: معناه: يجمعونه، ورواه بعض شيوخ المغاربة من طريق ابن ماهان «**يتفقرون**» بتقديم الفاء وهو صحيح أيضًا، معناه: يبحثون عن غامضه ويستخرجون خفيه. شرح النووي على «صحيح مسلم» (١/ ١٥٥).

(٢) هو بضم الهمزة والنون، أي: مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه، وهذا القول قول **غلاتهم** وليس قول **جميع القدرية**، وكذب قائله وضل وافترى، عافانا الله وسائر المسلمين. شرح النووي على «صحيح مسلم» (١/ ١٥٦).

(٣) شرح النووي على «صحيح مسلم» (١/ ١٥٦).

بكفر **القدريَّة الأُوَلِ، قال الإمام الشافعي** ﷺ: «ناظِروا القدريَّة بالعلم، فإن أقرُّوا به خصموا، وإن أنكروا كفروا»(١) وهؤلاء القدريَّة الأُوَلِ قد انقرضوا.

الطائفة الثانية: المقتصدون أو **عامة القدريَّة**، أثبتوا علم الله فآمنوا بالعلم وبكتابة الله في اللوح المحفوظ، وآمنوا أيضًا بالإرادة والمشيئة وبالخلق والإيجاد، إلَّا أنهم أنكروا عموم المشيئة والخلق(٢)، فيُنكِرون عموم المرتبتين الأخريين، فزعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر ولكن الكافر شاء الكفر، فرّوا إلى هذا لئلا يقولوا: «شاء الكفر من الكافر وعَذَّبَه عليه»، ولكن صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار؛ فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شرٌّ منه؛ فإنه يلزم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه ـ على قولهم ـ والكافر شاء الكفر فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى، وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه بل هو مخالف للدليل(٣)، ولهذه الشبهة التي حصلت لهم لم يُكفِّرهم **العلماء**، بل **قالوا**: إنهم مبتدعة.

والله تعالى خلق المعصية لحكمة وأسرار، ولا يُنسب الشَّرُّ ولا المعصية إليه سبحانه، ولا تُسمَّى شرًّا بالنسبة إلى الله بل بالنسبة إلى العبد؛ لأنه هو الذي باشرها وعَمِلَها فضرَّتْه وعُذِّبَ بها، والذي يُنسب إلى الله هو الخلق، فالخلق مبني على الحكمة، وهذا هو معنى قوله كما في «صحيح مسلم»(٤) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ كان يقول في افتتاح الصلاة: **«لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»**، فالشَّرُّ المحض الذي لا حكمة في إيجاده لا

(١) شرح «العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٣٠٢).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٨٥).
(٣) انظر: شرح «العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٢٧٧).
(٤) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، رقم (٧٧١).

يُنسب إلى الله.

وبيَّن **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ معتقد **أهل السنة والجماعة** فقال: «**وَأَجْمَعَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» يعني: **أجمع أهل الإسلام** على القدر سواء خيرًا أو شرًّا، خيرًا مما يحصل للإنسان مما يعطيه الله من النِّعم والفضل والنعمة والمال والصحة والولد، أو شرًّا كالمعاصي التي تُقدَّر عليه أو كمصائب قد تكون شرًّا بالنسبة إليه.

○ قوله: «**حُلْوِهِ وَمُرِّهِ**» أي: سواء كان حُلُوًا كالخير أو مُرًّا كالمصائب التي تحصل للإنسان.

○ قوله: «**قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَجْرِي خَيْرٌ وَشَرٌّ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ**» هذا معتقد **أهل السنة والجماعة**، لكن **المعتزلة** يقولون: تكون المعاصي بدون إرادته[1].

○ قوله: «**خَلَقَ مَنْ شَاءَ لِلسَّعَادَةِ وَاسْتَعْمَلَهُ بِهَا فَضْلًا، وَخَلَقَ مَنْ أَرَادَ لِلشَّقَاءِ وَاسْتَعْمَلَهُ بِهِ عَدْلًا**» فالهداية ملك لله وليست ملكًا للعبد، فمن أعطاه الهداية فهذا فضله، ومن منعه الهداية فهذا عدله وحكمته، فلا يكون ظالمًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

○ قوله: «**فَهُوَ سِرٌّ اسْتَأْثَرَ بِهِ وَعِلْمٌ حَجَبَهُ عَنْ خَلْقِهِ**» فالقدر سِرُّ الله في خلقه، ولهذا **يقول الإمام الطحاوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأصل القدر سِرُّ الله تعالى في خلقه لم يَطَّلِعْ على ذلك ملك مُقَرَّب ولا نبي مُرْسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسُلَّم الحِرْمَان ودرجة الطُّغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة؛ فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مَرَامِهِ كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل «لِمَ فعل؟» فقد

(١) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٣٠٠).

ردَّ حكم الكتاب، ومن ردَّ حكم الكتاب كان من الكافرين»[١].

فلا أحد يعلم سرَّ الله في خلقه، فالله سبحانه جعل هذا شقيًّا وجعل هذا سعيدًا، وجعل هذا عالمًا وجعل هذا جاهلًا، وجعل هذا عاقلًا وجعل هذا مسلوب العقل، وهذا طويلًا وهذا قصيرًا، وهذا فقيرًا وهذا غنيًّا، وهذا يعمر وهذا لا يعمر، وهذا يموت طفلًا وهذا يموت شيخًا، وهذا يموت كهلًا وهذا يموت في بطن أمه «﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]» لا يُسأل عما يفعل لكمال حكمته وليس لأنه خارج المشيئة كما يقوله من أنكر الحكم والتعليل من **المعتزلة وغيرهم**[٢].

○ قوله: «قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]» فله الحكمة البالغة.

○ قوله: «وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣]» فلو شاء ﷻ لفعل ذلك، لكن له الحكمة البالغة.

○ قوله: «وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]»، ﴿كُلَّ﴾ صيغة للعموم، ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ سواء كان خيرًا أو شرًّا، خلافًا **للمعتزلة** الذين يقولون: «المعاصي والطاعات ليست بقدر».

---

(١) «متن العقيدة الطحاوية» (ص ٣٢، ٣٣).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٩).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ، وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ»، فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا؟»، فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥-٧] **الآية».**

الشَّرْح

هذا الحديث متفق عليه، رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»(١).

○ قوله: «**كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ**» البقيع من الأرض: المكان المتَّسع، ولا يُسمَّى بقِيعًا إلَّا وفيه شجر أو أصولها، و«بقيع الغرقد» موضع بظاهر المدينة فيه قبور أهلها كان به شجر الغَرقد فذهب وبقي اسمه(٢)، وفي حديث أشراط الساعة: «**إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود**»(٣) وفي رواية «**إلا الغرقدة**»(٤) وهو ضرب من شجر العِضَاه

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب «﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ١٠]»، رقم (٤٩٤٩)، ومسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٤٧).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/١٤٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب «فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج»، رقم (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

وشجر الشوك، والغرقدة واحدتُهُ، ومنه قيل لمقبرة أهل المدينة: «بقيع الغرقد»؛ لأنه كان فيه غرقد وقُطِعَ[(١)].

○ قوله: «**فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ، وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ**[(٢)] **ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**»» وفيه: إثبات الكتابة، هو أن المقادير كلها مكتوبة، وهذا هو **الشاهد**.

○ قوله: «**فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا؟**»»، وفي اللفظ الآخر: «**يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟**»[(٣)] **أي: ما دام أن كل واحد كُتِبَ مقعده من الجنة ومقعده من النار فلماذا لا نكتفي بالكتاب ولا نعمل؟!**

○ قوله: «**فَقَالَ: «اِعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ»، ثُمَّ قَرَأَ** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥-٧] **الآية**» فالشقاوة والسعادة مكتوبة عليه وهو في بطن أمه، وكل إنسان صائر لما قدره الله له، ولهذا ففي اللفظ الآخر أنه لما سأل الصحابةُ النبيَّ ﷺ فقالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَعْمَلُ فِي

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٣٦٢).

(٢) أما «**نكس**» فبتخفيف الكاف وتشديدها لغتان فصيحتان، يُقال نكسه ينكسه فهو ناكس كقتله يقتله فهو قاتل، ونكسه ينكسه تنكيسًا فهو منكس، أي: خفض رأسه وطأطأ إلى الأرض على هيئة المهموم.
وقوله «**ينكت**» بفتح الياء وضم الكاف وآخره تاء مثناة فوق، أي: يخط بها خطًا يسيرًا مرة بعد مرة، وهذا فعل المفكر المهموم.
والمِخصرة ـ بكسر الميم ـ: ما أخذه الانسان بيده واختصره من عصا لطيفة وعكاز لطيف وغيرهما. شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٦/ ١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب «﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ١٠]»، رقم (٤٩٤٩)، ومسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٤٧).

أَمْرٍ مُسْتَأْنَفٍ، أَوْ أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ قَالَ: «**لَا، بَلْ فِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ**»، قَالَ: فَفِيمَ نَعْمَلُ إِذًا؟ قَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»(١).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه بلفظه الإمام أحمد (١٦٦٣٠)، والطبراني في «الكبير»، رقم (٤٢٣٥).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ «أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يَجْتَمِعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، يُكْتَبُ رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلَهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلَهَا»».

الشَّرح

أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[١]، وهو من أحاديث «الأربعين النووية»[٢] التي يحفظها صغار الطلبة.

○ قوله: «**وَرَوَى عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ وَهُوَ الصَّادِقُ**» يعني: في قوله وكلامه «**الْمَصْدُوقُ**» أي: من ربِّه.

○ قوله: «**أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يَجْتَمِعُ**» وفي لفظ آخر: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ**»[٣] «**فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ**

(١) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب «في القدر»، رقم (٦٥٩٤)، ومسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٤٣).

(٢) الحديث الرابع، «الأربعون النووية» للنووي (ص ٥٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب «في القدر»، رقم (٦٥٩٤)، ومسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٤٣).

ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ» أربعون يومًا وأربعون وأربعون مائة وعشرون يومًا، يعني: أربعة أشهر.

○ قوله: «**ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، يُكْتَبُ رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**» فإذا مضت أربعة أشهر يبعث الله له مَلَكًا بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

وفي «الصحيحين»[1] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ وَكَّلَ فِي الرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ»، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهَا قَالَ: «يَا رَبِّ، أَذَكَرٌ؟، يَا رَبِّ، أُنْثَى؟، يَا رَبِّ، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟، فَمَا الرِّزْقُ؟، فَمَا الأَجَلُ؟»، فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ**»، وفيه: أن الإنسان يُقدَّر عليه وهو في بطن أمه، فيُكتب ما يجري عليه من الرزق والأجل والعمل والشقاوة والسعادة.

وفيه: إثبات القدر، وهذا هو **الشاهد**.

وهذا القدر مأخوذ من القدر السابق من اللوح المحفوظ يوافقه ولا يخالفه فهو مأخوذ منه، يعني: هذا مكتوب في اللوح المحفوظ، ثم هذه كتابة ثانية خاصة بابن آدم الجديد لا يُخالف القدر السابق.

○ قوله: «**فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ**» أَقْسَمَ ﷺ، يعني: لا معبود بحقٍّ غيره ﷻ «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ**» وهو ما كُتِبَ في اللوح المحفوظ، والذي كُتِبَ عليه وهو في بطن أمه «**فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلَهَا**» فلا بُدَّ أن يصير إلى ما كُتِبَ عليه.

○ قوله: «**وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب «خلق آدم صلوات الله عليه وذريته»، رقم (٣٣٣٣)، ومسلم، كتاب القدر، رقم (٢٦٤٦).

وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ» وهو ما كُتِبَ في اللوح المحفوظ، والذي كُتِبَ عليه وهو في بطن أمه «**فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**» فلا بُدَّ أن يصير إلى ما كُتِبَ عليه.

وفي «الصحيحين»(١) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب «لا يقول فلان شهيد»، رقم (٢٨٩٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١١٢).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»[(١)] وَأَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»[(٢)] وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ[(٣)] أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا الْإِيمَانُ؟»، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: «فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتُ؟»، قَالَ: «نَعَمْ».

وَفِيهِ مِنَ الْأَدِلَّةِ مَا لَوْ اسْتَقْصَيْنَاهُ لَأَدَّى إِلَى الْإِمْلَالِ».

الشرح

هذا حديث عمر بن الخطاب المشهور الذي رواه مسلم في «صحيحه» بطوله.

○ قوله: «أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا الْإِيمَانُ؟»» فذكر النبي ﷺ له أركان الإيمان الستة، وجعل الركن السادس الإيمان بالقدر.

○ قوله: «قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ»» هذا الركن الأول.

○ قوله: «وَمَلَائِكَتِهِ» هذا الركن الثاني.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في القدر»، رقم (٤٦٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب «ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام»، رقم (٢٦١٠)، والنسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب «نعت الإسلام»، (٨/ ٩٧-١٠٠)، وابن ماجه، في المقدمة، باب «في الإيمان»، رقم (٦٣)، وأحمد (١/ ٢٧).
وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

○ قوله: «**وَكُتُبِهِ**» هذا الركن الثالث.

○ قوله: «**وَرُسُلِهِ**» هذا الركن الرابع.

○ قوله: «**وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**» هذا الركن الخامس.

○ قوله: «**وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» هذا الركن السادس، وهذا هو **الشاهد.**

فمن لم يؤمن بالقدر فليس بمؤمن؛ لأنه أنكر أصلًا من أصول الإيمان فيكون كافرًا، فمن جحد القدر وأنكره فهو كافر؛ لأن هذه الأصول الستة وهي الإيمان بالله وبالملائكة وبالكُتُب وبالرُّسُل وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشرِّهِ أثبتها القرآن العزيز ووضَّحها، وبيَّنَها النبي ﷺ في سنته، وأجمع المسلمون عليها، ولم يخالف في شيء منها إلَّا من خرج عن دائرة الإسلام وصار من الكافرين، نسأل الله السَّلامة والعافية.

وهذا حديث عظيم؛ **فيه**: بيان مراتب الدين، فقد سأل عن الإسلام والإيمان والإحسان فجعل الدين ثلاث مراتب، ثم قَالَ ﷺ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

○ قوله: «**وَفِيهِ مِنَ الْأَدِلَّةِ**» في إثبات القدر «**مَا لَوْ اِسْتَقْصَيْنَاهُ لَأَدَّى إِلَى الْإِمْلَالِ**» يعني: من كثرتها؛ لأن الأدلة كثيرة حصرها يؤدي إلى الملل والسَّآمة.

وتقدَّم أن القدريَّة طائفتان:

الأولى: **القدريَّة الأُوَل** الذين أنكروا العلم والكتابة.

الثانية: **عامَّة القدريَّة** الذين أنكروا عموم المشيئة والإرادة.

ويقابلهم طائفة أخرى تُسمَّى **الجبرية**، الذين يقولون: إن العبد مجبور على أفعاله وليس له اختيار[١].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٣٥)، و«مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٤٣)، و«شفاء العليل» (ص ٤٩).

وهؤلاء ـ والعياذ بالله ـ يعذرون الإنسان في شركه ومعاصيه، **يقولون**: إنه مجبور على أفعاله ليس له حركة ولا اختيار، بل أفعاله كلها اضطرارية بمنزلة حركة المرتعش والنائم وهبوب الأشجار والرياح، **فيقولون**: إن الأفعال أفعال الله، فالله هو المُصلِّي وهو الصائم، والعباد عبارة عن وعاء تمر عليهم الأفعال، **قالوا**: مَثَلُ الله في ذلك مَثَلُ الكوب الذي يُصبُّ فيه الماء، فالعباد كأنهم كوب يُصبُّ فيهم الماء والله صبَّاب الماء فيُساقُون إلى القدر، فالأفعال أفعال الله، وهذا من أبطل الباطل.

وهم يحتجون على شركهم وأفعالهم بالقدر، ولهذا يُسمَّون «**المشركية**»، وهم الذين أقرُّوا بالقضاء والقدر، وأنكروا الأمر والنهي، فهم الذين يحتجون على المعاصي بالقدر، وتَبعُوا المشركين في قولهم كما قال الله تعالى عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فسُمُّوا «**مشركية**» لأنهم شابهوا المشركين في الاحتجاج بالقدر، وهذا مذهب خبيث باطل؛ فهؤلاء أبطلوا الشريعة والأوامر والنواهي، وعليه فتكون الأوامر والنواهي والشريعة والرُّسُل عبثًا **عندهم**، فإذا سرق أحدهم احتجَّ بالقدر، وإذا زنى احتجَّ به، وإذا أشرك احتجَّ به؛ لأن الأوامر والنواهي والكُتُب والرُّسُل أبطلوها، وكلها **عندهم** عبث.

والقدرية الأُوَل القائلون بأن العبد يخلق فعل نفسه خيرًا أو شرًّا سُمُّوا «**مجوسية**» نسبة إلى **المجوس**، فإن **المجوس** يقولون بخالقين، خالق الخير: النور، وخالق الشرِّ: الظلمة[(١)] والقدريَّة يقولون كل واحد يخلق فعل نفسه[(٢)]، فنُسِبُوا إلى **المجوس** لاتفاقهم معهم في القول

(١) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (ص ٤٢).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٨/٤٠٦، ٤٠٧).

بتعدُّدِ الخالق، **قال العلماء**: وقول **القدريَّة** أردأ من قول **المجوس**؛ من جهة أن **المجوس** ما أثبتوا إلَّا خالقين، **والقدريَّة** جعلوا مع الله شركاء؛ فالخلق عندهم خالقون لأفعالهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن **المجوس** كفار **والقدريَّة** مبتدِعة[1].

والمشركية أشدُّ؛ لأن **القدريَّة المجوسية** أثبتوا الشرع والأوامر والنواهي فهم يُعظِّمونها، أما **القدريَّة المشركية** فأبطلوا الشرائع والأوامر والنواهي، فعلى قولهم هذا تكون الشرائع عبثًا ـ والعياذ بالله ـ، والأوامر والنواهي عبثًا، والرُّسُل عبثًا ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ، على مذهبهم يكون قوم نوح معذرين في شركهم ـ نعوذ بالله ـ، وكذلك قوم هود وقوم صالح، ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ.

وهناك **طائفة ثالثة** يُسمَّون «**الإبليسية**»، وهؤلاء أقَرُّوا بالأمرين جميعًا بالقدر وبالأمر والنهي، لكن جعلوا هذا متناقضًا من الرَّبِّ ﷻ، وطعنوا في حكمته وعدله، **قالوا**: هذا تناقض من الرَّبِّ؛ كيف يأمر بشيء ويُقدِّر ما يُنافِيه؟!، فجعلوا الأمر يُبطِل القدر، والقدر يُبطِل الأمر، **قالوا**: «الرَّبُّ متناقض» ـ تعالى الله عما يقولون ـ[2].

ويسمون «**إبليسية**» نسبة إلى شيخهم إبليس الذي اعترض على الله لما قال الله تعالى له: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٣٤] فامتنع إبليس، قال: «كيف أسجد وأنا خير منه؟!؛ عنصري أحسن من عنصره»، عنصر آدم الطين وعنصر إبليس النار والنار أفضل من الطين، ولا يخضع الفاضل للمفضول، ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٦٤٠، ٧٩٧).

(٢) انظر: «التدمرية» (ص٢٠٧)، و«مجموع الفتاوى» (٣/ ١١١)، (٨/ ٢٥٦- ٢٦١)، (١٠/ ٦٧١)، (١١/ ٢٩)، (١٦/ ٢٣٩).

﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف: ١٢].

وأول من قاس قياسًا فاسدًا هو إبليس، والقياس الفاسد هو القياس في مقابل النَّصِّ، فالنَّصُّ أمام إبليس ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤] إلَّا أنه ردَّ هذا النَّصَّ بالقياس الفاسد.

بل إن **بعضهم** تجاوز إبليس ـ والعياذ بالله ـ وصار يُدافع عنه، ويتهمون الله تعالى بالظلم، ويقولون: «ظلم الرَّبُّ إبليسَ» ـ نعوذ بالله ـ، يقولون: «إبليس مسكين»؛ أراد أن يُنزِّه جبهته فلا يسجد لغيره فطُرِدَ ولُعِنَ، فما ذنبه؟!، **قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ:

وَيُدْعَى خُصُومُ اللهِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ ... إِلَى النَّارِ طَرًّا مَعْشَرَ الْقَدَرِيَّةِ[1]

ويقول قائلهم[2]

وكنتُ فتًى مِنْ جُنْدِ إبْليسَ فارْتَقَى ... بِيَ الحالُ حتى صار إبْليسُ من جُنْدِي

نسأل الله السَّلامة والعافية، ونعوذ بالله من زيغ القلوب، ونسأل الله الثبات على دينه، والاستقامة عليه حتى الممات.

❁ ❁ ❁

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٤٦).

(٢) هو ابن عربي، انظر: «كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس» للشيخ عبدالرحمن بن حسن (ص٢٦٠)، و«الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» لابن سحمان (ص٢٢٦).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَأَجْمَعَ الْقَائِلُونَ بِالْأَخْبَارِ وَالْمُؤْمِنُونَ بِالْآثَارِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، ثُمَّ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، أُسْرِيَ بِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ جَمِيعًا، ثُمَّ عَادَ مِنْ لَيْلَتِهِ إِلَى مَكَّةَ قَبْلَ الصُّبْحِ.

وَمَنْ قَالَ: «إِنَّ الْإِسْرَاءَ فِي لَيْلَةٍ وَالْمِعْرَاجَ فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ غَلِطَ»، وَمَنْ قَالَ: «إِنَّهُ مَنَامٌ وَإِنَّهُ لَمْ يُسْرَ بِجَسَدِهِ» فَقَدْ كَفَرَ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ﴾ [الإسراء: ١].

وَرَوَى قِصَّةَ الْإِسْرَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَبُو ذَرٍّ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَمَالِكُ بْنُ صَعْصَعَةَ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ، وَشَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ، وَغَيْرُهُمْ، كُلُّهَا صِحَاحٌ مَقْبُولَةٌ مَرْضِيَّةٌ عِنْدَ أَهْلِ النَّقْلِ مُخَرَّجَةٌ فِي الصِّحَاحِ».

الشَّرْح

انتقل **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ من الكلام عن القضاء والقدر إلى مبحث الإسراء والمعراج.

والإسراء في اللغة: السفر ليلًا، وشرعًا: السفر بنبينا محمد ﷺ بصحبة جبرائيل على البراق ليلًا من مكة إلى بيت المقدس.

وأما المعراج(١)، وهو صعود نبينا ﷺ بصحبة جبرائيل ليلًا من بيت المقدس إلى السماء.

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٢٠٣).

أوتي بالمعراج فصعد عليها ﷺ ومعه جبرائيل حتى وصل إلى السماء، ودخل السماوات، وانتقل من سماء إلى سماء حتى وصل إلى سدرة المنتهى.

قال المؤلف رحمه الله: «**وَأَجْمَعَ الْقَائِلُونَ بِالْأَخْبَارِ وَالْمُؤْمِنُونَ بِالْآثَارِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، ثُمَّ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، أُسْرِيَ بِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ جَمِيعًا، ثُمَّ عَادَ مِنْ لَيْلَتِهِ إِلَى مَكَّةَ قَبْلَ الصُّبْحِ**» فدمج رحمه الله الإسراء بالمعراج.

أُسْرِيَ به ﷺ أولًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسجد بيت المقدس، ثم عُرِجَ به بجسده وروحه جميعًا إلى فوق سبع سماوات، ثم إلى سدرة المنتهى، ثم عاد من ليلته قبل الصبح، هذا هو **الصواب** الذي تدل عليه النصوص، وهو الذي أجمع عليه **المحققون من أهل السنة والجماعة**.

وقد بَيَّنَ الله تعالى ذلك في القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء: ١]، فمن قال: «إن محمد ﷺ لم يُسْرَ به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» كفر؛ لأنه مُكذِّب لله، ومن كَذَّبَ الله كفر، إلَّا إذا لم يعلم وكان مثله يجهل هذا فيُبيَّن له النَّصُّ، وأن الله أخبر في القرآن أن الله أسرى بنبيه ﷺ ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فإن أصر كفر؛ لأنه كذَّب الله ومن كذَّب الله كفر، وأما المعراج فإنه قد جاء فيه أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ.

وكان الإسراء مرة واحدة، **وقيل**: مرتين، مرة يقظة ومرة منامًا، ...، **والصواب الذي عليه أئمة النقل** أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة

بعد البعثة[١]، أُسري بروحه وجسده إلى المسجد الأقصى، ثم عُرِجَ به إلى فوق السماوات بجسده وروحه إلى الله ﷻ فخاطبه، وفرض عليه الصلوات[٢]، وكان ذلك مرة واحدة هذا **أصح الأقوال**[٣].

والصواب أن الإسراء والمعراج كان بعد النبوة في مكة قبل الهجرة بسنة أو بسنتين أو بثلاث على خلاف[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وأما السؤال عن المعراج هل عُرِجَ بالنبي ﷺ يقظة أو منامًا؟

• **فالجواب**: الذي عليه **جماهير السلف والخلف** أنه كان يقظة، ويدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٣-١٨].

ومعلوم أن قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ تعظيم لهذه الآية وتسبيح الرَّبِّ الذي فعلها، والتسبيح يكون عند الأمور العجيبة العظيمة الخارجة عن العادة، ومعلوم أن عامَّة الخلق يرى أحدهم في منامه الذهاب من مكة إلى الشام وليس هذا مما يُذكر على هذا الوجه من التعظيم....»[٥].

○ قوله: «**وَمَنْ قَالَ: «إِنَّ الْإِسْرَاءَ فِي لَيْلَةٍ وَالْمِعْرَاجَ فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ**

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن القيم (٣/ ٤٢).
(٢) يأتي تخريجه.
(٣) انظر: «زاد المعاد» (١/ ٩٩).
(٤) انظر: «فتح الباري» (٧/ ٢٠٣).
(٥) «جواب سؤال أهل الرحبة» (ص ١٢١).

غَلِطَ» وهذا **صحيح**، **فالصواب** أنهما كانا في ليلة واحدة.

○ قوله: «**وَمَنْ قَالَ: «إِنَّهُ مَنَامٌ وَإِنَّهُ لَمْ يُسْرَ بِجَسَدِهِ»** قوله ضعيف، واستدلوا بما وقع في رواية شريك في آخر الحديث قَالَ: «**وَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ**»(١) «**فَقَدْ كَفَرَ**» تكفير من قال: «إن الإسراء كان منامًا وأنه لم يُسْرَ بجسده» من **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ غريب!!، **والصواب** أنه لا يكفر؛ لأنها شبهة، فكيف يُكفَّر من له شُبْهَة؟!، والتكفير ليس أمره بالهين، ولم أرَ أحدًا من العلماء كَفَّرَ من قال: «إن الإسراء كان منامًا»، وإنما يُقال: «هذا قول ضعيف مرجوح خلاف الصواب، اشتبه عليهم الأمر في بعض الألفاظ»(٢).

وذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الدليل، فقال: «**قَالَ اللهُ** ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]» وفيه: **دليل** على أن الإسراء والمعراج كان بروحه وجسده، **وجه الدلالة**: قوله: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ والعبد اسم لمجموع الروح والجسد كما أن الإنسان اسم لمجموع الروح والجسد.

○ قوله: «**وَرَوَى قِصَّةَ الْإِسْرَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَبُو ذَرٍّ**» أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»(٣)، «**وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ**» أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»(٤)، «**وَمَالِكُ بْنُ صَعْصَعَةَ**» أخرجه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]»، رقم (٧٥١٧).

(٢) انظر: «الشريعة» للآجري (٣/١٥٣٨)، و«الشفا» للقاضي عياض (١/٣٥٩)، و«زاد المعاد» (١/٩٧)، (٣/٣٦)، «فتح الباري» لابن حجر (٧/١٩٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب «كيف فرضت الصلاة في الإسراء»، رقم (٣٤٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٦٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]»، رقم (٧٥١٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٦٢).

البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[(١)]، «**وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ**» أخرجه مسلم في «صحيحه»[(٢)]، «**وَشَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ**» أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»[(٣)]، «**وَغَيْرُهُمْ**» كابن عباس ﭭ كما في «الصحيحين»[(٤)] «**كُلُّهَا صِحَاحٌ مَقْبُولَةٌ مَرْضِيَّةٌ عِنْدَ أَهْلِ النَّقْلِ مُخَرَّجَةٌ فِي الصِّحَاحِ**».

وهذا سياق قصة الإسراء؛ ففي «الصحيحين»[(٥)] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ﭭ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ «**بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ - مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ - قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ - مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ**»، فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: «مَا يَعْنِي بِهِ؟»، قَالَ: «مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ»، «**فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ**»، فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: «هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟»، قَالَ أَنَس: «نَعَمْ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ»، «**فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: «مَنْ هَذَا؟»، قَالَ: «جِبْرِيلُ»، قِيلَ: «وَمَنْ مَعَكَ؟»، قَالَ: «مُحَمَّدٌ»، قِيلَ: «وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟»، قَالَ: «نَعَمْ»، قِيلَ: «مَرْحَبًا بِهِ،**

---

(١) يأتي تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٦٧).

(٣) «المعجم الكبير» (٧/ ٢٨٢) رقم (٧١٤٢).
قال البيهقي: «هذا إسناد صحيح». «دلائل النبوة» (٢/ ٣٥٧).
وقال الهيثمي: «وفيه: **إسحاق بن إبراهيم بن العلاء وثقه يحيى بن معين، وضعفه النسائي**». «مجمع الزوائد» (١/ ٧٤).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب «ذكر الملائكة»، رقم (٣٢٣٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٦٥).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب «المعراج»، رقم (٣٨٨٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٦٤).

فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ» فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: «هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ» فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: «مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: «مَنْ هَذَا؟»، قَالَ: «جِبْرِيلُ»، قِيلَ: «وَمَنْ مَعَكَ؟»، قَالَ: «مُحَمَّدٌ»، قِيلَ: «وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟»، قَالَ: «نَعَمْ»، قِيلَ: «مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ» فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: «هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا» فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: «مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: «مَنْ هَذَا؟»، قَالَ: «جِبْرِيلُ»، قِيلَ: «وَمَنْ مَعَكَ؟»، قَالَ: «مُحَمَّدٌ»، قِيلَ: «وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟»، قَالَ: «نَعَمْ»، قِيلَ: «مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ» فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: «هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ» فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: «مَنْ هَذَا؟»، قَالَ: «جِبْرِيلُ»، قِيلَ: «وَمَنْ مَعَكَ؟»، قَالَ: «مُحَمَّدٌ»، قِيلَ: «أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟»، قَالَ: «نَعَمْ»، قِيلَ: «مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ» فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ قَالَ: «هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ» فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: «مَنْ هَذَا؟»، قَالَ: «جِبْرِيلُ»، قِيلَ: «وَمَنْ مَعَكَ؟»، قَالَ: «مُحَمَّدٌ»، قِيلَ: «وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟»، قَالَ: «نَعَمْ»، قِيلَ: «مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ»، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: «هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ» فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: «مَنْ هَذَا؟»، قَالَ: «جِبْرِيلُ»، قِيلَ: «مَنْ مَعَكَ؟»، قَالَ: «مُحَمَّدٌ»، قِيلَ: «وَقَدْ أُرْسِلَ

إِلَيْهِ؟»، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: «مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ»، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: «هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ» فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: «مَا يُبْكِيكَ؟»، قَالَ: «أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي»، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: «مَنْ هَذَا؟»، قَالَ: «جِبْرِيلُ»، قِيلَ: «وَمَنْ مَعَكَ؟»، قَالَ: «مُحَمَّدٌ»، قِيلَ: «وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟»، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: «مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ»، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: «هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ»»، قَالَ: «فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ»، قَالَ: «مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، قَالَ: «هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى»، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ، نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: «مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟»، قَالَ: «أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ»، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: «هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ»، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ، خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: «بِمَا أُمِرْتَ؟»، قَالَ: «أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ»، قَالَ: «إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ»، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ،

فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: «بِمَ أُمِرْتَ؟»، قُلْتُ: «أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ»، قَالَ: «إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ»، قَالَ: «سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ»»، قَالَ: «فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: «أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»».

❁ ❁ ❁

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَأَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [النجم: ١٣-١٤].

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَا رَوَيْنَا عَنْهُ: «وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ صَحِيحٌ، رَوَاهُ قَتَادَةُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْحَدِيثُ عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْكَلَامُ فِيهِ بِدْعَةٌ، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَلَا نُنَاظِرُ فِيهِ أَحَدًا».

وَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اصْطَفَى إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ، وَاصْطَفَى مُوسَى بِالْكَلَامِ، وَاصْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ بِالرُّؤْيَةِ».

وَرَوَى عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ».

وَرُوِيَ عَنْ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: «بِمَ تُجِيبُ عَنْ قَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ رَأَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» الْحَدِيثِ؟»، قَالَ: «بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»».

وَفِي حَدِيثِ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي وَهُوَ فِي مَكَانِهِ» وَالْحَدِيثُ بِطُولِهِ مُخَرَّجٌ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَالْمُنْكِرُ لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ رَادٌّ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ».

الشَّرْح

هذا مبحث رؤية النبي ﷺ لربِّهِ ليلة المعراج.

اتفق سلف الأمة أنه لا يرى اللهَ أحدٌ في الدنيا بعينه إلَّا ما نازع

فيه **بعضهم** من رؤية نبينا محمد ﷺ خاصَّة[(١)].

لَمَّا سمع موسى عليه الصلاة والسلام كلام الله من وراء حجاب طمع في رؤيته ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ﴾، قال تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۚ﴾، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣] فأعلم الله بذلك موسى عليه السلام أنه لا يراه في الدنيا[(٢)].

فلا يستطيع أحد أن يرى ربَّهُ في الدنيا؛ لأنه احتجب عن خلقه بالنور، ولو كشفه لاحترق الخلق كلهم كما في «صحيح مسلم»[(٣)] عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عز وجل لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، حِجَابُهُ النُّورُ** - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: **النَّارُ** - **لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

ولم يُخالِف في هذا إلَّا **بعض الصوفية المُنحرِفين** الذين يقولون: إن الله موجود في الأرض في الخضرة - تعالى الله عما يقولون -، ولا عبرة **بهم**.

○ قوله: «**وَأَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ** عز وجل» اختلف **العلماء** في رؤيته ﷺ ربَّهُ ليلة المعراج هل رأى ربَّهُ بعين رأسه أو رآه بعين قلبه؟، على قولين

القول الأول: أن النبي ﷺ رأى ربَّهُ بعين رأسه، وهذا اختاره

(١) انظر: «الرد على الجهمية» للدارمي (ص١٢٤)، و«مجموع الفتاوى» (٢/ ٢٣٠)، (٢/ ٣٣٦)، (٥/ ٤٩٠)، (٦/ ٥١٠)، و«السبعينية» (ص ٥٢٨)، و«منهاج السنة» (٢/ ٣١٦).

(٢) انظر: «الإبانة عن أصول الديانة» (ص٢٦)، وانظر: «تفسير ابن جرير» (٩/ ٥٥)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٤٥).

(٣) تقدَّم تخريجه.

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ؛ وذهب إلى هذا **ابن خزيمة** في كتاب «التوحيد»[١] والقاضي عياض[٢]، والنووي[٣].

القول الثاني: أن النبي ﷺ لم يرَ ربَّهُ بعين رأسه، وإنما سمع كلامه من وراء حجاب، ورآه بعين قلبه، والرؤية بعين القلب تعني زيادة في العلم، **وجماهير الصحابة** على أن النبي لم يرَ ربَّهُ ليلة المعراج[٤]، وهو **الصواب**، والأدلة كثيرة.

من أصرحها: ما رواه مسلم في «صحيحه»[٥] عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟»، قَالَ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»[٦] **ومعناه: حجابه نور فكيف أراه؟!**[٧].

ومنها: ما في «صحيح مسلم»[٨] عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»، وقوله «**مِنْ خَلْقِهِ**» عام ومحمد ﷺ من خلقه فيشمله، فلو كشف الحجاب لاحترق

---

(١) «كتاب التوحيد» (٢/ ٤٧٧).

(٢) **قال**: «والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضًا ولا نص؛ إذ المعول فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مأثور، والاحتمال لهما ممكن، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي بذلك، وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يُسنِده إلى النبي فيجب العمل باعتقاد مضمنه». انظر: كتاب «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٥٦)

(٣) انظر: شرح النووي على «صحيح مسلم» (٣/ ٥).

(٤) حكى **إجماع الصحابة** على أنه لم يرَ ربه ليلة المعراج **عثمان بن سعيد الدارمي** في كتاب «الرؤية». انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم (ص ١٢)

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٨).

(٦) بتنوين «**نُورٌ**»، وبفتح الهمزة في «**أَنَّى**» وتشديد النون وفتحها، و«**أَرَاهُ**» بفتح الهمزة، هكذا رواه **جميع الرواة** في جميع الأصول والروايات. شرح النووي على «صحيح مسلم» (٣/ ١٢).

(٧) شرح النووي على «صحيح مسلم» (٣/ ١٢).

(٨) تقدَّم تخريجه.

الخلق كلهم ومنهم محمد عليه الصلاة والسلام.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، ويدخل في ذلك: نبينا عليه الصلاة والسلام؛ فإنه بشر كلَّمة الله من وراء حجاب، فلا يستطيع أحد أن يرى الله تعالى.

ورؤية الله نعيم ادَّخرها الله تعالى لأهل الجنة، وهي أعظم نعيم.

وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] ولم يقل «يراني» أو «لأريه نفسي» ورؤية الله أعظم، ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

وأما ما استدل به **القائلون** بأن النبي ﷺ رأى ربَّهُ فليست صريحة ولا واضحة.

واستدل المؤلف رحمه الله على قوله **فقال**: «**كَمَا** قَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [النجم: ١٣-١٤]».

قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم: ٥-٨] ـ هذا جبريل عليه السلام ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ [النجم: ٩-١٢] فرأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته التي خُلِقَ عليها مرتين، وهما المذكورتان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾ [التكوير: ٢٣]، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: ١٣-١٥] عند ما عُرِجَ به إلى السموات العُلا.

إذًا الدليل الذي ذكره **المؤلف** رحمه الله لا يدل على ما استدل به؛ لأن هذا في رؤية جبريل وليس في رؤية الله تعالى، وبهذا لا يكون دليلًا لما

ذهب إليه رَحِمَهُ اللهُ من أن النبي ﷺ رأى ربَّهُ بعين رأسه.

وروى مسلم في «صحيحه»(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم: ١٣] قَالَ: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الرؤية فالذي ثبت في «الصحيح»(٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: «**رأى محمد ربَّهُ بفؤاده مرتين**»، وعائشة أنكرت الرؤية(٣)، فمن الناس من جمع بينهما، فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: «رأى محمد ربَّهُ»، وتارة يقول: «رآه محمد»، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه.

وكذلك **الامام أحمد** تارة يطلق الرؤية وتارة يقول: «رآه بفؤاده»، ولم يقل أحد أنه سمع **أحمد** يقول: «رآه بعينه»، لكن **طائفة من أصحابه** سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين، كما سمع **بعض الناس** مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين، وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه»(٤).

وجماهير الصحابة على أن النبي ﷺ لم يرَ ربَّهُ ليلة المعراج، **ومنهم**: عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، في «الصحيحين»(٥) عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٦).

(٢) تقدَّم تخريجه قريبًا.

(٣) يأتي قريبًا.

(٤) «مجموع الفتاوى» (٦/٥٠٩، ٥١٠).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب «وقال الحسن: ﴿إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النَّجم: ١] غاب»، رقم (٤٨٥٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٧).

رضي الله عنها: «يَا أُمَّتَاهْ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟»، فَقَالَتْ: «لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ[(١)]؛ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ؟!، مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الْآيَةَ، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عليه السلام فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ».

ويجمع بينهما كما قال المُحقِّقون كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأن النصوص والآثار والأقوال لأهل العلم التي فيها أنه رآه تُحمل على أنه رآه بعين قلبه، والتي فيها أنه لم يره تُحمل على أنه لم يرَهُ بعين رأسه، وبذلك تجتمع الأدلة[(٢)].

○ قوله: «قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَا رَوَيْنَا عَنْهُ: «وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَبَّهُ عز وجل؛ فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ صَحِيحٌ، رَوَاهُ قَتَادَةُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[(٣)]، وَرَوَاهُ الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[(٤)]، وَرَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[(٥)]، وَالْحَدِيثُ عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْكَلَامُ فِيهِ بِدْعَةٌ، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِ

---

(١) **قال النووي**: «وأما قولها رضي الله عنها «قَفَّ شَعَرِي» فمعناه: قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يُقال، **قال ابن الاعرابي**: «تقول العرب عند إنكار الشيء «قفَّ شعري» و«اقشعر جلدي» و«اشمأزت نفسي»». شرح النووي على «صحيح مسلم» (٣/ ١٠).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٠٩).

(٣) «مسند أحمد» (١/ ٢٨٥).

قال الذهبي: «إسناده قوي». «العلو للعلي الغفار» (ص ١٠٤).

(٤) أخرجها الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة والنجم»، رقم (٣٢٧٩).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه».

(٥) أخرجها الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٢١٩) رقم (١٢٩٤١).

كَمَا جَاءَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَلَا نُنَاظِرْ فِيهِ أَحَدًا»» نقله **اللالكائي** رحمه الله في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[(١)] في اعتقاد **الإمام أحمد** رحمه الله، وهذا محمول على أن المراد بالرؤيا الرؤيا بقلبه، وهي زيادة في العلم[(٢)].

○ قوله: «**وَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ اصْطَفَى إِبْرَاهِيمَ بِالْخِلَّةِ، وَاصْطَفَى مُوسَى بِالْكَلَامِ، وَاصْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ بِالرُّؤْيَةِ»**» أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة»[(٣)]، وغيرُهُ[(٤)].

وهذا إن صح عن ابن عباس رضي الله عنهما فهو محمول على أنه رآه بفؤاده، وإن كان ظاهره أنه رآه بعين رأسه، ولو قيل: إن مراده رآه بعيني رأسه فيكون اجتهاد من ابن عباس رضي الله عنهما على حسب ما ظهر له.

والمقصود: أن هذا ليس فيه دليل واضح على أن النبي ﷺ رأى ربَّهُ بعيني رأسه؛ لأن اصطفاء إبراهيم بالخلَّة ليس خاصًّا به بل شاركه نبينا ﷺ، واصطفاء موسى بالكلام ليس خاصًّا به وإنما شاركه نبينا ﷺ، واصطفاء محمد ﷺ بالرؤيا ـ إن صحَّ عن ابن عباس ـ يحمل على الرؤية التي هي بالفؤاد.

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/١٥٨).

(٢) **قال القاضي أبو يعلى**: «والرواية الأولى أصح وأنه رآه في تلك الليلة بعينيه». «إبطال التأويلات» (ص ١١١).

وقال ابن القيم: «لم يقل **أحمد** رحمه الله إنه رآه بعيني رأسه يقظة، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه، ولكن **قال مرة**: «رآه»، **ومرة قال**: «رآه بفؤاده» فحُكِيت عنه روايتان، وحُكِيت عنه الثالثة من تصرف **بعض أصحابه** أنه رآه بعيني رأسه، وهذه نصوص **أحمد** موجودة ليس فيها ذلك». «زاد المعاد» (٣/٣٧)

(٣) «السنة» رقم (٤٤٢).

(٤) عبدالله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٧٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ٤٧٢).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ١٣٣).

وقال ابن حجر: «أخرجه النسائي بإسناد صحيح، وصححه الحاكم». «فتح الباري» (٨/٦٠٨).

○ قوله: «**وَرَوَى عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ»**» أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في «السنة»[(١)].

والمراد أن مُحَمَّدا رأى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ ـ يعني: بفؤاده ـ، وليس المعنى أنه رآه بعيني رأسه؛ لأن هذا مطلق فيحمل على المقيد.

○ قوله: «**وَرُوِيَ عَنْ أَحْمَد** رحمه الله **أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: «بِمَ تُجِيبُ عَنْ قَوْلِ عَائِشَةَ** رضي الله عنها **«مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ رَأَى رَبَّهُ** عز وجل**» الْحَدِيثِ؟»، قَالَ: «بِقَوْلِ النَّبِيِّ** ﷺ **«رَأَيْتُ رَبِّي** عز وجل**»»** قول الإمام أحمد عزاه **الحافظ ابن حجر** في «الفتح»[(٢)] للخلال في كتاب «السنة» **فقال**: «فروى الخلال في كتاب «السنة» عن المروزي، قلت لأحمد: «إنهم يقولون إن عائشة قالت: «من زعم أن محمدًا رأى ربَّهُ فقد أعظم على الله الفرية»[(٣)]، فبأي شيء يدفع قولها؟»، قال: «بقول النبي ﷺ «رأيت ربي»»، قول النبي ﷺ أكبر من قولها»، ثم **قال** رحمه الله: «وقد أنكر **صاحب «الهدي»**[(٤)] **على من زعم أن أحمد قال**: «**رأى ربَّهُ بعيني رأسه**»، **قال**: «وإنما قال مرة: «رأى محمد ربَّهُ»، وقال مرة: «بفؤاده»، وحكى عنه **بعض المتأخرين** رآه بعيني رأسه، وهذا من تصرف الحاكي؛ فإن نصوصه موجودة»»[(٥)].

○ قوله: «**وَفِي حَدِيثِ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رضي الله عنه **أَنَّ النَّبِيَّ** ﷺ **قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي وَهُوَ فِي مَكَانِهِ» وَالْحَدِيثُ بِطُولِهِ مُخَرَّجٌ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[(٦)]، وَالْمُنْكِرُ لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ رَادٌّ**

(١) «السنة» رقم (١١٣٨).
(٢) «فتح الباري» (٨/ ٦٠٨، ٦٠٩).
(٣) تقدَّم تخريجه.
(٤) «زاد المعاد» (٣/ ٣٧).
(٥) «فتح الباري» (٨/ ٦٠٩).
(٦) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]»، رقم (٧٥١٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٦٢).

عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ» ولا أدري ما وجه استدلال **المؤلف** ﷺ بها على هذه المسألة؟!

ومما تقدَّم يتبيَّن أن النبي ﷺ رأى ربَّهُ ليلة المعراج بفؤاده ولم يرَهُ بعيني رأسه، وهذا **هو الصواب** الذي تدل عليه النصوص، وهو الذي عليه **المحقِّقون من أهل العلم**، وما ورد من الآثار بإثبات الرؤيا فهي محمولة على رؤية الفؤاد، وما ورد منها بنفي الرؤيا فهي محمولة على الرؤيا بعيني رأسه.

❁ ❁ ❁

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَيَعْتَقِدُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَيُؤْمِنُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَهْلِ الْجَمْعِ كُلِّهِمْ شَفَاعَةً عَامَّةً، وَيُشَفَّعُ فِي الْمُذْنِبِينَ مِنْ أُمَّتِهِ فَيُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا احْتَرَقُوا كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا فَأُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، قَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، إِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ»» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَى حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ بِطُولِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَبْدُاللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَأَبُو مُوسَى عَبْدُاللهِ بْنُ قَيْسٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَغَيْرُهُمْ».

الشَّرْح

هذا مبحث الشفاعة.

الشفع خلاف الزوج، وهو خلاف الوتر، تقول: «كان وترًا فشفَّعته شفعًا»[1]، ويُقَالُ: شَفَعَ يَشْفَعُ شَفَاعَةً فَهُوَ شَافِعٌ وشَفِيعٌ، والْمُشَفِّعُ: الذي يقبل الشَّفاعةَ، والْمُشَفَّعُ: الذي تُقْبَل شفاعتُه[2].

(١) «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٣٨).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٤٨٥).

الشفاعة ملك لله ﷻ؛ كما قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤] ولا يشفع النبي ﷺ في أحد يوم القيامة حتى يأذن الله له كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

والشفاعة العظمى هي المقام المحمود يوم القيامة الذي يغبطه عليها الأولون والآخرون، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩] **قال أكثر أهل العلم:** ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربُّهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم(١).

ولا تكون إلَّا بعد أن يأذن الله تعالى له، فإن الناس يصيبهم كرب عظيم في موقف القيامة، وتدنو الشمس من الرؤوس، وتزداد حرارتها، ويموج الناس بعضهم في بعض كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، ففي «الصحيحين»(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: «أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟»، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: «عَلَيْكُمْ بِآدَمَ»، فَيَأْتُونَ آدَمَ** عليه السلام **فَيَقُولُونَ لَهُ: «أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟»، فَيَقُولُ آدَمُ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ**

---

(١) «تفسير الطبري» (١٥/ ١٤٣، ١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب «﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣]»، رقم (٤٧١٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٤).

غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ»، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: «يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ: «إِنَّ رَبِّي ﷻ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ»، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: «يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ لَهُمْ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى»، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: «يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ»، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: «يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ عِيسَى: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ»، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: «يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟» فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ

سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»».

وقوله: «**فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: «يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ لَهُمْ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ**»»، وهذه الكذبات إنما هي في الحقيقة تورية، وكان يُجَادِل بهنَّ عن دين الله، في «الصحيحين»[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ** ﷺ **قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ، قَوْلُهُ** ﷺ وَقَوْلُهُ ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ [الصافات: ٨٩]، **وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: «إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ**»»، فانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «**وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ**»، فانظر إلى ما يعتذر به إبراهيم ﷺ يوم القيامة.

وقوله «**فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: «يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا**»»، وهذه النفس التي قتلها هي القبطي الذي قتله قبل النبوة، قال

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب «قول الله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠]، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ۝١١٤﴾ [التوبة: ١١٤]»، رقم (٣٣٥٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٣٧١) ـ واللفظ له ـ.

تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ﴾ [القصص: ١٥].

وقوله «**فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: «يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ عِيسَى: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا -**»»، في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «**فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: «إِنِّي عُبِدْتُ مِنْ دُونِ اللهِ»**[1].

وقوله «**فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عز وجل، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**» فيأتيه الإذن من الله تعالى: «**ثُمَّ يُقَالُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»» فيُشفِّعه الله في الخلائق والقضاء بينهم، وهذا هو المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون.

الشفاعة لا تكون إلَّا بشرطين:

الشرط الأول: الإذن من الله للشافع.

الشرط الثاني: الرضا عن المشفوع له، فلا يأذن الله لأحد أن يُخْرِجَ من النار إلَّا العصاة المُوحِّدين، فلا يرضى الله إلَّا على أهل التوحيد والإخلاص، وأما الكافر فلا يرضى الله عنه ولا يمكن أن يأذن لأحد أن يشفع فيه.

ونبينا عليه الصلاة والسلام له شفاعات خاصَّة، وله شفاعات

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة بني إسرائيل»، رقم (٣١٤٨).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

يشاركه فيها غيره، فالشفاعات الخاصَّة التي تخصُّ نبينا ﷺ:

١- **الشفاعة الأولى** لنبينا محمد ﷺ، وهي أعظم الشفاعات، هي الشفاعة العظمى في موقف القيامة لإراحة الناس لفصل القضاء، وهي المقام المحمود الذي ذكره الله ﷻ له ووعده إياه، وهي التي يغبِطه عليها الأولون والآخرون، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

٢- **شفاعته ﷺ** في استفتاح باب الجنة، في «صحيح مسلم»[١] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**».

٣- **شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه** وليست لإخراجه من النار، في «الصحيحين»[٢] عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟»، قَالَ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»، أي: أن شفاعته ﷺ في التخفيف عنه، ولا تنفعه في إخراجه من النار.

وليست الشفاعة خاصَّة بالنبي ﷺ، بل يشاركه فيها غيره، فقد ثبت أن الملائكة والأولياء يشفعون[٣]، والأفراط ـ وهم الأطفال الذين ماتوا دون البلوغ ـ يشفعون[٤].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب «قصة أبي طالب»، رقم (٣٨٨٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢٠٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]»، رقم (٧٤٣٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب «ما قيل في أولاد المسلمين»، رقم (١٣٨١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

يشفع نبينا ﷺ لأهل الموقف أربع شفاعات، كل مرة يحد الله له حدًّا، في «الصحيحين»(١) عَنْ مَعْبَدِ بْنِ هِلَالٍ الْعَنَزِيِّ قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى فَاسْتَأْذَنَّا فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِثَابِتٍ: «لَا تَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ»، فَقَالَ: «يَا أَبَا حَمْزَةَ، هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ»، فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: **«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: «اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ»، فَيَقُولُ: «لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ؛ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ»، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: «لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى؛ فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ»، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: «لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى؛ فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ»، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: «لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ»، فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: «أَنَا لَهَا»، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»، فَأَقُولُ: «يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي»، فَيَقُولُ: «انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ»، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»، فَأَقُولُ: «يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي»، فَيَقُولُ: «انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ»، فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ**

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم»، رقم (٧٥١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٣).

أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»، فَأَقُولُ: «يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي»، فَيَقُولُ: «انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ» فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»، فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: «لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ» فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنَا، فَقُلْنَا لَهُ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ»، فَقَالَ: «هِيهْ» فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ: «هِيهْ»، فَقُلْنَا: «لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا»، فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، فَحَدِّثْنَا» فَضَحِكَ، وَقَالَ: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا»؛ مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ»، قَالَ: **«ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»، فَأَقُولُ: «يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»»، فَيَقُولُ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»»».**

ويشفع الأنبياء، ويشفع الشهداء، ويشفع الصالحون، ويشفع أهل القرآن، ويشفع الملائكة، وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة، **«فَيَقُولُ اللهُ** ﷻ: **«شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ «نَهَرُ الْحَيَاةِ»** فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ[(١)] [(٢)].

---

(١) وهو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٤٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٣]»، رقم (٧٤٣٩)، باب «مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨٣) ـ واللفظ له ـ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

فإذا تكامل خروج العصاة والموحِّدين ولم يبقَ منهم أحد أطبقت النار على الكفرة بجميع أصنافهم اليهود والنصارى والوثنيين والشيوعيين والملاحدة والمنافقين في الدرك الأسفل من النار فلا يخرجون منها أبدًا أبدًا، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهُمَزة: ٨] يعني: مطبقة مغلقة، وقال تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ [النَّبَإِ: ٢٣] والأحقاب جمع حقب، والحقب هو المدد المتطاولة، كلما انتهى حقب يعقبه حقب إلى ما لا نهاية، نسأل الله السَّلامة والعافية.

○ قوله: «**وَيَعْتَقِدُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَيُؤْمِنُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَهْلِ الْجَمْعِ كُلِّهِمْ شَفَاعَةً عَامَّةً، وَيُشَفَّعُ فِي الْمُذْنِبِينَ مِنْ أُمَّتِهِ فَيُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا احْتَرَقُوا كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا فَأُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»» وهذا الحديث في «الصحيحين»(١)، وهو حديث صحيح في إثبات الشفاعة.

وفيه: الرد على **الخوارج والمعتزلة** الذين أنكروا الشفاعة(٢).

○ قوله: «**وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، قَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، إِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**»» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ في «صحيحه»(٣)، وفي لفظ: «**خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب «لكل نبي دعوة مستجابة»، رقم (٦٣٠٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٤/٣٤١)، (٢٧/٣٤١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب «صفة الجنة والنار»، رقم (٦٥٧٠).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب «الحرص على الحديث»، رقم (٩٩).

فيه: دليل على أن الشفاعة لا تكون إلَّا لأهل التوحيد، أما الكفار فلا نصيب لهم في الشفاعة، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِّر: ٤٨].

○ قوله: «**وَرَوَى حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ بِطُولِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ**» رواه الإمام أحمد في «المسند»[(١)] «**وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ**» رواه الإمام أحمد في «المسند»[(٢)] «**وَعَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**» رواه البخاري في «صحيحه»[(٣)] «**وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ**» رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[(٤)] «**وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ**» رواه مسلم في «صحيحه»[(٥)]، «**وَأَبُو مُوسَى عَبْدُاللهِ بْنُ قَيْسٍ**» وهو أبو موسى الأشعري ﷺ، رواه الإمام أحمد في «المسند»[(٦)] «**وَأَبُو هُرَيْرَةَ**» رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[(٧)] «**وَغَيْرُهُمْ**» كحديث مصعب الأسلمي ﷺ رواه الطبراني في «المعجم الكبير»[(٨)].

❁ ❁ ❁

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ٤).
قال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار، ورجالهم ثقات». «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٧٥).

(٢) «مسند أحمد» (١/ ٢٨١).
قال الهيثمي: «رواه أبو يعلى وأحمد، وفيه **علي بن زيد**، وقد وُثِّقَ على ضعفه، وبقية رجالهما رجال الصحيح». «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٧٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب «قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسرَاء: ٧٩]»، رقم (٤٧١٨).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب «قول الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البَقَرَة: ٣١]»، رقم (٤٤٧٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٣).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٥).

(٦) «مسند أحمد» (٤/ ٤١٥).

(٧) تقدَّم تخريجه.

(٨) «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣٦٥) رقم (٨٥١).
قال الهيثمي: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح». «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦٩).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«ثُمَّ الْإِيمَانَ بِأَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَوْضًا تَرِدُهُ أُمَّتُهُ كَمَا صَحَّ عَنْهُ، وَأَنَّهُ كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ، وَرُوِيَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَبِأَلْفَاظٍ أُخَرَ «مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ» رَوَاهُ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُاللهِ بْنُ عَمْرٍو، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، وَبُرَيْدَةُ الْأَسْلَمِيُّ».

الشَّرح

○ قوله: «ثُمَّ الْإِيمَانَ بِأَنَّ لِرَسُولِ اللهِ حَوْضًا تَرِدُهُ أُمَّتُهُ كَمَا صَحَّ عَنْهُ» يعني: يجب الإيمان بالحوض.

حوض نبينا محمد ﷺ في موقف القيامة، حوض طويل، طوله كعرضه، طوله مسافة شهر وعرضه مسافة شهر، في «الصحيحين»[(١)] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ[(٢)]، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»**.

وجاءت أحاديث متواترة في إثبات حوض نبينا محمد[(٣)]، والأحاديث المتواترة في السنة قليلة ـ التواتر اللفظي ـ تقارب أربعة عشر

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب «في الحوض»، رقم (٦٥٧٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٢٩٢) ـ واللفظ له ـ.

(٢) **قال النووي**: «**قال العلماء**: معناه طوله كعرضه كما قال في حديث أبي ذر المذكور في الكتاب: «**عرضه مثل طوله**»». شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٥/ ٥٥).

(٣) انظر: «الاستذكار» (٥/ ١١٢)، و«التمهيد» (٢/ ٢٩١).

أو خمسة عشر حديثًا[١]، وإلَّا فالسنة كلها ثبتت بالآحاد.

وخبر الآحاد ما انحط عن حدِّ التواتر[٢]، ويدخل في ذلك: الغريب، والعزيز، والمشهور.

والحديث إذا اتصل سنده وعُدِّلت رواته ولم يكن فيه عِلَّة ولم يكن شاذًّا فإنه صحيح يُفيد العلم، ويُعمل به في العقائد والأحكام.

وأما القول بأن خبر الآحاد لا يُعمل به في العقائد، فهذا قول أهل البدع من **المعتزلة وغيرهم**، **والصواب**: أن خبر الآحاد ـ **على الصحيح** ـ يُفيد العلم، ويُعمل به في العقائد والأعمال، خلافًا **لبعض الفقهاء** الذين يقولون يُفيد الظنَّ ولا يُوجب العلم، وهذا ليس بصحيح، بل **الصحيح** أنه يُفيد العلم ويوجبه[٣].

ومن المتواتر: حديث الحوض.

ومنه: حديث الشفاعة[٤].

ومنه: حديث المسح على الخفين[٥].

---

(١) انظر: «التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث»، للنووي (ص٨٥)، و«المنهل الروي»، للكناني (ص٣١).

(٢) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (١/ ٢٧٧).

(٣) **قال أبو المظفر السمعاني**: «وإنما هذا القول الذي يُذْكَر «أن خبر الواحد لا يُفيد العلم بحال، ولا بُدَّ من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به» شيء اخترعته **القدرية والمعتزلة**، وكان قصدهم منه ردَّ الأخبار، وتلقفه منهم **بعض الفقهاء** الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول». «الانتصار لأصحاب الحديث» (ص ٣٥)

(٤) وقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» أحاديث كثيرة في ثبوت الشفاعة.
والإيمان بثبوت الشفاعة لرسول الله ﷺ ـ بناء على ما صح فيها من الأحاديث ـ هو **إجماع الأمة**، وهو **مذهب السلف الصالح** ﷺم جميعًا، يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** ﷺ: «**أجمع المسلمون** على أن النبي ﷺ يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأل الناس ذلك وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة». «مجموع الفتاوى» (١/ ٣١٣).

(٥) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** ﷺ: «وقد تواترت السنة عن النبي بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، **والرافضة** تخالف هذه السنة المتواترة كما يخالف **الخوارج** نحو ذلك مما يتوهمون أنه مخالف لظاهر القرآن، بل تواتر غسل الرجلين والمسح على الخفين عن النبي أعظم من تواتر قطع اليد في ربع دينار، أو ثلاثة دراهم، أو عشرة دراهم، أو نحو ذلك». «منهاج السنة النبوية» (٤/ ١٧٤).

ومنه: حديث: «**من بنى لله بيتًا واحتسب**»[(١)].

ومنه: حديث: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[(٢)].

○ قوله: «**وَأَنَّهُ كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ**» أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث ثوبان ﷺ[(٣)]

و«عَمَّان» هذه بفتح المهملة وتشديد الميم للأكثر، وحُكِيَ تخفيفها، وتُنسب إلى البلقاء لقربها منها، و«البلقاء» ـ بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها قاف وبالمد ـ بلدة معروفة من فلسطين[(٤)]

○ قوله: «**وَرُوِيَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ**» أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ[(٥)].

○ قوله: «**وَبِأَلْفَاظٍ أُخَرَ**» كما في «الصحيحين»[(٦)] عَنْ أَنَسِ بْنِ

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١/ ٢٠٣).
والحديث أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب «من بنى مسجدًا»، رقم (٤٥٠)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان ﷺ.

(٢) انظر: «الباعث الحثيث» لابن كثير (١/ ٢٤٠).
والحديث أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب «إثم من كذب على النبي ﷺ»، رقم (١١٠)، ومسلم، في المقدمة، رقم (٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب «ما جاء في صفة أواني الحوض»، رقم (٢٤٤٤)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب «ذكر الحوض»، رقم (٤٣٠٣)، وأحمد (٥/ ٢٧٥).
قال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه».
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». «المستدرك» (٤/ ٢٠٤).

(٤) «فتح الباري» (١١/ ٤٧١).

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب «ذكر الحوض»، رقم (٤٣٠١).
قال البوصيري: «هذا إسناد فيه **عطية**، وهو **عطية العوفي** وهو ضعيف». «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢٥٩).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب «في الحوض»، رقم (٦٥٨٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٣٠٣).

مَالِكٍ ﷺ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** ﷺ **قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ».**

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف، وليس كذلك، وإنما تحدَّث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطبًا لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام: **«ما بين أذرح وجرباء»**[(١)]، **ولأهل اليمن: «من صنعاء إلى عدن»**[(٢)]، وهكذا، وتارة أخرى يُقدِّر بالزمان، فيقول: **«مسيرة شهر»**[(٣)] والمعنى المقصود: أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات، فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها، والله أعلم»[(٤)].

○ قوله: **«مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ» رَوَاهُ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ»** كما عند أحمد في «المسند»[(٥)] **«وَعَبْدُاللهِ بْنُ عَمْرٍو»** وتقدَّم تخريجه، **«وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ»** كما عند ابن أبي عاصم في «السنة»[(٦)] **«وَأَبُو ذَرٍّ»** كما عند مسلم في «صحيحه»[(٧)] **«وَثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ** ﷺ**»** كما عند مسلم في «صحيحه»[(٨)] **«وَأَبُو أُمَامَةَ**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب «في الحوض»، رقم (٦٥٧٧)، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٢٩٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) تقدَّم تخريجه.
(٤) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص ٧٠٦).
(٥) «مسند أحمد» (٢/ ١٣٢).
وهو في «الصحيح» بغير هذا السياق.
قال المنذري: «رواه أحمد بإسناد حسن». «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢٢٧)
(٦) «السنة» رقم (٧١٧).
(٧) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٣٠٠).
(٨) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٣٠١).

الْبَاهِلِيُّ» كما عند أحمد في «المسند»[١] «**وَبُرَيْدَةُ الْأَسْلَمِيُّ**» كما عند البزار في «المسند»[٢].

وفي هذه الأحاديث: إثبات الحوض، ومع ذلك أنكره **الخوارج والمعتزلة**[٣]، **كما أنكروا الشفاعة**[٤] **قال الإمام ابن أبي العز الحنفي** رحمه الله: «فقاتل الله المنكِرين لوجود الحوض، وأخلق بهم أن يُحَالَ بينهم وبين وِرُودِهِ يوم العطش الأكبر»[٥] ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ.

وقال رحمه الله: «والذي يتلخَّص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر»[٦].

❁ ❁ ❁

---

(١) «مسند أحمد» (٥/ ٢٥٠).

قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد وبعض أسانيد الطبراني رجال الصحيح». «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦٢).

(٢) «مسند البزار» (١٠/ ٢٧٧) رقم (٤٣٨١)، وقال: «وهو حديث غريب».

قال الهيثمي: «وفيه: **عائذ بن بشير**، وهو ضعيف». «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦٦).

(٣) انظر: شرح «صحيح البخاري» لابن بطال (١٠/ ٤٦٦).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٤١).

(٥) شرح «العقيدة الطحاوية» (ص ٢٥٢).

(٦) شرح «العقيدة الطحاوية» (ص ٢٥١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ وَاجِبٌ وَفَرْضٌ لَازِمٌ؛ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو أَيُّوبَ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَبُو بَكْرَةَ، وَأَبُو رَافِعٍ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، وَعَبْدُاللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ، وَعَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأُخْتُهَا أَسْمَاءُ، وَغَيْرُهُمْ.

وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِمُسَاءَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ».

الشَّرح

○ قوله: «وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ وَاجِبٌ وَفَرْضٌ لَازِمٌ» فيجب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه واتساعه وتضييقه، وسؤال منكر ونكير، كل هذا ثبت بأدلة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

من أدلة الكتاب:

١- قول الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، فقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ أصل كبير في استدلال **أهل السنة** على عذاب البرزخ في القبور[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠].

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٨٢).

تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣].

٤-ومن الأدلة على نعيمه: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠] هذا من نعيمه من حين الموت إلى قيام الساعة.

ومن أدلة السنة:

١- «**رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ**» كما في «الصحيحين»(١).

٢- «**وَأَبُو أَيُّوبَ**» كما في «الصحيحين»(٢).

٣- «**وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ**» كما في «صحيح مسلم»(٣).

٤- «**وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ**» كما في «الصحيحين»(٤).

٥- «**وَأَبُو هُرَيْرَةَ**» كما في «الصحيحين»(٥).

٦- «**وَأَبُو بَكْرَةَ**» كما عند الترمذي(٦).

٧- «**وَأَبُو رَافِعٍ**» كما عند البزار في «المسند»(٧).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب «غزوة الخندق وهي الأحزاب»، رقم (٤١١١)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٢٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب «التعوذ من عذاب القبر»، رقم (١٣٧٥)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٦٩).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٦٧).

(٤) يأتي قريبًا.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب «التعوذ من عذاب القبر»، رقم (١٣٧٧)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٨٨).

(٦) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب «ما جاء في عقد التسبيح باليد»، رقم (٣٥٠٣). **قال الترمذي**: «هذا حديث حسن غريب».

(٧) «مسند البزار» (٩/ ٣٢٠) رقم (٣٨٧٠). **قال الهيثمي**: «رواه البزار والطبراني في «الكبير»، وفيه من لم أعرفه». «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٣).

٨- «وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ» كما عند الترمذي وابن ماجه وأحمد(١).

٩- «وَعَبْدُاللهِ بْنُ عَبَّاسٍ» كما في «الصحيحين»(٢).

١٠- «وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ» كما عند أحمد في «المسند»(٣).

١١- «وَعَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ» كما في «الصحيحين»(٤)

١٢- «وَأُخْتُهَا أَسْمَاءُ» كما في «الصحيحين»(٥).

١٣- «وَغَيْرُهِمْ» كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كما في «صحيح البخاري»(٦).

* * *

○ قوله: «وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ بِمُسَاءَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ» في «الصحيحين»(٧) عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: «مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب «ما جاء في ذكر الموت»، رقم (٢٣٠٨)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب «ذكر القبر والبلى»، رقم (٤٢٦٧)، وأحمد (١/ ٦٣).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». «المستدرك» (٤/ ٣٦٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب «ما جاء في غسل البول»، رقم (٢١٨)، ومسلم، كتاب الطهارة، رقم (٢٩٢).

(٣) «مسند أحمد» (٣/ ٢٩٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب «التعوذ من عذاب القبر في الكسوف»، رقم (١٠٥٠)، ومسلم، كتاب الكسوف، رقم (٩٠٣).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب «من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس»، رقم (٨٦)، ومسلم، كتاب الكسوف، رقم (٩٠٥).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب «ما يتعوذ من الجبن»، رقم (٢٨٢٢).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب «ما جاء في عذاب القبر»، رقم (١٣٧٤)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٧٠).

الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ؟»، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: «أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، فَيُقَالُ لَهُ: «انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ»، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: **«وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: «مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟»، فَيَقُول: «لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ»، فَيُقَالُ: «لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ»، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ».**

وجاءت تسمية الملكين بـ«منكر» و«نكير»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ** ـ أَوْ قَالَ: **أَحَدُكُمْ ـ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا «الْمُنْكَرُ»** وَالْآخَرُ «النَّكِيرُ»، فَيَقُولَانِ: «مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟»،....»[١].

- عذاب القبر ونعيمه من الأمور الغيبية التي وردت في إثباتها النصوص الشرعية، وقد أثبت **أهل السنة والجماعة** عذاب القبر ونعيمه[٢]، خلافًا **للمعتزلة ونحوهم**[٣] الذين ينكرون عذاب القبر ونعيمه ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ ولا عبرة بخلافهم.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي ﷺ: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذا

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب «ما جاء في عذاب القبر»، رقم (١٠٧١).
قال الترمذي: «حديث أبي هريرة حديث حسن غريب».
(٢) انظر: شرح «العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٤٥٠).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٨٤).

الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول»[١].

(١) شرح «العقيدة الطحاوية» (٤٥٠، ٤٥١)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢/٣١٢)، (١١/٢٤٤)، و«الجواب الصحيح» (٤/٣٠٩)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٢/٣٦١)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٥/٢٩٧)، و«الصواعق المرسلة (٣/٨٢٩).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، خُلِقَتَا لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ، وَقَدْ صَحَّ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ عِدَّةٌ».

الشَّرْح

هذا هو معتقد **أهل السنة والجماعة**.

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أن القرآن شاهد أن الله ﷻ خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه السلام، وخلق للجنة أهلًا وللنار أهلًا قبل أن يخرجهم إلى الدنيا لا يختلف في هذا من شمله الإسلام وذاق حلاوة طعم الإيمان؛ دل على هذا القرآن والسنة، فنعوذ بالله ممن يُكذِّب بهذا»(١).

أما الكتاب:

قال الله تعالى **عن الجنة**: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال الله تعالى **عن النار**: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ [النبأ: ٢١].

(١) «الشريعة» (٣/١٣٤٣).

ومن أوضح الأدلة وأصرحها على خلق الجنة: قصة آدم عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ [الأعراف: ٢٧].

أما السنة فكما قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«وَقَدْ صَحَّ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ عِدَّةٌ».**

منها: ما في «الصحيحين»[(١)] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: «هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»».**

ومنها: ما في «الصحيحين»[(٢)] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ ﷺ: **«إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب «الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي»، رقم (١٣٧٩)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٦٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب «صلاة الكسوف جماعة»، رقم (١٠٥٢)، ومسلم، كتاب الكسوف، رقم (٩٠٧).

لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللهَ»، قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ؟»، قَالَ ﷺ: «**إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»،...» الحديث.

ومنها: حديث المسألة في القبر، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﵁ وفيه: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: «أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ**»»، قَالَ: «**فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا**»، قَالَ: «**وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ**»، قَالَ: «**وَإِنَّ الْكَافِرَ**» فَذَكَرَ مَوْتَهُ، قَالَ: «....، **فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: «أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ**»»، قَالَ: «**فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا**»....» الحديث[1].

وقد «**اتفق أهل السنة** على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، حتى خرج **المعتزلة والقدرية** فأنكروا ذلك، وأصلهم الفاسد أنهم **قالوا**: «خلقُ الجنة قبل الجزاء عبث؛ لأنها تصير مُعطَّلة مددًا متطاولة» فردُّوا النصوص وحرَّفُوها عن مواضعها.

○ وقوله: «**لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، خُلِقَتَا لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ**» هذا قول **جمهور الأئمة من السلف والخلف**، وقال ببقاء الجنة وبفناء النار بعض السلف، كابن القيم ﵀، والصواب: أن النار لا تفنى أيضًا.

وقال بفناء الجنة والنار: **الجهم بن صفوان إمام المُعطِّلة**، وليس له سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من أئمة

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في المسألة في القبر وعذاب القبر»، رقم (٤٧٥٣)، والنسائي، كتاب الجنائز، باب «الوقوف للجنائز»، (٤/ ٧٨)، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب «ما جاء في الجلوس في المقابر»، رقم (١٥٤٩)، وأحمد (٤/ ٢٨٧).

المسلمين ولا من أهل السنة، وأنكره عليه **عامة أهل السنة** وكَفَّرُوه به، وصاحوا به وباتباعه من أقطار الأرض[١].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٤٤٣)، (٥/ ١٨١)، و«درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٣٠٥)، (٤/ ٢٩٣)، (٨/ ٣٤٥)، و«شرح حديث النزول» (ص٧٣)، و«مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٢٥)،(٨/ ٢٢٧)،(٨/ ٣٢٠)، و«منهاج السنة النبوية» (١/ ٣١٠-).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«**وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ؛ قَالَ اللهُ ﷻ**: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]».

الشَّرْح

○ قوله: «**وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ**» فيجب الإيمان بالميزان، وأنه ميزان حسي، له كِفَّتان عظيمتان، ولسانٌ، والأدلة على هذا كثيرة.

○ قوله: «**قَالَ اللهُ ﷻ**: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]»، وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨-٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٦-٩]..

وفي «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»، وَقَالَ: «**اقْرَءُوا** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥]»، وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتْ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟!**»، قَالُوا: «يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ»، فَقَالَ: «**وَالَّذِي**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب «﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٥] الآية»، رقم (٤٧٢٩)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار»، رقم (٢٧٨٥).

نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»(١).

والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟»، فَيَقُولُ: «لَا يَا رَبِّ»، فَيَقُولُ: «أَفَلَكَ عُذْرٌ؟»، فَيَقُولُ: «لَا يَا رَبِّ»، فَيَقُولُ: «بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ»، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، فَيَقُولُ: «احْضُرْ وَزْنَكَ»، فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟!»، فَقَالَ: «إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ؛ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»**(٢).

قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية(٣):

وله لسان كفتاه تقيمه ... والكفتان إليه ناظرتان

قال ابن أبي العز: «فلا يُلْتَفَتُ إلى ملحد معاند يقول «الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام»؛ فإن الله يقلب الأعراض أجسامًا... ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب «ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله»، رقم (٢٦٣٩)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب «ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة»، رقم (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ٧١٠).

(٣) «الكافية الشافية» (ص٣٥١).

«لا يحتاج إلى الميزان إلَّا البقَّال والفوَّال»، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنًا، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلَّا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرُّسُل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه»[1].

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] **يحتمل**: أن يكون ثمَّ موازين متعددة توزن فيها الأعمال، **ويحتمل**: أن يكون المراد الموزونات فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله أعلم[2].

❊ ❊ ❊

(١) شرح «العقيدة الطحاوية» (ص ٤٧٤، ٤٧٥).

(٢) «تفسير القرطبي» (١١/ ٢٩٣).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى:** ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، **وَقَالَ** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، **وَقَالَ** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **عَنِ النَّبِيِّ** ﷺ **قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - وَفِي رِوَايَةٍ: «بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً» - وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»، وَلِمُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ: «فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»**».

الشَّرْح

○ قوله: «**وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ**» مُسمَّى الإيمان عند **أهل السنة والجماعة** قول وعمل ونية(١).

الإيمان عند **أهل السنة والجماعة** يشمل أربعة أشياء:

١- قول باللسان، وهو نطقه.

٢- تصديق بالقلب، وهو الإقرار.

٣- عمل بالقلب، وهو النية والإخلاص والصدق والمحبة.

٤- عمل بالجوارح، كالصلاة والصيام وغيرها(٢).

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٧٠-١٧١)، (٧/ ٢٠٩)، (٧/ ٣٣٢)، (٧/ ٥٠٥)، (٢٨/ ١٧٨)، و«الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٥٥)، و«حادي الأرواح» (١/ ٤٠٩).

(٢) انظر: «العقيدة الواسطية» (ص٢٣)، «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٧٧)، (٧/ ١٧١)، (٧/ ١٨٦)، (٧/ ٢٦٣)، (٧/ ٥٠٥)، (١٠/ ٢٦٨)، (١٢/ ٤٧٢)، و«الصلاة وحكم تاركها» لابن القيم (ص٥٦)، و«عدة الصابرين» (١/ ١٠٩)، و«مدارج السالكين» (١/ ١٢٠).

ومن قال من **السلف**: «الإيمان قول وعمل» أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن قال: «قول وعمل ونية» قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يُفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد «اتباع السنة» فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلَّا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل إنما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الردَّ على **المرجئة** الذين جعلوه قولًا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل[(١)].

○ قوله: «**يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ**» فمذهب **أهل السنة** المتَّبِعُون للسلف الصالح أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[(٢)].

واستدل **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ على ذلك فقال: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى**: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]» وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص[(٣)].

○ قوله: «**وَقَالَ** ﷻ: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، **وَقَالَ** ﷻ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]» فالإيمان يزيد وينقص.

○ قوله: «**وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه **عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - وَفِي رِوَايَةٍ: «بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً» - وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»، وَلِمُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ: «فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»**[(٤)]» وهذا يدل على أن الأعمال كلها داخلة في مُسمَّى الإيمان.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٧١).

(٢) «الاستقامة» لابن تيمية (٢/ ١٨٦).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٠٣).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٣٥)، وأبو داود، كتاب السنة، باب «في رد الإرجاء»، رقم (٤٦٧٦).

○ قوله: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: «بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً»ـ**» والبضع من ثلاثة إلى تسعة، وكلها داخلة في مُسمَّى الإيمان، «**وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**» والحياء من عمل القلب.

○ قوله: «**وَلِمُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ: «فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»**» فأعلاها كلمة التوحيد «لا إله إلَّا الله»، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما ـ بين الأدنى والأعلى ـ شُعب متفاوتة، **منها**: ما يقرب من شُعبة الشهادة كالصلاة والزكاة والصوم والحج، فالصلاة شُعبة، والصوم شُعبة، والزكاة شُعبة، والحج شُعبة، والأمر بالمعروف شُعبة، والنهي عن المنكر شُعبة، وبرُّ الوالدين شُعبة، وصلة الرحم شُعبة، والإحسان إلى الجار شُعبة، وهكذا.

مَثَّلَ للشُّعبة القلبية بالحياء، **وللشُّعبة القولية** وهي قوله «لا إله إلَّا الله»، **وللشُّعبة العملية** بإماطة الأذى عن الطريق.

وخالف في ذلك **المرجئة**، وأقربهم **مرجئة الفقهاء** وأول من قال به حماد بن أبي سليمان(١) ومن بعده تلميذه **أبو حنيفة وأصحابه، قال الإمام ابن عبد البر** رَحِمَهُ اللهُ: «**أجمع أهل الفقه والحديث** على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلَّا بنية، والإيمان **عندهم** يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان إلَّا ما ذُكِرَ عن **أبي حنيفة وأصحابه** فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تُسمَّى إيمانًا، **قالوا**: «إنما الإيمان التصديق والإقرار»»(٢).

وذهب **الماتريدية والأشاعرة** إلى أن الإيمان تصديق بالقلب فقط، وأما الإقرار باللسان فهو ركن زائد، وهو مروي عن أبي حنيفة.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣١١).

(٢) «التمهيد» (٩/ ٢٣٨)، انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ١١٩)، (٧/ ٢٩٧)، (٧/ ٥٠٧-٥٠٨)، (١٨/ ٢٧١).

وذهبت **الكرامية** إلى أن الإيمان هو النطق باللسان فقط، فمن نطق بالشهادتين فهو مؤمن وإذا كان مُكذِّبًا في الباطن فيكون منافقًا، ويلزم على قولهم أن يكون المؤمن كامل الإيمان ويُخلَّد في النار وهذا من تناقضهم، فإذا نطق باللسان يكون مؤمنًا كامل الإيمان وإن كان مُكذِّبًا بقلبه يُخلَّد في النار فيجمع بين متناقضين(١).

وأفسد منه: مذهب **الجهمية** الذين يقولون الإيمان معرفة الرَّبِّ بالقلب والكفر هو جهل الرَّبِّ بالقلب، فعلى مذهب **الجهمية** يكون إبليس مؤمنًا؛ لأنه يعرف ربَّهُ بقلبه، قال إبليس: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحجر: ٣٦] فهو يعرف ربَّهُ بقلبه، وكذا فرعون مؤمنًا؛ لأنه يعرف ربَّهُ بقلبه، أخبر الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] واليهود مؤمنون على **مذهبهم**؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] فهم يعرفون ربَّهُم بقلوبهم، وأبو طالب عم النبي ﷺ الذي مات على الشِّرك على **مذهبهم** مؤمن؛ فقد استفاض عنه أنه كان يعلم بنبوة محمد ﷺ وأنشد عنه:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا(٢)

والمرجئة أصناف(٣):

الأول: مذهب **الجهم** ـ وهو أفسدها ـ، ومذهبهم: أن الإيمان معرفة الرَّبِّ بالقلب، والكفر جهل الرَّبِّ بالقلب، ويلزم على هذا المذهب أن يكون إبليس وفرعون مؤمنين، واليهود مؤمنين، وأبو طالب مؤمنًا.

---

(١) انظر: «النبوات» لابن تيمية (ص ١٤٤)، و«منهاج السنة النبوية» (٣/ ٤٦٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٦١).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٩٥).

الثاني ـ وهو الذي يليه في الفساد ـ: مذهب **الكرامية**، ومذهبهم: أن الإيمان النطق باللسان فقط وإذا كان مُكذِّبًا بالقلب خُلِّدَ في النار، فإذا نطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان، وإذا كان مُكذِّبًا فهو مُخلَّد في النار.

الثالث: مذهب **الماتريدية والأشاعرة**، ومذهبهم: أن الإيمان تصديق بالقلب فقط، وقد رُوِيَ عن الإمام **أبي حنيفة** قوله أن الإيمان تصديق القلب فقط.

الرابع: مذهب **مرجئة الفقهاء**، ومذهبهم: أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان.

أما مذهب **أهل السنة والجماعة** فكما تقدم من أن الإيمان يشمل أربعة أشياء: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح.

❁ ❁ ❁

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالِاسْتِثْنَاءُ فِي الْإِيمَانِ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ، فَإِذَا سُئِلَ الرَّجُلُ «أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟»، قَالَ: «إِنْ شَاءَ اللهُ».

رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ، وَالْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، وَأَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، وَمَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ، وَمَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَمُغِيرَةَ بْنِ مِقْسَمٍ الضَّبِّيِّ، وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَغَيْرِهِمْ.

وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ عَلَى يَقِينٍ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]».

الشَّرح

○ قوله: «وَالِاسْتِثْنَاءُ فِي الْإِيمَانِ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ، فَإِذَا سُئِلَ الرَّجُلُ «أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟»، قَالَ: «إِنْ شَاءَ اللهُ» يعني: **أهل السنة والجماعة** يرون أنه لا بأس بالاستثناء في الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والناس لهم في الاستثناء ثلاثة أقوال:

منهم: من يُحرِّمه **كطائفة من الحنفية**، ويقولون: «من يستثنى فهو شكاك».

منهم: من يُوجِبه **كطائفة من أهل الحديث**.

منهم: من يُجوِّزه أو يستحبه، وهذا **أعدل الأقوال**، فإن الاستثناء له وجه صحيح؛ فمن قال: «أنا مؤمن إن شاء الله» وهو يعتقد أن الإيمان فعل جميع الواجبات ويخاف أن لا يكون قائمًا بها فقد أحسن، ولهذا كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم، **قال ابن أبي مليكة**:

«أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه»[١].

ومن اعتقد أن المؤمن المطلق هو الذي يستحق الجنة فاستثنى خوفًا من سوء الخاتمة فقد أصاب، وهذا معنى ما يُروى عن ابن مسعود أنه قيل له عن رجل «أنت مؤمن؟»، فقال: «نعم»، فقيل له: «أنت من أهل الجنة؟»، فقال: «أرجو»، فقال: «هلا وكل الأولى كما وكل الثانية؟!»[٢]، ومن استثنى خوفًا من تزكية نفسه أو مدحها أو تعليق الأمور بمشيئة الله فقد أحسن، ومن جزم بما يعلمه أيضًا في نفسه من التصديق فهو مصيب»[٣]، فلا يجزم الإنسان بأنه أدّى ما عليه؛ لأن الإنسان محل النقص والتقصير، يتطرق إليه النقص والخلل في أداء الواجبات أو في فعل شيء من المحرمات، ولا ينبغي له أنه يزكي نفسه؛ ولهذا يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وأما الإطلاق بقول: أنا مؤمن، ولا يستثنى فيقول: إن شاء الله، فمحمول على أصل الإيمان، والدخول فيه، لا على الإيمان الكامل، فمن أراد بقول: أنا مؤمن، التسمي بالإيمان والدخول في الإيمان فلا يلزمه الاستثناء، ومن أراد: أنا مؤمن، استكمال الإيمان وتزكية نفسه، فهذا لا بد أن يستثنى.

○ قوله: «**رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ**» كما عند أبي عبيد في «الإيمان» كما تقدم، «**وَعَلْقَمَةَ بْنِ قَيْس**[٤]**، وَالْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، وَأَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، وَمَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ، وَمَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخْعِيِّ**[٥]**، وَمُغِيرَةَ بْنِ مِقْسَم الضَّبِّيِّ، وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ**[٦]**، وَغَيْرِهِمْ**» حكى عن بعضهم أبو عبيد في كتاب «الإيمان» باب «الاستثناء في

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا في كتاب الإيمان، باب «خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر». ووصله الخلال في «السنة» رقم (١٠٨١).

(٢) أخرجه أبوعبيد في كتاب الإيمان، رقم (٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٨١، ٦٨٢).

(٤) «الإيمان» رقم (١١، ١٥).

(٥) «السنة» لعبدالله بن الإمام أحمد، رقم (٧٢٧).

(٦) «الإيمان» رقم (٩).

الإيمان»، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» في «سياق ما ذكر من كتاب الله وما روي عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين من بعدهم والعلماء الخالفين لهم في وجوب الاستثناء في الإيمان»[(١)].

○ قوله: «**وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ عَلَى يَقِينٍ**» يعني: أن الاستثناء في الإيمان لا يعني الشك في أصل الإيمان؛ فإذا أراد المستثني الشكَّ في أصل الإيمان فممنوع، أما إذا أراد العمل فلا بأس.

○ قوله: «**قَالَ اللهُ** ﷻ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]» وهذا استثناء بغير شكٍّ.

قال الإمام الآجري رحمه الله: «**من صفة أهل الحقِّ ممن ذكرنا من أهل العلم**: الاستثناء في الإيمان لا على جهة الشك ـ نعوذ بالله من الشكِّ في الإيمان ـ، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحقُّ حقيقة الإيمان أم لا؟، وذلك أن أهل العلم من أهل الحقِّ إذا سُئِلُوا «أمؤمن أنت؟»، قال: «آمنت بالله، وملائكته، وكُتُبه، ورُسُله، واليوم الآخر، والجنة والنار، وأشباه هذا»، والناطق بهذا والمُصدِّق به بقلبه مؤمن، وإنما الاستثناء في الإيمان لا يدرى أهو ممن يستوجب ما نعت الله به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا؟

هذا وطريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان عندهم أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول والتصديق في القلب، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان»[(٢)].

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٥/١٠٣٧-١٠٥٧).
(٢) «الشريعة» (٢/٦٥٦، ٦٥٧).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِسْلَامُ وَزِيَادَةٌ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجرات: ١٤].

وَرَوَى عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»، فَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانُ فَحَقِيقَتُهُ مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ فِيمَا قَدَّمْنَاهُ.

وَرَوَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللهِ رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ وَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ مِنْهُمْ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُمْتُ فَقُلْتُ: «مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟!»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : «أَوْ مُسْلِمًا»، ذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ ثَلَاثًا وَأَجَابَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ».

قَالَ الزُّهْرِيُّ: «فَنَرَى أَنَّ الْإِسْلَامَ الْكَلِمَةُ، وَالْإِيمَانَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ».

قُلْنَا: «فَعَلَى هَذَا قَدْ يَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا إِلَى الْكُفْرِ بِاللهِ ﷻ»».

الشَّرْح

قوله: «وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِسْلَامُ وَزِيَادَةٌ» يعني: الإيمان أكمل من الإسلام، ولهذا فإن الإيمان يُراد به أداء الواجبات وترك المُحَرَّمات.

والإيمان لا يُطلق إلَّا على المطيع، أما العاصي فإنه يُطلق عليه اسم «الإسلام» ولا يُطلق عليه اسم «الإيمان»؛ فالإيمان أعلى من الإسلام.

والدين ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وأعلى مراتبه: الإحسان، ويليه الإيمان، ثم الإسلام، فكل محسن مؤمن وليس كل مؤمن محسنًا، وكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا.

○ قوله: «**قَالَ اللهُ ﷻ**: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾» يقول تعالى منكرًا على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادَّعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب **أهل السنة والجماعة**، ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان[١] فترقى من الأعم إلى الأخصِّ ثم للأخصِّ منه[٢]، فدلت الآية على أن الإسلام هو الإيمان وزيادة.

○ قوله: «**وَرَوَى عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ ﵄ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ**» والحديث في «الصحيحين»[٣].

○ قوله: «**فَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ**» يعني: الأعمال، النطق بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

○ قوله: «**وَالْإِيمَانُ فَحَقِيقَتُهُ مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَة فِيمَا قَدَّمْنَاهُ**» يعني: حديث أبي هريرة ﵁ المتقدِّم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ**

---

(١) تقدَّم تخريجه.
(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/١١٩، ٢٢٠).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «بني الإسلام على خمس»، رقم (٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٦).

وَسَبْعُونَ ـ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ـ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(١)، هذه حقيقة الإيمان.

إذًا، الإيمان شُعب كثيرة، بضع وسبعون شعبة، وقد تتبع **الإمام البيهقي** رَحِمَهُ اللهُ هذه الشُّعب وأوصلها إلى تسع وسبعون، وألَّف كتابًا سَمَّاه «شُعب الإيمان».

○ قوله: «**وَرَوَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ** رضي الله عنه **قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللهِ** ﷺ **رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ وَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ **مِنْهُمْ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُمْتُ فَقُلْتُ: «مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟!»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: **«أَوْ مُسْلِمًا»، ذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ ثَلَاثًا وَأَجَابَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ»** والحديث في «الصحيحين»(٢).

يعني: أن النبي ﷺ يعطيه من الدنيا يتألَّفه بذلك ليتقوى إيمانه ومخافة أن يرتدَّ عن دينه فيكبُّه الله في النار، فإنما يُعطِيه النبي ﷺ ليتألَّفَه على الإسلام لا من باب الهوى ولا محاباة.

والشاهد: قول النبي ﷺ «**أَوْ مُسْلِمًا**» فدل على أن الإسلام غير الإيمان.

○ قوله: «**قَالَ الزُّهْرِيُّ: «فَنَرَى أَنَّ الْإِسْلَامَ الْكَلِمَةُ، وَالْإِيمَانَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ»** أخرجه أبو داود(٣).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وقد استشكل هذا بالنظر إلى حديث

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة»، رقم (٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٥٠).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه»، رقم (٤٦٨٤).

سؤال جبريل[١]؛ فإن ظاهره يُخالفه.

ويمكن أن يكون مراد **الزهري** أن المرء يحكم بإسلامه ويُسمَّى مسلمًا إذا تلفَّظ بالكلمة أي: كلمة الشهادة، وأنه لا يُسمَّى مؤمنًا إلَّا بالعمل، والعمل يشمل عمل القلب والجوارح، وعمل الجوارح يدل على صدقه، وأما الإسلام المذكور في حديث جبريل فهو الشرعي الكامل المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]»[٢].

○ قوله: «**قُلْنَا: «فَعَلَى هَذَا قَدْ يَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا إِلَى الْكُفْرِ بِاللهِ ﷻ**»» يعني: إذا كان الرجل مطيعًا يُؤدِّي الواجبات ويترك المُحَرَّمات فهذا مؤمن بإطلاق، وإذا عصى خرج من الإيمان إلى الإسلام فيُسمَّى مسلمًا ولا يُسمَّى مؤمنًا، لكن يُسمَّى مؤمنًا بقيد لا بإطلاق فيُقال «مؤمن ضعيف الإيمان»، أو «مؤمن ناقص الإيمان»، أو «مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته» فلا يُعطى الاسم المطلق، ولا يُسلب مطلق الاسم[٣].

واختلف **العلماء** في الإسلام والإيمان، هل هما شيء واحد أم يختلفان؟، على أقوال أربعة:

القول الأول: أن **الإسلام** هو الكلمة **والإيمان** هو العمل، وهذا ما رُوِيَ عن **الزهري**، **قَالَ**: «نَرَى أَنَّ الْإِسْلَامَ الْكَلِمَةُ، وَالْإِيمَانَ الْعَمَلُ»[٤]، أي: **الإسلام** هو النطق بالشهادتين، **والإيمان** هو العمل.

القول الثاني: أن **الإسلام** هو الأعمال الظاهرة، **والإيمان** هو

(١) تقدَّم تخريجه.
(٢) «فتح الباري» (١/ ٨١، ٨٢).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٢).
(٤) تقدَّم تخريجه.

الأعمال الباطنة كما في حديث جبريل[١]، ففسَّر **الإسلام** بالأعمال الظاهرة، وهي الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحجِّ، وفسَّر **الإيمان** بالأعمال الباطنة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكُتُبِه ورُسُلِهِ والقدر خيره وشرِّهِ.

القول الثالث: أن **الإسلام والإيمان** مترادفان عند الإطلاق والاقتران لا فرق بينهما، وهذا قول طائفة من أهل السنة، وهو اختيار **البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]، **وهو قول الخوارج والمعتزلة**[٣].

القول الرابع: أن **الإسلام والإيمان** تختلف دلالتهما في الإفراد والاقتران.

إذا أُفرِدَا دخل فيهما الأعمال الظاهرة والباطنة، ويدخل أحدهما في الآخر كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] فيشمل **الإسلام** الأعمال الظاهرة والباطنة، وكقوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧] فيشمل **الإيمان** الأعمال الظاهرة والباطنة.

وإذا قُرِنَ **الإسلام بالإيمان** اختلف معناه، فيُفسَّر **الإسلام** بالأعمال الظاهرة **والإيمان** بالأعمال الباطنة، مثل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وكما في حديث جبريل ففسَّر **الإسلام** بالأعمال الظاهرة **والإيمان** بالأعمال الباطنة، وهو قول **المحققِّين من أهل العلم**، وهو اختيار **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]، **وهو الصواب** في هذه المسألة أن **الإسلام والإيمان** تختلف دلالتهما

---

(١) تقدَّم تخريجه.
(٢) كما نقل عنه **ابن حجر** ذلك في «فتح الباري» (١/ ٥٥).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤١٤).
(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٤).

بالاقتران والإفراد، فإذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

إذا افترقا - جاء **الإسلام** وحده وجاء **الإيمان** وحده - اجتمعا فيدخل فيهما الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة، وإذا اجتمعا افترقا فاختلف المعنى، فصار **الإسلام** الأعمال الظاهرة، **والإيمان** الأعمال الباطنة.

❀ ❀ ❀

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا مَحَالَةَ كَمَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَحَّ عَنْهُ».

الشَّرْح

من عقيدة أهل السنة والجماعة: الإيمان بأن الدَّجَّال خارج في هذه الأمة لا محالة كما أخبر به النبي ﷺ وصحَّ به الخبرُ عنه، **منها**:

١- ما رواه مسلم في «صحيحه»[(١)] عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»**، والمراد: أكبر فتنة وأعظم شوكة.

٢- ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[(٢)] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: **«إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: «إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»»**.

٣- ما رواه مسلم في «صحيحه»[(٣)] عن النَّوَّاسِ بن سَمْعَانَ رضي الله عنه، وهو حديث طويل، ذكر فيه ﷺ الدَّجَّال وصفته وما معه.

وسُمِّي الدَّجَّال لكثرة دجله وكذبه، فهي صيغة مبالغة، وهو الدَّجَّال الأكبر، والسحرة كلهم دجاجلة صغار، لكن الدَّجَّال الأكبر هو

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٤٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب «ذكر الدجال»، رقم (٧١٢٧)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٣١).

(٣) يأتي قريبًا.

الذي يخرج في آخر الزمان، وهو آخرهم وأكبرهم.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه الأحاديث التي أدخلها مسلم في قصة الدَّجَّال حجة أهل الحقِّ في صحة وجوده، وأنه شخص معين ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من قدرته؛ ليتميز الخبيث من الطيب من إحياء الميت الذى يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا، والخصب الذى معه، وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تُمطر والأرض أن تنبت فيكون ذلك كله بقدر الله ومشيئته، ثم يُعْجِزه الله بعد ذلك كما قال: «**ولن يُسَلَّط على غيره**»[1] فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ثانية ولا على غيره، ويبطل أمره بعد، ويقتله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويُثبِّت الله الذين آمنوا.

هذا **مذهب أهل السنة وجماعة أهل الفقه والحديث ونظارهم**، خلافًا لمن أنكر أمره وأبطله من **الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة**، وخلافًا **للجبائي** من المعتزلة ومن وافقه على إثباته من **الجهمية وغيرهم**، ولكن زعموا أن ما عنده مخارق وحيل لا حقائق، ولدعواهم أن أمره لو كان صحيحًا كان قدحًا في النبوة.

وقد وهم **جميعُهُمْ**؛ فإنه لم يأتِ بدعوى النبوة فيكون ما جاء به كالتصديق له، ولأنه لو صح منه لم يفرق بين النبي والمتنبئ فيطعن ذلك على النبوة وإنما جاء بدعوى الإلهية، وهو في نفس دعواه لها مُكذِّب لدعواه بصورة حاله، ونقص خلقه، وظهور سمات الحدث به، وشهادة كذبه وكفره المكتتبة بين عينيه، وعجزه عن تجسين صورته، وإزالة العور والشين عن نفسه، فلم يَرْتَبْ مؤمن في أمره»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٤).

قال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح». «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٣).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٨/ ٤٧٤، ٤٧٥).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَأَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، فَيَأْتِيهِ وَقَدْ حُصِرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَقَبَةِ أَفِيقٍ فَيَهْرُبُ مِنْهُ فَيَقْتُلُهُ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ الشَّرْقِيِّ.

و«لُدٌّ» مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ بِالْقُرْبِ مِنَ الرَّمْلَةِ عَلَى نَحْوِ مِيلَيْنِ مِنْهَا».

الشَّرْح

○ قوله: «وَأَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ» ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ثابت في القرآن والسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩].

وفي «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ».

«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا» يعني: عادلًا، ينزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ فيكون فردًا من أفراد الأمة المحمدية، «فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ» الذي يعبده النصارى مبالغةً في إبطال ما هم عليه، «وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ» الذي يأكلونه، «وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ» أي: لا يقبل جزية، فاليهود والنصارى يُخيَّرون بين الإسلام أو الجزية أو القتال فإذا نزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فلا يبقى إلا أمران إما الإسلام أو

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب «كسر الصليب وقتل الخنزير»، رقم (٢٤٧٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٥٥).

السيف، «**وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**».

○ قوله: «**وَأَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ** عليه السلام **يَنْزِلُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ فَيَأْتِيهِ وَقَدْ حُصِرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَقَبَةِ أَفِيقَ**[(١)] **فَيَهْرُبُ مِنْهُ فَيَقْتُلُهُ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ الشَّرْقِيِّ**، و«**لُدٌّ**» **مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ بِالْقُرْبِ مِنَ الرَّمْلَةِ عَلَى نَحْوِ مِيلَيْنِ مِنْهَا**» كما في «صحيح مسلم»[(٢)] عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، ثم قال: «**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ**».

المنارة فبفتح الميم، وهذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق.

وباب لُدّ هو بضم اللام وتشديد الدال مصروف، وهو بلدة قريبة من بيت المقدس[(٣)].

وفي «صحيح مسلم»[(٤)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ**[(٥)] **فَيَخْرُجُ**

---

(١) أفيق» - بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة وقاف - قرية من حوران في طريق الغور في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق، والعامة تقول «فيق»، تنزل من هذه العقبة إلى الغور وهو الأردن، وهي عقبة طويلة نحو ميلين. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٢٣٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٣٧).

(٣) شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٨/ ٦٧، ٦٨) باختصار يسير.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٨٩٧).

(٥) قال النووي: «**الأعماق** بفتح الهمزة وبالعين المهملة، **ودابق** بكسر الباء الموحدة وفتحها، والكسر هو الصحيح المشهور، ولم يذكر **الجمهور** غيره، وحكى **القاضي** في «المشارق» الفتح ولم يذكر غيره، وهو اسم موضع معروف، **قال الجوهري**: «الأغلب عليه التذكير والصرف؛ لأنه في الأصل اسم نهر»، **قال**: «وقد يؤنث ولا يصرف». =

إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتْ الرُّومُ: «خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ»، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: «لَا وَاللهِ، لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا» فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا[(١)]، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ «إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ» فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ».

قوله في الدَّجَّال «**ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ**» أي: انحل وسال وتلاشى وذهب[(٢)].

❁ ❁ ❁

= **والأعماق ودابق** موضعان بالشام بقرب حلب». شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٨/ ٢١).

(١) أي: لا يلهمهم التوبة. شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٨/ ٢١).

(٢) انظر: «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (١/ ٢٧١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ أُرْسِلَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَصَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ كَمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ رَادٌّ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ».

الشَّرح

○ قوله: **«وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ أُرْسِلَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَصَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ كَمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»** كما في «الصحيحين»(١) قَالَ: **«أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: «أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ»، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: «ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ»، قَالَ: «أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟»، قَالَ: «ثُمَّ الْمَوْتُ»، قَالَ: «فَالْآنَ»».**

نحن نؤمن بأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ صك عينه، ومن المعلوم أن الملك أعطاه الله القدرة على التشكل والتصور: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ١]، فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء إلى النبي ﷺ في صور متعددة، كان يأتي كثيرا في صورة دحية الكلبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وكان رجلًا جميلًا - وجاء في صورة رجل أعرابي يسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان، ورآه ﷺ في الصورة التي خلق عليها مرتين؛ كما في

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب «من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها»، رقم (١٣٣٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٣٧٢).

الحديث: «رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ»[١] مرة في الأرض، ومرة في السماء له أجنحة، فالملك أعطاه الله القدرة على التشكل.

والأقرب ـ والله أعلم ـ أنه ما عَلِمَ أنه مَلَكٌ، وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين، واختاره المازري والقاضي عياض، قالوا: وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقوء عينه[٢]؛ كما أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ جاءه الملائكة في صورة أضياف رجال وما عَلِمَ أنهم ملائكة، وجاء بهم إلى بيته يظن أنهم ضيوف، ومال إلى أهله سريعًا وجاء بعجل فشواه لهم وقدَّمه إليهم، فلمَّا لم يمدوا أيديهم إليه خاف منهم[٣]؛ لأن الضيف إذا ما أكل يُخشى أن يكون جاء لشرٍّ، فقالوا له: نحن ملائكة لا نأكل ولا نشرب، وقد جاءوا إلى لوط أيضًا في صورة أضياف وما عَلِمَ أنهم ملائكة[٤]، فلا يبعد أن يكون قد أتى إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يعلم أنه مَلَكٌ.

○ قوله: «**لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ رَادٌّ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**» **فهؤلاء المبتدعة والملاحدة** لا يؤمنون إلَّا بما تهواه عقولهم، فتجدهم يطعنون في الأحاديث الصحيحة ويؤولونها بتأويلات باطلة، والواجب على المسلم التصديق بما أخبر به النبي ﷺ وصح عنه؛ لأن ذلك من الإيمان بالغيب الذي أطلع الله عليه رسوله ﷺ، **ونحن** نؤمن بأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ صكَّ ملك الموت ففقأ عينه.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩]، رقم (٤٨٥٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٧٧).

(٢) شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٥/١٢٩، ١٣٠)، وانظر: «المُعْلِم بفوائد مسلم» للمازري (٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢).

(٣) كما في سورة «هود» [الآية/ ٦٩، ٧٠].

(٤) كما في سورة «هود» [الآية/ ٧٧].

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ الْمَوْتَ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُذْبَحُ كَمَا رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ» فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: «هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟»، فَيَقُولُونَ: «هَذَا الْمَوْتُ» وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: «يَا أَهْلَ النَّارِ» فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: «هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟»، فَيَقُولُونَ: «نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ» وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ : «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩]».

الشرح

○ قوله: «وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ الْمَوْتَ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُذْبَحُ» وقد أنكر **بعض أهل البدع** ذبح الموت يوم القيامة، **قالوا**: «كيف يذبح الموت فالموت أمر معنوي؟!».

نقول: هؤلاء هم **العقلانيون** الذين لا يؤمنون إلَّا بما تهواه عقولهم فيتأوَّلون النصوص ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ.

والواجب على المسلم أن يؤمن بما ثبت في كتاب الله وبما صح عن رسول الله ﷺ، والله ﷻ قادر على جعل المعاني أجسامًا، والله على كل شيء قدير.

○ قوله: «كَمَا رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ» فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: «هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟»، فَيَقُولُونَ: «هَذَا

الْمَوْتُ» وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: «يَا أَهْلَ النَّارِ» فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: «هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟»، فَيَقُولُونَ: «نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ» وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩]» كما في «الصحيحين»[(١)]، وهذا بعد خروج العصاة من النار.

وجاء في اللفظ الآخر: «فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»[(٢)].

وقال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ بعد ما أخرج الحديث من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(٣)]: «والمذهب في هذا **عند أهل العلم من الأئمة** مثل: سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: تُروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يُقال: «كيف؟»، وهذا الذي اختاره **أهل الحديث** أن تُروى هذه الأشياء كما جاءت، ويُؤْمَنُ بها، ولا تُفسَّر ولا تُتَوهَّم، ولا يُقال: «كيف؟»، وهذا أمر **أهل العلم** الذي اختاروه وذهبوا إليه»، وليس المعنى قولهم: «لا تُفسَّر» أنه لا يفهم لها معنى، بل يقصدون عدم تفسيرها بخلاف ظاهرها الذي تدل عليه.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب «قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]»، رقم (٤٧٣٠)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٤٩).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم (٦٥٤٨) ومسلم: كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، رقم (٢٨٥٠).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب «ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار»، رقم (٢٥٥٧).

«فصل

وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مُحَمَّدًا الْمُصْطَفَى خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَأَفْضَلُهُمْ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللهِ ﷺ، وَأَعْلَاهُمْ دَرَجَةً، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَى اللهِ وَسِيلَةً، بَعَثَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَخَصَّهُ بِالشَّفَاعَةِ فِي الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً».

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَة رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي دَعْوَةٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ بِطُولِهِ.

وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: «مَنْ أَنْتَ؟»، فَأَقُولُ: «مُحَمَّدٌ»، فَيَقُولُ: «بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ».

الشَّرح

عقد **المؤلف** رحمه الله هذا الفصل لبيان فضائل نبينا محمد ﷺ وخصائصه التي اختصَّه الله بها وفضلَّه ورفعه بها على العالمين.

○ قوله: «**وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مُحَمَّدًا الْمُصْطَفَى خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَأَفْضَلُهُمْ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللهِ** ﷺ» فنعتقد **نحن معاشر المؤمنين** أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي العربي المكي ثم المدني رسول الله ﷺ وخاتم النبيين وخير خلق الله أجمعين وأفضلهم وأكرمهم على الله ﷺ.

○ قوله: «**وَأَعْلَاهُمْ دَرَجَةً**» لأن درجته عليه الصلاة والسلام الوسيلة.

○ قوله: «**وَأَقْرَبُهُمْ إِلَى اللهِ وَسِيلَةً**» وهي درجة في الجنة لا تنبغي أن تكون إلَّا لنبينا محمد ﷺ، في «صحيح البخاري»[1] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ «اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ**» حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

○ قوله: «**بَعَثَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**» كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والعالمين تشمل الجنَّ والإنسَ والعرب والعجم، فهو عليه الصلاة والسلام مبعوث إلى الناس كافة.

أما المؤمنون فإن الله تعالى رحمهم ببعثته وأنقذهم به من النار، وأما الكفار فإنه قامت الحجة عليهم ببعثته عليه الصلاة والسلام، وأوجب الله جهادهم، فإذا قُتِلُوا كان هذا تخفيفًا من عذابهم؛ لأنه لو استمروا على الكفر لزاد عداؤهم فإذا قُتِلُوا خَفَّ عداؤهم فيكون هذا رحمة لهم.

○ قوله: «**وَخَصَّهُ بِالشَّفَاعَةِ فِي الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ**» وهي الشفاعة العظمى في أهل الموقف جميعًا، وهي للمؤمنين وللكفار عامَّة فيشفع لهم النبي ﷺ حتى يُرِيحهم الله من هذا الموقف ويحاسبهم، وهي المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب «الدعاء عند النداء»، رقم (٦١٤).

○ قوله: «رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**» كما في «الصحيحين»[١].

○ قوله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي**» لا يفيد الحصر، وفي «صحيح مسلم»[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**».

«**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي**»، **الأولى**: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**» يعني: إذا سمعه العدو من مسافة شهر خاف ورعب، يعني: هذا سلاح أعطاه الله لي.

والرعب هذا سلاح له عليه الصلاة والسلام ولأمته العاملين بشريعة الله تعالى فينصرهم الله على أعدائهم بالرعب من مسيرة شهر.

الثانية: «**وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ**» وهذه من خصائص نبينا محمد ﷺ وللأمة جميعًا.

يصلي المرء في أي مكان، في البرِّ، أو في البحر، أو في الجوِّ،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التيمم، باب «التيمم، وقول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، رقم (٣٣٥)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢٣).

فإذا أدركتك الصلاة في أي مكان فصلِّ، بخلاف الأمم السابقة لا يصلون إلَّا في معابد خاصَّة.

الثالثة: «**وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي**» والغنائم هي الأموال التي يأخذها المسلمون في الجهاد في سبيل الله من العدو، فإذا قاتل المؤمنون الكفار فيغنمون أموالهم ودوابهم وذراريهم ونسائهم، فتكون الذراري عبيدًا لهم، والرجال كذلك، والنساء جواري، فيسترقُّونهم أو يقتلونهم، والأموال تكون لهم، وأما الأمم السابقة فإن الغنائم لم تحل لهم بل تجمع وتأتي نار من السماء تأكلها، وهذه من علامة القبول أن تأتي نار من السماء تأكل ما جمع، أما نحن فأحلَّ الله تعالى لنا الغنائم.

الرابعة: «**وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**» وهي الشفاعة العظمى في أهل الموقف حتى يقضي الله تعالى بينهم، وهذه خاصَّة به عليه الصلاة والسلام.

الخامسة: «**وَكَانَ ﷺ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**» وهذه من خصائص النبي ﷺ، فقد كان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصَّة، أما نبينا عليه السلام فإنه بُعِثَ إلى الناس عامَّة، العربِ والعجمِ، الجنِّ والإنس، وقد نُسِخَت الشرائع بعد بعثته ﷺ فليس بعده نبي.

○ قوله: «**وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي دَعْوَةٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ بِطُولِهِ**» أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحهما»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب «قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ [نوح: ١] إلى آخر السورة»، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٤).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله «**فنهس**» بنون ومهملة، أي: أخذ منها بأطراف أسنانه، ووقع في رواية أبي ذر في المعجمة، وهو قريب من المهملة»[١].

○ قوله: «**ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**» فمن خصائصه ﷺ أنه سيِّد الناس، وتظهر سيادته عليه الصلاة والسلام يوم القيامة حينما يجمع الله الأولين والآخرين.

○ قوله: «**وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**آتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: «مَنْ أَنْتَ؟»، فَأَقُولُ: «مُحَمَّدٌ»، فَيَقُولُ: «بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ**» في «صحيحه»[٢].

وفي هذا الحديث: أن النبي ﷺ هو الذي يستفتح باب الجنة، وهو أول من يدخلها، **فمن خصائصه**: أنه ﷺ هو الذي يستفتح باب الجنة، وأول من يدخلها من الأمم أمته عليه الصلاة والسلام.

○ قوله: «**وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٣] وَأَبُو دَاوُدَ[٤]**».

فمن خصائصه عليه الصلاة والسلام: أنه سيِّد ولد آدم يوم القيامة.

○ وقوله: «**وَلَا فَخْرَ**» يعني: أنه ﷺ لا يقوله عن فخر، بل يخبرنا عن ذلك؛ لأنه لو لم يخبرنا لم نعلم، فهو ﷺ يبلِّغ الأمة ويخبرهم بفضله عليه الصلاة والسلام.

---

(١) فتح الباري» (٦/ ٣٧٢).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٧).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٢٧٨).
(٤) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في التخيير بين الأنبياء عليهم السلام»، رقم (٤٦٧٣).

ومنها: أنه ﷺ أول من يَنْشَقُّ عنه القبر، يعني: حين يبعث الله الناس من قبورهم وتعود الأرواح إلى أجسادها وتنشق القبور عنهم أول من ينشق عنه القبر نبينا ﷺ.

ومنها: أنه ﷺ أول شافع وأول مُشَفَّعٍ؛ لأنه ﷺ يشفع الشفاعة العظمى يوم القيامة، فهو ﷺ أول من يشفعُ، وهو ﷺ أول مُشَفَّعٍ من قبل الرَّبِّ ﷻ.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَنَعْتَقِدُ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلَهَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَاحِبُهُ الْأَخَصُّ، وَأَخُوهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَرَفِيقُهُ فِي الْهِجْرَةِ وَالْغَارِ، أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَزِيرُهُ فِي حَيَاتِهِ، وَخَلِيفَتُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، عَبْدُاللهِ بْنُ عُثْمَانَ عَتِيقُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ.

ثُمَّ بَعْدَهُ الْفَارُوقُ، أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الَّذِي أَعَزَّ اللهُ بِهِ وَأَظْهَرَ الدِّينَ.

ثُمَّ بَعْدَهُ ذُو النُّورَيْنِ، أَبُو عَبْدِاللهِ، عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الَّذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ.

ثُمَّ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ وَخَتَنُهُ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ، فَهَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ».

الشَّرح

انتقل **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ من بيان فضائل النبي ﷺ وخصائصه إلى **فضائل الصحابة رضوان الله عليهم**، وبدأ رَحِمَهُ اللهُ بالخلفاء الراشدين الأربعة.

وعقيدة **أهل السنة والجماعة** أن أفضل الناس بعد الأنبياء أبو بكر، ثم يليه في الفضيلة عمر، ثم يليه عثمان، ثم يليه علي، وترتيبهم في الفضيلة كترتيبهم في الخلافة، ومن أنكر فضلهم أو تكلَّم فيهم أو تنقَّصهم أو سبَّهُم فهو من أهل الزيغ والانحراف والضلال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ويُقِرُّون بما تواتر به النقل عن

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلِّثُون بعثمان، ويُربِّعون بعلي رضي الله عنه كما دلت الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان بالبيعة مع أن **بعض أهل السنة** كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما ـ بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر ـ أيهما أفضل؟، فقدَّم **قوم** عثمان وسكتوا، وربَّعوا بعلي، وقدَّم **قوم** عليًّا، **وقوم** توقَّفوا، لكن استقر أمر **أهل السنة** على تقديم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم.

وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلي ـ ليست من الأصول التي يُضلَّل المخالف فيها عند **جمهور أهل السنة**، لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة؛ وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله»(١).

○ قوله: «**وَنَعْتَقِدُ**» يعني: **معشر أهل السنة والجماعة** «**أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلَهَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَاحِبُهُ الْأَخَصُّ**» لأن له رضي الله عنه صحبة خاصَّة؛ حيث أنه لازم النبي ﷺ، وهو أول من آمن به وأول من صدَّقه «**وَأَخُوهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَرَفِيقُهُ فِي الْهِجْرَةِ وَالْغَارِ**» قال تعالى فيهما: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وصاحبه هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي «الصحيحين»(٢) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا»، قَالَ:

---

(١) «العقيدة الواسطية» (ص ٤١، ٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب «قوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، رقم (٤٦٦٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٣٨١).

«مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟!».

○ قوله: «**أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ**» و«أبو بكر» كنية، و«الصِّدِّيق» لقب، فعيل صيغة مبالغة من قوة تصديقه، وهو الصِّدِّيق الأكبر.

○ قوله: «**وَزِيرُهُ فِي حَيَاتِهِ**» لملازمته ولمشاورته له «**وَخَلِيفَتُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عُثْمَانَ عَتِيقُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ**[١]».

○ قوله: «**ثُمَّ بَعْدَهُ**» أي: في الفضيلة والخلافة «**الْفَارُوقُ، أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**» «الفاروق» لقب، و«أبو حفص» كنية، واسمه عمر بن الخطاب.

○ قوله: «**الَّذِي أَعَزَّ اللهُ بِهِ وَأَظْهَرَ الدِّينَ**» لمَّا أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه صار للمسلمين قوة بإسلامه فأعز الله به الإسلام، وأظهر به الدين، وفُتِحَت في أيامه الفتوحات ومصرت الأمصار[٢].

○ قوله: «**ثُمَّ بَعْدَهُ ذُو النُّورَيْنِ، أَبُو عَبْدِاللهِ، عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ**» لأنه رضي الله عنه تزوج ابنتين من بنات النبي ﷺ رقية وأم كلثوم رضي الله عنهن، تزوج واحدة ثم توفيت فتزوج الأخرى، فيُقال له: «ذو النورين»[٣] «**الَّذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ**» فمن فضائله رضي الله عنه أنه جمع القرآن، وذكر **الحافظ ابن كثير** رحمه الله هذه الفضيلة في «البداية والنهاية»[٤] فقال: «**ومن مناقبة الكبار وحسناته العظيمة**: أنه جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة التي درَّسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته، وكان سبب ذلك أن حذيفة بن

---

(١) ترجمته في: «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/٣١٥-٣٤١)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٤/١٦٩-١٧٤).

(٢) ترجمته في: «أسد الغابة» (٤/١٥٦-١٩٢)، و«الإصابة» (٤/٥٨٨-٥٩٠).

(٣) ترجمته في: «أسد الغابة» (٣/٦٠٦-٦١٨)، و«الإصابة» (٤/٤٥٦-٤٥٨).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/٢١٧).

اليمان كان في بعض الغزوات... وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجتمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه؛ لما رأى في ذلك من مصلحة كفِّ المنازعة ودفع الاختلاف، فاستدعى بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها وكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلمَّا توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين فاستدعى بها عثمان، وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يملي عليه سعيد بن العاص الأموي بحضرة عبدالله بن الزبير الأسدي وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، فكتب لأهل الشام مصحفًا، ولأهل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مصحفًا، وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفًا وإلى اليمن مثله، وأقر بالمدينة مصحفًا، ويُقال لهذه المصاحف: «الأئمة»».

○ قوله: «**ثُمَّ**» الخليفة الرابع «**ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ وَخَتَنُهُ**» يعني: زوج ابنته فاطمة رضي الله عنها «**عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ**[(١)] **رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ**».

«**فَهَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ**» فمن عقيدة **أهل السنة والجماعة** الإيمان بأن الخلافة بعد النبي ﷺ لأبي بكر، ثم لعمر، ثم لعثمان، ثم لعلي، وأن الطعن في خلافة واحد من هؤلاء ضلال وزيغ، وأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

وقد أثنى الله تعالى على الصحابة الكرام وعدَّلهم وزكَّاهم ووعدهم بالجنة، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝٨

(١) ترجمته في: «أسد الغابة» (٤/ ١٠٠-١٣٤)، و«الإصابة» (٤/ ٥٦٤-٥٦٩).

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨-٩]، وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

ولم يزل **أهل السنة والجماعة** يترضَّون على الصحابة ويوالونهم وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعصب.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «فمن أضل ممن يكون في قلبه غلٌّ على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين، بل قد فضَّلهم اليهود والنصارى بخصلة، **قيل لليهود**: «من خير أهل ملتكم؟»، **قالوا**: «أصحاب موسى»، **وقيل للنصارى**: «من خير أهل ملتكم؟»، **قالوا**: «أصحاب عيسى»، **وقيل للرافضة**: «من شر أهل ملتكم؟»، **قالوا**: «أصحاب محمد» لم يستثنوا منهم إلَّا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة»[1].

❁ ❁ ❁

(١) شرح «العقيدة الطحاوية» (ص ٥٣١، ٥٣٢).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«ثُمَّ السِّتَّةُ الْبَاقُونَ مِنَ الْعَشَرَةِ: طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِاللهِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

فَهَؤُلَاءِ الْعَشَرَةُ الْكِرَامُ الْبَرَرَةُ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ فَنَشْهَدُ لَهُمْ بِهَا كَمَا شَهِدَ لَهُمْ بِهَا؛ اتِّبَاعًا لِقَوْلِهِ وَامْتِثَالًا لِأَمْرِهِ.

وَقَدْ شَهِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ، وَعَبْدِاللهِ بْنِ سَلَّامٍ، وَلِبِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ، وَلِجَمَاعَةٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَبَشَّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ رَأَى الرُّمَيْصَاءَ بِنْتَ مِلْحَانَ فِي الْجَنَّةِ».

الشَّرْح

قوله: «ثُمَّ السِّتَّةُ الْبَاقُونَ مِنَ الْعَشَرَةِ» يعني: نشهد لهم رضي الله عنهم بالجنة، وهم: **طلحة بن عبيد الله**[1] **والزبير بن العوام**[2] **وسعد بن أبي وقاص**[3] **وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل**[4] **وعبدالرحمن بن عوف**[5] **وأبو عبيدة بن الجراح**[6] رضي الله عنهم، فهؤلاء الستة مع الأربعة الخلفاء

---

(١) ترجمته في: «أسد الغابة» (٣/ ٨٣-٨٧)، و«الإصابة» (٣/ ٥٢٩-٥٣٢).

(٢) ترجمته في: «أسد الغابة» (٢/ ٢٩٥-٢٩٨)، و«الإصابة» (٢/ ٥٥٣-٥٥٧).

(٣) ترجمته في: «أسد الغابة» (٢/ ٤٣٣-٤٣٧)، و«الإصابة» (٣/ ٧٣-٧٦).

(٤) ترجمته في: «أسد الغابة» (٢/ ٤٥٥-٤٥٨)، و«الإصابة» (٣/ ١٠-١٠٤).

(٥) ترجمته في: «أسد الغابة» (٣/ ٤٩٥-٥٠٠)، و«الإصابة» (٤/ ٣٤٦-٣٤٩).

(٦) ترجمته في: «أسد الغابة» (٦/ ٢١٨، ٢١٩)، و«الإصابة» (٣/ ٥٨٦-٥٨٩).

الراشدين هم العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد ورد ذكر هؤلاء العشرة المبشرين بالجنة في حديث سعيد بن زيد ﷺ الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد[١].

ووردت أحاديث أخر فيها الشهادة لهؤلاء العشرة بالجنة، **منها**: حديث عبدالرحمن بن عوف ﷺ[٢]، ولهذا **قال المؤلف** رحمه الله: **«فَهَؤُلَاءِ الْعَشْرَةُ الْكِرَامُ الْبَرَرَةُ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ بِالْجَنَّةِ فَنَشْهَدُ لَهُمْ بِهَا كَمَا شَهِدَ لَهُمْ بِهَا؛ اتِّبَاعًا لِقَوْلِهِ وَامْتِثَالًا لِأَمْرِهِ»**.

وللسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولهم في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

الأول: مَنْ لا يَشْهد بالجنة لأحد إلَّا للأنبياء، وهذا قول **محمد ابن الحنفية والأوزاعي**.

الثاني: أنه يُشْهَدُ بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نصٌّ، وهذا قول **كثير من أهل الحديث**.

الثالث: يُشْهَدُ بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون كما قال النبي ﷺ: **«أنتم شهداء الله في الأرض»**[٣]، **وقال**: **«يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار»**، قالوا: «بم يا رسول الله؟»، قال: **«بالثناء الحسن**

---

(١) أخرجه أبو داود، ، كتاب السنة، باب «في الخلفاء» رقم (٤٦٤٨)، والترمذي، كتاب المناقب، باب «مناقب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ﷺ»، رقم (٣٧٥٧)، وابن ماجه، في المقدمة، باب «فضائل العشرة ﷺ»، رقم (١٣٣)، وأحمد (١/ ١٨٨).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب «مناقب عبدالرحمن بن عوف ﷺ»، رقم (٣٧٤٧)، وأحمد (١/ ١٩٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب «ثناء الناس على الميت»، رقم (١٣٦٧)، ومسلم، كتاب الجنائز، رقم (٩٤٩) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

والثناء السيئ»[(١)]، فأخبر أن ذلك مما يُعْلَمُ به أهل الجنة وأهل النار، وكان **أبو ثور** يقول: «أشهد أن أحمد بن حنبل في الجنة»، ويحتج بهذا، وبسط هذه المسألة له موضع آخر»[(٢)].

والصواب من هذه الأقوال: أنه يُشْهَدُ بالجنة للأنبياء ولمن شَهِدَت له النصوص خاصَّة، ويقتصر على ما جاء وورد في النصوص؛ لأنه قلَّ أحد إلَّا وتجد له اثنين يشهدان له بالجنة فصار يُشْهِدُ لكل أحد، **فالصواب** أنه لا يُشْهِد بالجنة إلَّا لمن شهدت له النصوص كالعشرة المبشرين بالجنة.

○ قوله: «**وَقَدْ شَهِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ**[(٣)]» كما في «الصحيحين»[(٤)] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحُجرَات: ٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: «أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ اشْتَكَى؟**»، قَالَ سَعْدٌ: «إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى»، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: «أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب «الثناء الحسن»، رقم (٤٢٢١)، وأحمد (٣/٤١٦) من حديث أبي بكر بن أبي زهير عن أبيه رضي الله عنه.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، **وقال البخاري**: أبو زهير الثقفي سمع النبي ﷺ، واسمه معاذ، فأما أبو بكر بن أبي زهير فمن كبار التابعين، وإسناد الحديث صحيح ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/٢٠٧).

(٢) منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(٣) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١/٣٠٨-٣١٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب «علامات النبوة في الإسلام»، رقم (٣٦١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١١٩) ـ واللفظ له ـ.

ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، فهذا شهادة من النبي ﷺ له رضي الله عنه.

○ قوله: «**وَعَبْدِاللهِ بْنِ سَلَّامٍ**» كما في «الصحيحين»(١) عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «**مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِاللهِ بْنِ سَلَامٍ**».

وفيه: الشهادة لعبدالله بن سلام بالجنة، وهو عبدالله بن سلام الإسرائيلي من بني إسرائيل(٢).

○ قوله: «**وَلِبِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ**(٣)» كما في «الصحيحين»(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: «**يَا بِلَالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ**»، قَالَ: «مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ».

○ قوله: «**وَلِجَمَاعَةٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِنْ أَصْحَابِهِ**» كحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه(٥) كما في «صحيح مسلم»(٦) عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَبْتَ، لَا يَدْخُلُهَا؛ فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ**»، وكما أخبر ﷺ أنه رأى الرميصاء بنت ملحان في

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب «مناقب عبدالله بن سلام رضي الله عنه»، رقم (٣٨١٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٨٣).

(٢) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤١٣-٤٢٦).

(٣) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٤٧-٣٦٠).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب «فضل الطهور بالليل والنهار، وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار»، رقم (١١٤٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٥٨).

(٥) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٣-٤٥).

(٦) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٩٥).

الجنة، ويأتي.

كذلك أهل البدر، في «الصحيحين»[(١)] عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ، قَالَ: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ**[(٢)] **فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً**[(٣)] **وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا**»، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: «أَخْرِجِي الْكِتَابَ»، فَقَالَتْ: «مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ»، فَقُلْنَا: «لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ» فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا[(٤)] فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟!**»، قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ؛ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ صَدَقَكُمْ**»، قَالَ عُمَرُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ»، قَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»**».

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب «الجاسوس»، رقم (٣٠٠٧)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٩٤).

(٢) قال النووي: «روضة خاخ فبين مكة والمدينة بقرب المدينة، **قال صاحب المطالع**: «**وقال الصائدي**: هي بقرب مكة»، والصواب الأول». شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٦/ ٥٥).

(٣) الظعينة هنا: الجارية، وأصلها الهودج، وسميت بها الجارية لأنها تكون فيه، واسم هذه الظعينة سارة مولاة لعمران بن أبي صيفي القرشي. شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٦/ ٥٥).

(٤) هو بكسر العين، أي: شعرها المضفور، وهو جمع عقيصة. شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٦/ ٥٦).

○ قوله: «وَبَشَّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ» في «الصحيحين»[(١)] عَنْ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنهما: «بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ خَدِيجَةَ؟»، قَالَ: «نَعَمْ، بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»، وفيهما[(٢)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ».

والقصب: الدر المجوف، والصخب: الأصوات المختلطة والجلبة، **والنصب**: التعب[(٣)].

وفي هذا: منقبة لخديجة رضي الله عنها[(٤)] حيث شَهِدَ لها النبي ﷺ بالجنة.

○ قوله: «وَأَخْبَرَ أَنَّهُ رَأَى الرُّمَيْصَاءَ بِنْتَ مِلْحَانَ فِي الْجَنَّةِ» كما في «الصحيحين»[(٥)] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: «مَنْ هَذَا؟»، فَقَالَ: «هَذَا بِلَالٌ»، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: «لِمَنْ هَذَا؟»، فَقَالَ: «لِعُمَرَ»، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ عُمَرُ: «بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟!».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب «تزويج النبي ﷺ خديجة»، رقم (٣٨٢١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٣٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب «تزويج النبي ﷺ خديجة»، رقم (٣٨٢١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٣٢).

(٣) «كشف المشكل» لابن الجوزي (٢/٢١٨).

(٤) ترجمتها في: «سير أعلام النبلاء» (٢/١٠٩-١١٧).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب «مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه»، رقم (٣٦٧٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٥٧).

بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ» هي أم سليم.

والرُّميصاء بالتصغير صفة لها لرمص كان بعينها، واسمها سهلة، **وقيل**: رميلة، **وقيل**: غير ذلك، **وقيل**: هو اسمها، ويُقال فيه بالغين المعجمة بدل الراء، **وقيل**: هو اسم أختها أم حرام، **وقال أبو داود**: هو اسم أخت أم سليم من الرضاعة، وجوَّز **ابن التين** أن يكون المراد امرأة أخرى لأبي طلحة»[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) فتح الباري» (٧/ ٤٤).

وترجمتها في: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٠٤-٣١١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَكُلُّ مَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ بِالْجَنَّةِ شَهِدْنَا لَهُ، وَلَا نَشْهَدُ لِأَحَدٍ غَيْرِهِمْ، بَلْ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ، وَنَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ، وَنَكِلُ عِلْمَ الْخَلْقِ إِلَى خَالِقِهِمْ.

فَالْزَمْ ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ وَكَلَام نَبِيِّكَ الْكَرِيمِ، وَلَا تَحِدْ عَنْهُ، وَلَا تَبْتَغِ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِزَخَارِفِ الْمُبْطِلِينَ وَآرَاءِ الْمُتَكَلِّفِينَ؛ فَإِنَّ الرُّشْدَ وَالْهُدَى وَالْفَوْزَ وَالرِّضَا فِيمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ لَا فِيمَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ وَأَتَى بِهِ الْمُتَنَطِّعُونَ مِنْ آرَائِهِمُ الْمُضْمَحِلَّةِ وَنَتَائِجِ عُقُولِهِمُ الْفَاسِدَةِ، وَارْضَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ عِوَضًا مِنْ قَوْلِ كُلِّ قَائِلٍ وَزُخْرُفٍ وَبَاطِلٍ»

الشَّرح

هذه عقيدة **أهل السنة والجماعة**، كلُّ من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة شَهِدَنا له، ولا نشهد لأحد غيرهم، بل نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء.

فإذا رأينا إنسانا محسنًا مستقيمًا على طاعة فإنا نرجو له الخير وأن يدخله الله الجنة، ولا يُشهد له بعينه، وإذا رأينا إنسانًا مُسْرِفًا يعمل المعاصي والكبائر ولا يبالي فنخاف عليه من النار ولا نشهد عليه بها.

فنشهد بالعموم أن كلَّ مؤمن في الجنة، وأن كلَّ كافر في النار، ولا نشهد لأحد بالجنة إلَّا لمن شَهِدَت له النصوص، وكذلك لا نشهد لأحد بالنار إلَّا لمن عُرِفَ أنه مات على الكفر وقامت عليه الحجة.

○ قوله: «**وَنَكِلُ عِلْمَ الْخَلْقِ إِلَى خَالِقِهِمْ**» فلسنا مُكلَّفين بأن نقول: «فلان كذا، وفلان كذا».

○ قوله: «**فَالْزَمْ**» وهذا من نصحه رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم قال: «**ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ**» يدعو لك بالرحمة.

○ قوله: «**مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ وَكَلَامِ نَبِيِّكَ الْكَرِيمِ**» أي: الزمِ نصوص الكتاب والسنة وما دلت عليه.

○ قوله: «**وَلَا تَحِدْ عَنْهُ**» يعني: لا تبعد عنه لا يمنة ولا يسرة.

○ قوله: «**وَلَا تَبْتَغِ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ**» أي: لا تبتغ الهُدى في غير النصوص؛ فالهدى إنما هو في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ٣]، ولو ذكر **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الآية لكان حسنًا.

○ قوله: «**وَلَا تَغْتَرَّ بِزَخَارِفِ الْمُبْطِلِينَ وَآرَاءِ الْمُتَكَلِّفِينَ**» أي: ولا تغترَّ بالكلام الذي يزخرفه **أهل الباطل والبدع**، والزم الكتاب والسنة، ولا تحدْ عنه يمينًا ولا شمالًا، فابتعد عن مذاهب **الخوارج والمعتزلة والمرجئة وغيرهم من أهل الضلال.**

○ قوله: «**فَإِنَّ الرُّشْدَ وَالْهُدَى وَالْفَوْزَ وَالرِّضَا فِيمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ لَا فِيمَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ**» أي: ابتعد عن الحدث والبدع في الدين.

○ قوله: «**وَأَتَى بِهِ الْمُتَنَطِّعُونَ مِنْ آرَائِهِمُ الْمُضْمَحِلَّةِ وَنَتَائِجِ عُقُولِهِمُ الْفَاسِدَةِ**» من زبالة الأذهان وحطة الأفكار.

○ قوله: «**وَارْضَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ**» أي: ارضَ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واكتفِ بهما، ومن لم يكتفِ بالكتاب والسنة لا كفاه الله، ومن لم يرضَ بالكتاب والسنة لا أرضاه الله «**عِوَضًا مِنْ قَوْلِ كُلِّ قَائِلٍ وَزُخْرُفٍ وَبَاطِلٍ**» فيكفيك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذه نصيحة من **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ ❁ ❁

«فَصْلٌ

فِي فَضْلِ الْاتِّبَاعِ

رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «نَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى وَنُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ»، ثُمَّ يَقُولُ: «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»، ثُمَّ يَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ مَسَّاكُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضِيَاعًا فَإِلَيَّ أَوْ عَلَيَّ، وَأَنَا وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ، وَلَمْ يَذْكُرْ مُسْلِمٌ «وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»».

الشرح

عقد المؤلف ﷺ هذا الفصل في فضل اتباع الكتاب والسنة والعمل بهما.

وسرد المؤلف ﷺ فيه آثارًا وأخبارًا في فضل اتباع الكتاب والسنة والعمل بهما، وأنه يجب على الإنسان أن يعمل بهما، وأن من اتبعهما فهو على الجادة المستقيمة.

○ قوله: «رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «نَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى وَنُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ»، ثُمَّ يَقُولُ: «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، إِنَّ أَصْدَقَ

الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»، ثُمَّ يَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ مَسَّاكُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضِيَاعًا فَإِلَيَّ أَوْ عَلَيَّ، وَأَنَا وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ» في «صحيحه»(١) وَالنَّسَائِيُّ» كما في «السنن الصغرى»(٢)، «وَلَمْ يَذْكُرْ مُسْلِمٌ «وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»».

○ قوله: «**رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «نَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى وَنُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ»**» وهذا هو السنة، السنة أن يبدأ الخطيب في خطبته سواء كانت خطبة جمعة أو غيرها بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، ثم يثني بالصلاة على نبيه ﷺ.

○ قوله: «**ثُمَّ يَقُولُ: «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ»**» وهذا مأخوذ من الكتاب العزيز، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف: ١٧٨]، وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

من يهدِ الله فلا مُضِلَّ له، فمن هداه الله ووفَّقَهُ وقذف في قلبه الحقَّ فقبله ورضي بما اختاره فلا أحد يُضله أبدًا، ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يُضلُّوه ما استطاعوا.

ومن يضلل الله فلا هادي له، فمن خذله الله وأضلَّه فلا يستطيع

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، رقم (٨٦٧).

(٢) أخرجه النسائي في «المجتبى»، كتاب صلاة العيدين، باب «كيف الخطبة»، (٣/ ١٨٨).

أحد أن يهديه، ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يهدوه ما استطاعوا، وأنزل الله تعالى على نبيه الكريم ﷺ لمَّا عجز عن فداء عمه أبي طالب ـ وكان يحميه ويذود عنه ـ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦](١).

○ قوله: «إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ» وكتاب الله هو كلام الله ﷻ، وهو أصدق الحديث، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧].

○ قوله: «وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ» لأنه ﷺ يهدي، يعني: يُرشد وينصح ويُبيِّن، فهو ﷺ على بيِّنة ونور من ربِّهِ، فهديه ﷺ أحسن الهدي، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢] يعني: تدلُّ وترشد.

۞ الهداية نوعان:

النوع الأول: هداية دلالة وإرشاد، وهذه يملكها الرسول عليه الصلاة والسلام.

النوع الثاني: هداية توفيق وتسديد، وهذه لا يملكها إلَّا الله تعالى(٢).

○ وقوله: «وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ» هذه هداية التَّوفيق والتَّسديد، وقوله «وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ» هذه هداية الدلالة والإرشاد.

○ قوله: «وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا» شر الأمور المُحْدَثُ في الدين،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب «قصة أبي طالب»، رقم (٣٨٨٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢٤) من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه.

(٢) انظر: «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» لابن بطة (٣/ ١٨٣).

وهو ما أُحْدِثَ في دين الله مخالفًا لشرع الله.

○ قوله: «**وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ**» فكل مُحْدَثة في الدين بدعة «**وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**».

○ وقوله: «**وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**» لم يذكرها مسلم كما ذكر **المؤلف** رحمه الله، وإنما جاءت عند النسائي(١).

○ قوله: «**ثُمَّ يَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»**» كما في الصحيحين أنه ﷺ قال: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى(٢).

○ قوله: «**وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ مَسَّاكُمْ»**» وهكذا ينبغي أن يكون الخطيب، تجد بعض الخطباء إذا خطب متماوتًا فخطبته ضعيفة تأتي بالنوم، بل ينبغي أن يكون في الخطيب شجاعة وحماس وقوة فيهز المنبر، فيحمر وجهه ويعلو صوته؛ حتى يُؤثِّر في السامعين، فالخطيب يُعالج المشاكل التي وقع الناس فيها، لا يلقي خطبته كأنه يقرأ في كتاب، بل تحتاج الخطبة إلى حماسة وشجاعة، وهكذا كان النبي ﷺ إذا خطب احمرت وجنتاه، وعلا صوته، واشتد غضبه كأنه نذير جيش يقول: «**صَبَّحَكُمْ مَسَّاكُمْ**».

○ قوله: «**ثُمَّ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ»**» يعني: لورثته «**وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضِيَاعًا فَإِلَيَّ أَوْ عَلَيَّ، وَأَنَا وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**» قال الإمام النووي رحمه الله: «وهذا تفسير لقوله ﷺ «**قال أهل اللغة**: الضَّياع ـ بفتح الضاد ـ: العيال، **قال ابن قتيبة**: أصله مصدر ضاع يضيع ضياعًا، المراد: من

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٩٣٦) وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة برقم (٢٩٥١).

ترك أطفالًا وعيالًا ذوي ضياع فأوقع المصدر موضع الاسم»[١]، ولهذا **قال العلماء**: إذا كان في بيت المال سعة فإنه ينبغي أن تقضى منه ديون الأموات وتكفل فيه الأيتام؛ اقتضاء بالنبي ﷺ.

(١) شرح النووي على «صحيح مسلم» (٦/ ١٥٥).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَرَوَى زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي ﷺ فَأُجِيبَهُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ وَأَخْطَأَهُ كَانَ عَلَى الضَّلَالَةِ، وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

الشرح

هذا الحديث أخرجه مسلم في «صحيحه»[1].

○ قوله: «**وَرَوَى زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ**» فيستحب للخطيب أن يبدأ بحمد الله والثناء عليه «**ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ**» فالسنة أن يقول الخطيب: «أما بعد»، وهذا أفضل وأولى من قول البعض «وبعد».

وفي قوله: «**أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**» فالنبي ﷺ بشر ليس ربًّا ولا إلهًا.

وفيه: الردُّ على من يعبد النبي ﷺ، ويقول: «إنه إله»، **وبعض الناس يقول**: «إنه نور، وإنه جزء من الله» نعوذ بالله، وهذا كفر وضلال، فالرسول ﷺ بشر من لحم ودم، مخلوق من أم وأب، من عبدالله بن عبدالمطلب وآمنة بنت وهب، خُلِقَ من مائهما كما يُخلق

(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٠٨).

سائر الناس، فهو ﷺ بشر، ولكنه أفضل الناس عليه الصلاة والسلام.

○ قوله: «**يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي** ﷻ» يعني: الموت «**فَأُجِيبَهُ**» يعني: فيموت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزُّمَر: ٣٠].

○ قوله: «**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ**» قال العلماء: سُميًا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، **وقيل**: لثقل العمل بهما[(١)].

○ قوله: «**أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ وَأَخْطَأَهُ كَانَ عَلَى الضَّلَالَةِ**» ولا شكَّ أن من استمسك بالقرآن كان على الهدى، ومن تركه وأخطأه كان على الضلالة.

○ قوله: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**» يعني: أهل بيته المؤمنين، زوجاته عليه الصلاة والسلام، وعمه العباس وحمزة، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين ﷺ، هؤلاء هم أهل بيته، فيجب على المؤمن محبتهم وموالاتهم؛ لقربهم من النبي ﷺ، فأوصى بهم النبي ﷺ وصية خاصَّةً قال: «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يعني: بموالاتهم، ومحبتهم، وإعطائهم حقوقهم، وكفِّ الأذى عنهم، وإنزالهم منازلهم، والترضي عنهم.

❁ ❁ ❁

---

(١) شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٥/ ١٨٠).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى الْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةِ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟»، قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنْ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ(١)، وَقَالَ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَفِيهِ قَالَ: «وَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»».

الشَّرْح

○ قوله: «وَرَوَى الْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةِ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً» يعني: مُؤَثِّرةً «ذَرَفَتْ مِنْهَا الْأَعْيُنُ» من البكاء «وَوَجِلَتْ مِنْهَا» أي: خافت منها «الْقُلُوبُ» لأنها خرجت من القلب فنفذت إلى القلوب، فهي موعظة بليغة مُؤثِّرة.

○ قوله: «فَقَالَ قَائِلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ»

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في لزوم السنة»، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب «ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع»، رقم (٢٦٧٦).
وكذا أخرجه ابن ماجه، في المقدمة، باب «اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين»، رقم (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦).
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح ليس له علة». «المستدرك» (١/ ١٧٤).

أي: كأنك تودِّعنا، كأنها آخر نصيحة «فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟» أي: بما توصينا؟

○ قوله: «قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى»» وتقوى الله تعالى وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وهي وصية نبينا ﷺ فقال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى**».

○ قوله: «**وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ**» يعني: أوصيكم بالسَّمع والطاعة لمن ولّاه الله أمركم، فاسمعوا لهم وأطيعوا، ولا تخرجوا عليهم ولا تُقاتلوهم، يعني: ولا تأخذون يدًا من طاعتهم، وهذا مُقيَّد بما إذا أمروا بطاعة الله ورسوله ﷺ، أما إذا أمروا بالمعصية فلا طاعة لهم؛ في «الصحيحين»(١) عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا، وَقَالَ: «**ادْخُلُوهَا**»، فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: «إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا»، فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «**لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**».

فإذا أمر ولي الأمر بالمعصية فلا يُطاع، وإذا أمر الأمير بالمعصية فلا يُطاع، وإذا أمر الزوج زوجته بالمعصية فلا يُطاع، وإذا أمر الأب ابنه بالمعصية فلا يطاع، ولكن لا يتمرد عليه في غيرها، فإذا قال لك: «اشرب الخمر» فلا تطعه، لكن لا تتمرد عليه، بل انصحه.

○ قوله: «**وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا**» يعني: لو كان الأمير عبدًا حبشيًا، وفي اللفظ الآخر: «**وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ**»(٢) وفي

(١) أخرجه البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب «ما جاء في إجازة خبر الواحد»، رقم (٧٢٥٧)، ومسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٨٤٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٤٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

لفظ: «**وَإِنْ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[١] الزبيب المأكول المعروف الكائن من العنب إذا جفَّ، إنما شبَّه رأس الحبشي بالزبيبة لتجمعها ولكون شعره أسود، وهو تمثيل في الحقارة وبشاعة الصورة وعدم الاعتداد بها[٢]، فلو صار هذا أميرًا وتولى على الناس يجب عليهم أن يسمعوا له ويطيعوا.

○ قوله: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا**» أي: سيحصل اختلاف وأمور ستنكرونها، فالزموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأطيعوا ولاة الأمور في طاعة الله.

○ قوله: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**» أي: الزموا سنتي «**وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**» فالواجب لزوم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإذا لم تتبيَّن السنة يُؤخذ بسنة الخلفاء الراشدين، أما إذا ظهرت السنة فإنه يُؤخذ بها، وقد يجتهد بعض الخلفاء الراشدين اجتهادًا يُخالف السنة فيُؤخذ بالسنة.

○ قوله: «**عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**» أي: تمسكوا بها، والنَّواجِذ: الأضراس التي بعد الناب، جمع ناجذ، وهذا مثلٌ في شدة الاستمساك بالأمر؛ لأنَّ العَضَّ بالنَّواجذ عَضٌّ بمعظم الأسنان التي قبلها والتي بعدها[٣].

○ قوله: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**» أي: احذروا مُحْدَثات الأمور، وهي البدع التي تُخالِف الكتاب والسنة؛ «**فَإِنْ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، وعند النسائي كما تقدَّم[٤] «**وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب «السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية»، رقم(٧١٤٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ.
(٢) فتح الباري» (١٣/ ١٢٢).
(٣) جامع الأصول» لابن الأثير (١/ ٢٨٠).
(٤) تقدَّم تخريجه.

النَّارِ».

○ قوله: «وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهُ[1] وَفِيهِ قَالَ: «وَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءَ» يعني: الشريعة «لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا» يعني: واضحة ووضوحها ليس فيه لَبْسٌ، «لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ».

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن ماجه، في المقدمة، باب «اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين»، رقم (٤٤)، وكذا أخرجه أحمد (٤/١٢٦).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: «الْفَقْرَ تَخَافُونَ؟!، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَّ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِنْ أَزَاغَهُ إِلَّا هِيهْ، وَايْمُ اللهِ، قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ».

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «صَدَقَ رَسُولُ اللهِ تَرَكَنَا عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[1]».

الشَّرْح

في هذا الحديث: التحذير من فتنة الدنيا، وأنه يُخشى على الإنسان من الدنيا أكثر مما يُخشى عليه من الفقر.

وهذا واقع؛ فإن الفقر يتحمله بعض الناس ويصبرون، لكن الدنيا إذا جاءت لا يستطيع كثير من الناس أن يصبر عليها، قال عَبْدِالرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه: «ابْتُلِينَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا، ثُمَّ ابْتُلِينَا بِالسَّرَّاءِ بَعْدَهُ فَلَمْ نَصْبِرْ»[2]، فإذا جاءت الدنيا والأموال فحينئذ تكون فتن الشهوات والشبهات.

○ قوله: «وَرَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: «الْفَقْرَ تَخَافُونَ؟!، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ» حلف

---

(١) أخرجه ابن ماجه، في المقدمة، باب «اتباع سنة رسول الله ﷺ»، رقم (٥).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب منه، رقم (٢٤٦٤).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

ﷺ وهو الصادق وإن لم يُقْسِمْ، لكنه ﷺ أقسم للتأكيد، «**لَتُصَبَّنَّ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِنْ أَزَاغَهُ إِلَّا هِيهْ**»[١] وهذا هو الواقع، وكما هو الواقع الآن في عصرنا، صُبَّت الدنيا علينا صبًّا ـ نسأل الله أن يثبت قلوبنا على دينه وألَّا يُزيغ قلوبنا ـ.

○ قوله: «**وَايْمُ اللهِ**[٢]» أقسم أيضًا مرة ثانية «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ**» أي: الشريعة «**لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**» يعني: واضحة، فالحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ كما قال في «الصحيحين»[٣] عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ**».

○ قوله: «**قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «صَدَقَ رَسُولُ اللهِ تَرَكَنَا عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه».

وفي هذا: حثُّ المؤلف ﷺ على الاتباع.

---

(١) هي ضمير الدنيا، والهاء في آخره للسكت، وهو فاعل «يزيغ». «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (١/٦).

(٢) أصله «وأيمنِ الله» بإثبات نون بعد الميم والنون مخفوضة على القسم وهي جمع يمين، كأنه يقول: «أقسم بأيمان الله» أي: بالأيمان بالله، فحُذِفَت النون تخفيفًا لكثرة الاستعمال، وبقي الميم مضمومًا؛ لأنه وسط الكلمة وليس بحرف إعراب وكانت قبل حذف آخره كذلك فبقي على ذلك. «طلبة الطلبة» للنسفي (ص ١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «فضل من استبرأ لدينه»، رقم (٥٢)، ومسلم، كتاب المساقاة، رقم (١٥٩٩).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي قَدْ خَلَّفْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا أَوْ عَمِلْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ**» رَوَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرِيُّ الْحَافِظُ فِي «السُّنَنِ»[1]».

الشَّرْح

هذا الحديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه أبو القاسم الطبري في شرح أصول الفقه لأهل السنة، وفي مسند الإمام أحمد، يقول: حدثنا الزبير قال: حدثنا عبدالملك بن أبي سليمان، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللهِ عز وجل حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، أَلَا إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**»[2] الحديث هذا ضعيف، فيه عطية العوفي، وهو ضعيف شيعي مدلس، وهنا قال: «**كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي**» في الحديث الآخر: «كِتَابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي»[3].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله هذا الحديث في رده على الأحناف الذين يقولون: إن الزيادة على الكتاب نسخ، مثل آية الوضوء ليس فيها النية، قال: «ولم يأمر بالنية، قالوا: فلو أوجبناها بالسنة لكان زيادة على نص

(١) أخرجه أبو القاسم الطبري في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٩٠).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده: رقم (١١٢١١).
(٣) أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، رقم (٣٧٨٦).

القرآن فيكون نسخًا، والسنة لا تنسخ القرآن... وبنوا على هذه المقدمات إسقاط كثير مما صَرَّحت السنة بإيجابه كقراءة الفاتحة والطمأنينة وتعيين التكبير للدخول في الصلاة والتسليم للخروج منها»، ثم قال: «ولو كان كل ما أوجبته السنة ولم يوجبه القرآن نسخًا له لبطلت أكثر سنن رسول الله ﷺ»، وقال: «وهذا بعينه هو الذي أخبر رسول الله ﷺ أنه سيقع وحَذَّر منه كما في «السنن» من حديث المِقدام ابن مَعْد يكرب عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا إني أوتيتُ القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجلٌ شبعانَ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلوه وما وجدتم فيه من حَرَام فحرِّموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة مال المعاهد**»[(١)]، وفي لفظ: «**يوشك أن يقعد الرجل على أريكته فَيُحَدَّثُ بحديثي فيقول: بيني وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حَرَّمناه، وإن ما حَرَّم رسول الله ﷺ كما حرم الله**»[(٢)]، ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قال: «**إِنِّي قَدْ خَلَّفْت فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**»[(٣)]. ثم عقب على ذلك فقال: «**فَلَا يَجُوزُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ مَا جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمَا وَيَرُدُّ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، بَلْ سُكُوتُهُ عَمَّا نَطَقَ بِهِ وَلَا يُمْكِنُ أَحَدًا أَنْ يَطَّرِدَ ذَلِكَ وَلَا الَّذِينَ أَصَّلُوا هَذَا**

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٤)، وأحمد (١٧١٧٤)، والآجري في «الشريعة» (ص٥١)، وابن نصر المروزي في «السنة» (ص١١٦).

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» (أبواب العلم) باب ما نُهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ (٢٦٦٤)، وابن ماجه، المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه (١٢)، وأحمد (١٧١٩٤).

(٣) أخرجه الدارقطني في «سننه» (٤/ ٢٤٥)، والحاكم (١/ ٩٣)، والبيهقي في «سننه» (١٠/ ١١٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (رقم ٨٩ و٩٠).

الْأَصْلَ»[١] ومقصده أنه يجب على الإنسان أن يعمل بالكتاب والسنة ولا يفرق بينهما، وكذلك أيضا ذكر بعض الشراح هذا الحديث، وهو دليل على الاتباع، وأنه ينبغي الإنسان أن يتبع الكتاب والسنة وألا يفرق بينهما. «**وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ**» يعني: إلى يوم القيامة، فيجب على الإنسان أن يعمل بالكتاب والسنة حتى يموت، ولا يُفرِّق بينهما بأن يعمل بأحدهما دون الآخر كالذين يردُّون السنة، أو كالذين يقولون: «نعمل بالقرآن ولا نعمل بالسنة»، أو يقولون: «إن السنة إذا جاءت بنصٍّ زائد عن القرآن فهذا نسخ» ثم يردونها.

وفي هذا الحديث: ردٌّ عليهم.

وفيه: الحثُّ على الاتباع.

وساقه **المؤلف** ﷺ لأجل الحثِّ على اتباع الكتاب والسنة.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢٢٠).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه فِي خُطْبَتِهِ: «إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ»».

الشَّرْح

○ قوله: «وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه فِي خُطْبَتِهِ» بعد توليه الخلافة كما عند أبي عبيد في كتاب «الأموال»[١].

○ قوله: «إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ» يعني: مُتَّبِعٌ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلا آتي بالبدع المخالفة للدين، وهكذا ينبغي أن يكون كل مسلم.

---

(١) «الأموال» رقم (٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «قَدْ فُرِضَتْ لَكُمُ الْفَرَائِضُ، وَسُنَّتْ لَكُمْ السُّنَنُ، وَتُرِكْتُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ إِلَّا أَنْ تَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا»».

الشَّرْح

كما عند مالك في «الموطإ»[1] عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: لَمَّا صَدَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه مِنْ مِنًى أَنَاخَ بِالْأَبْطَحِ، ثُمَّ كَوَّمَ كَوْمَةً بَطْحَاءَ، ثُمَّ طَرَحَ عَلَيْهَا رِدَاءَهُ وَاسْتَلْقَى، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ كَبِرَتْ سِنِّي، وَضَعُفَتْ قُوَّتِي، وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتِي فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُضَيِّعٍ وَلَا مُفَرِّطٍ»**، ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَخَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: **«أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ سُنَّتْ لَكُمْ السُّنَنُ، وَفُرِضَتْ لَكُمُ الْفَرَائِضُ، وَتُرِكْتُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ، إِلَّا أَنْ تَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا»**، وَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى.

○ قوله: **«إِلَّا أَنْ تَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا»** يعني: لا تميلوا يمينًا ولا شمالًا، بل اعملوا بالكتاب والسنة.

❀ ❀ ❀

(١) «موطأ مالك» (٢/ ٨٢٤) رقم (١٥٠٦).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّا نَقْتَدِي وَلَا نَبْتَدِي، وَنَتَّبِعُ وَلَا نَبْتَدِعُ، وَلَنْ نَضِلَّ مَا تَمَسَّكْنَا بِالْأَثَرِ»».

الشَّرح

أخرج الأثر اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[1].

○ قوله: «**إِنَّا نَقْتَدِي**» يعني: نقتدي بالرسول عليه الصلاة والسلام، ونعمل بكتاب الله «**وَلَا نَبْتَدِي**» أي: ولا نبتدي من عند أنفسنا شيئًا.

○ قوله: «**وَنَتَّبِعُ**» أي: الكتاب والسنة «**وَلَا نَبْتَدِعُ**» أي: لا نأتي ببدعة.

○ قوله: «**وَلَنْ نَضِلَّ مَا تَمَسَّكْنَا بِالْأَثَرِ**» أي: لن يضلَّ الإنسان طالما تمسك بالكتاب والسنة والآثار الصحيحة.

❁ ❁ ❁

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (١٠٦).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَرَوَى الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»، فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ: «مَا هَذَا؟»، فَقَالَ: «مِنَ اللهِ الْعِلْمُ، وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ، أَمِرُّوا أَحَادِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا جَاءَتْ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَإِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ أَمَرُّوهَا»».

الشَّرْح

الأوزاعي هو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد[(١)] والزهري هو محمد بن مسلم بن شهاب[(٢)].

○ قوله: **«وَرَوَى الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»، فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ:...»** أخرج الأثر أبو نعيم الأصبهاني في «الحلية»[(٣)].

وأخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[(٤)] عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ**

---

(١) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٧/١٠٧-١٣٤).

(٢) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٥/٣٢٦-٣٥٠).

(٣) «حلية الأولياء» (٣/٣٦٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب «النهبى بغير إذن صاحبه»، رقم (٢٤٧٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٥٧).

إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

○ قوله: «**فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ**: «**مَا هَذَا؟**»، **فَقَالَ**: «**مِنَ اللهِ الْعِلْمُ**» العلم الذي أنزله الله في كتابه وأنزله على رسوله ﷺ «**وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ**» فالرسول ﷺ هو الذي بلَّغنا هذا العلم عن الله «**وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ**» فنحن عبيد لله مأمورون «**أَمِرُّوا أَحَادِيثَ رَسُولِ اللهِ كَمَا جَاءَتْ**» يعني: لا تؤوِّلُوها ولا تخرجوها عن ظاهرها.

○ قوله: «**وَفِي رِوَايَةٍ**: «**فَإِنّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ أَمَرُّوهَا**»» أخرجها ابن الأعرابي في «المعجم»[1].

قوله ﷺ «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» يعني: الإيمان الكامل الذي تبرؤ به ذمته ويستحق به دخول الجنة والنجاة من النار، فإنه إذا زنا ومات فهو على خطر من دخول النار، إلَّا أن يتوب، يعني: هو ضعيف الإيمان وليس بكافر.

ولهذا بين العلماء هذا **كالإمام النووي** رحمه الله **فقال**: «هذا الحديث مما اختلف **العلماء** في معناه، **فالقول الصحيح** الذى قاله **المحقِّقُون**: أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الايمان، وهذا من الألفاظ التي تُطلق على نفي الشيء ويُراد نفي كماله ومختاره كما يُقال: «لا علم إلَّا ما نفع، ولا مال إلَّا الإبل، ولا عيش إلَّا عيش الآخرة».

وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره «**من قال** «**لا إله إلَّا الله**» دخل الجنة وإن زنى وإن سرق»[2]، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم بايعوه ﷺ على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا... إلى آخره، ثم قال لهم ﷺ: «**فمن وفَّى منكم فأجره على الله**،

---

(١) «معجم ابن الأعرابي» رقم (١٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب «الثياب البيض»، رقم (٥٨٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٩٤).

ومن فعل شيئًا من ذلك فعُوقِب في الدنيا فهو كفارته، ومن فعل ولم يُعاقب فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عَذَّبَهُ»(١) فهذان الحديثان مع نظائرهما في «الصحيح» مع قوله الله ﷻ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] مع **إجماع أهل الحقِّ** على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشِّرك لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مُصرِّين على الكبائر كانوا في المشيئة فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولًا، وإن شاء عَذَّبَهم ثم أدخلهم الجنة»(٢).

وهذا هو **الصواب** الذي عليه **أهل السنة والجماعة** أن الزاني والسارق وشارب الخمر عصاة، إن تابوا تاب الله عليهم، وإن ماتوا قبل التوبة فهم على خطر من دخول النار، وقد يُعذَّبون وقد يُعفى عنهم، وإذا عُذِّبوا فلا يُخلَّدُون إلَّا إذا استحلوا، فلو استحلَّ الزنى أو السرقة ورأى أنها حلال فهذا كفر ورِدَّة ـ نعوذ بالله، ونسأل الله السَّلامة والعافية ـ، لكن إذا فعله وهو يعلم أن الزنى حرام وأنه عاصٍ فهذا مؤمن ناقص الإيمان(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب «وفود الأنصار إلى النبي وبيعة العقبة»، رقم (٣٨٩٢)، ومسلم، كتاب الحدود، رقم (١٧٠٩).

(٢) شرح النووي على «صحيح مسلم» (٢/ ٤١، ٤٢).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٢)، (٧/ ٣٣٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِالْعَزِيزِ رضي الله عنه: «سَنَّ رَسُولُ اللهِ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَنًا الْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَتِهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظَرُ فِي رَأْيِ مَنْ خَالَفَهَا، فَمَنِ اقْتَدَى بِمَا سَنُّوا اهْتَدَى، وَمَنِ اسْتَبْصَرَ بِهَا بَصُرَ، وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا».

الشرح

هذا الأثر أخرجه عبدالله بن أحمد في كتاب «السنة»[(١)]، والآجري في «الشريعة»[(٢)].

○ قوله: «**وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِالْعَزِيزِ** رضي الله عنه» هو الخليفة الراشد أمير المؤمنين رحمه الله[(٣)].

○ قوله: «**سَنَّ رَسُولُ اللهِ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَنًا**» يعني: هذه السنن التي سنَّها رسول الله ﷺ إنما هي وحي من الله، وولاة الأمر تابعون، وطاعتهم تابعة لطاعة الله ورسوله ﷺ، ولهذا قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، ولم يُعِدِ الفعل مع «أولي الأمر» لبيان أن طاعة أولي الأمر تابعة لطاعة الله ورسوله ﷺ.

○ قوله: «**الْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اللهِ**» لأن السنة وحي ثانٍ ولا تخالف كتاب الله.

---

(١) «السنة» رقم (٧٦٦).

(٢) «الشريعة» رقم (٩٢).

(٣) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١١٤-١٤٨).

○ قوله: «وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَتِهِ» فطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤].

○ قوله: «وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللهِ» ولا شكَّ أنها قوة على دين الله؛ لأن دين الله هو العمل بالشريعة التي هي الكتاب والسنة.

○ قوله: «لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا وَلَا تَبْدِيلُهَا» لأنها من عند الله، فلا يُغيِّر شرع الله إلَّا طاغوت.

○ قوله: «وَلَا النَّظَرُ فِي رَأْيِ مَنْ خَالَفَهَا» أي: وليس لأحد النظر في رأي من خالف هذه السنن التي هي وحي من الله.

○ قوله: «فَمَنِ اقْتَدَى بِمَا سَنُّوا اهْتَدَى» لأنه صار على طريق مستقيم.

○ قوله: «وَمَنِ اسْتَبْصَرَ بِهَا بَصُرَ، وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» أخذ المؤلف رحمه الله ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

واستدل **العلماء** بهذه الآية على حجية الإجماع[(١)]، فإجماع الأمة مبني على دليل، فإذا أجمعت الأمة على شيء فهو مبني على دليل من الكتاب أو السنة، ولهذا الإجماع حجة قاطعة.

❁ ❁ ❁

(١) **قال ابن كثير**: «والذي عَوَّلَ عليه **الشافعي** رحمه الله في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة بعد التروي والفكر الطويل، وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك فاستبعد الدلالة منها على ذلك». «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٥٦).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: «اصْبِرْ عَلَى السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَقُلْ فِيمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ؛ فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ».

الشَّرْح

أخرج الأثر اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[(١)].

○ قوله: «**اصْبِرْ عَلَى السُّنَّةِ**» يعني: على سنة الرسول ﷺ.

○ قوله: «**وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ**» يعني: **أهل السنة**.

○ قوله: «**وَقُلْ فِيمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ؛ فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ**»؛ لأن **السلف الصالح** على الحقِّ والطريق المستقيم، أهل السنة ـ والمراد بهم الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ـ إذا أجمعوا على شيء فهو الحقُّ، فهؤلاء يلزمون السنة ويقفون عندها، فعليك أن تتبع آثارهم، ومن شذَّ عنهم فقد شذ.

❁ ❁ ❁

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٣١٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ نُعَيمُ بْنُ حَمَّادٍ: «مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ تَشْبِيهًا»».

الشَّرْح

أخرج الأثر الذهبي في «العُلُوِّ للعلي الغفار»(١)، ثم **قال** رَحِمَهُ اللهُ: «**نعيم بن حماد** من أوعية العلم(٢)، أُخِذَ في محنة خلق القرآن فسُجِنَ حتى مات في القيد رَحِمَهُ اللهُ في سنة تسع وعشرين ومائتين وله ثمانون سنة، حَدَّثَ عنه البخاري».

○ قوله: «**مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ**» لأن المُشبِّه في الحقيقة لا يعبد الله، وإنما يعبد وثنًا صَوَّرَه له خياله ونحته له فكره، فهو من عُبَّادِ الأوثان لا من عُبَّادِ الرحمن.

○ قوله: «**وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ**» لأنه عَطَّلَ الرَّبَّ؛ إذ أن إنكار الأسماء والصفات تعطيل للرَّبِّ، فالشيء الذي ليس له أسماء ولا صفات لا وجود له، فلهذا يكفر من أنكر صفات الله تعالى، وهذا على العموم، أما الشخص المُعيَّن فلا بُدَّ من قيام الحجة عليه.

○ قوله: «**وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ تَشْبِيهًا**» يعني: ما وصف الله به نفسه ليس تشبيهًا، وإنما وصف الله تعالى نفسه بصفات لا يُماثله فيها أحد من خلقه.

---

(١) «العلو للعلي الغفار» رقم (٤٦٤).

(٢) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٩٥-٦١٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «كُلُّ شَيْءٍ وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ فَقِرَاءَتُهُ تَفْسِيرُهُ لَا كَيْفَ وَلَا مِثْلَ»».

الشَّرح

أخرج الأثر عن سفيان بن عيينة الدارقطني في «الصفات»[1].

○ قوله: «**وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ**» هو **سفيان بن عيينة** بن أبي عمران ميمون الهلالي، الإمام الكبير[2].

○ قوله: «**كُلُّ شَيْءٍ وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ فَقِرَاءَتُهُ تَفْسِيرُهُ**» يعني: يجرى على ظاهره، فلو قرأتَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢﴾ [النساء: ٣٢] تفسيره: إثبات العلم لله، ولو قرأتَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء: ٥٨] تفسيره: إثبات السمع والبصر لله تعالى؛ فقراءته تفسيره.

○ قوله: «**لَا كَيْفَ وَلَا مِثْلَ**» فلا تقل: «سمع الله كيفيته كذا»، ولا تقل: «سمع الله يُماثل سمع المخلوقين»، بل أثبت الصفة ولا تنفيها، ولا تُكيِّف، ولا تُمثِّل، ولا تُأوِّل؛ بمجرد أن تقرأه يتبيَّن لك التفسير.

(١) «الصفات» رقم (٦١).

(٢) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٥٤-٤٧٥).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَذِيُّ: سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَرُدُّهَا الْجَهْمِيَّةُ فِي الصِّفَاتِ وَالرُّؤْيَةِ وَالْإِسْرَاءِ وَقِصَّةِ الْعَرْشِ فَصَحَّحَهُ أَبُو عَبْدِاللهِ، وَقَالَ: «تَلَقَّتْهَا الْعُلَمَاءُ بِالْقَبُولِ، تُمَرُّ الْأَخْبَارُ كَمَا جَاءَتْ»».

الشَّرْح

أخرجه الخلال في «السنة»[1].

○ قوله: «وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَذِيُّ» وهو الإمام، القدوة، الفقيه، المُحَدِّث شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي، نزيل بغداد، وصاحب الإمام أحمد[2].

○ قوله: «سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَرُدُّهَا الْجَهْمِيَّةُ فِي الصِّفَاتِ» أي: في إثبات الصفات كالسمع والبصر والعلم والقدرة «وَالرُّؤْيَةِ» أي: أن الله يُرى في الآخرة «وَالْإِسْرَاءِ، وَقِصَّةِ الْعَرْشِ» لعلها «الاستواء على العرش» «فَصَحَّحَهُ أَبُو عَبْدِاللهِ، وَقَالَ: «تَلَقَّتْهَا الْعُلَمَاءُ بِالْقَبُولِ» يعني: تلقى العلماء نصوص الصفات بالقبول.

○ قوله: «تُمَرُّ الْأَخْبَارُ كَمَا جَاءَتْ» يعني: لا تؤول تأويلًا يخالف ظاهرها، بل تمر كما جاءت، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] تُمَرُّ كما جاءت في إثبات الاستواء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] تُمَرُّ كما جاءت في إثبات العُلُوِّ، ولا تؤوَّل تأويلًا يُخالف ظاهرها.

---

(١) «السنة» رقم (٢٨٣).

(٢) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٧٣-١٧٧).

﴿ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ: «اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهِمْ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صِفَةِ الرَّبِّ ﷻ مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ وَلَا تَشْبِيهٍ، فَمَنْ فَسَّرَ الْيَوْمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ خَرَجَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُفَسِّرُوا، وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ سَكَتُوا، فَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ؛ لِأَنَّهُ وَصَفَهُ بِصِفَةٍ لَا شَيْءَ»».

الشرح

أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[1].

○ قوله: «وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ» هو العلَّامة، فقيه العراق، محمد بن الحسن بن فرقد، أبو عبدالله الشيباني، صاحب أبي حنيفة[2].

○ قوله: «اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهِمْ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ فِي صِفَةِ الرَّبِّ ﷻ» كالعلم والقدرة والسمع والبصر.

○ قوله: «مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ» يعني: من غير تفسير يُخالِف ظاهرها

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٧٤٠).
(٢) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٣٤-١٣٦).

كتفسير المؤولة والجهمية.

○ قوله: «**وَلَا تَشْبِيهٍ**» مثلًا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤٠] **اتفقوا** على إثبات صفة العلم من غير تفسير له بما يُخالِف الظاهر، ولا تشبيه للعلم بعلم المخلوق.

○ قوله: «**فَمَنْ فَسَّرَ الْيَوْمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ**» يعني: فسَّر شيئًا من النصوص تفسيرًا يُخالِف ظاهرها كتفسير المؤوِّلة «**فَقَدْ خَرَجَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُفَسِّرُوا**» يعني: لم يُفسِّروها تفسيرًا يُخالِف الظاهر، «**وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ سَكَتُوا، فَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ**» يعني: جماعة المسلمين؛ «**لِأَنَّهُ**» يعني: **الجهم** «**وَصَفَهُ بِصِفَةٍ لَا شَيْءَ**» أي: وصفه بصفة العدم.

والجهم بن صفوان السمرقندي هو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وهو أخذ ذلك عن **الجعد بن درهم** الذي ضحَّى به **خالد بن عبدالله القسري** بواسط، فإنه خطب الناس في يوم عيد الأضحى وقال: «أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم؛ إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلِّم موسى تكليمًا ـ تعالى الله عمَّا يقول الجعد عُلُوًّا كبيرًا» ثم نزل»[(١)].

فأنكر **الجهم** أكثر الصفات، فمن قال بقول **جهم** فقد «**وَصَفَهُ بِصِفَةٍ لَا شَيْءَ**» يعني: وصفه بالعدم، والمعدوم من ليس له أسماء ولا صفات، وهذا كفر وضلال ـ نعوذ بالله ـ.

❁ ❁ ❁

(١) رواها البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ١٢)، وأبو بكر النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» (ص ٥٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢/ ٣١٩).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ عَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ: قَدِمَ عَلَيْنَا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِاللهِ، فَقُلْنَا: «إِنَّ قَوْمًا يُنْكِرُونَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ «إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»[(١)] وَالرُّؤْيَةَ[(٢)]، وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ»، فَقَالَ: «إِنَّمَا جَاءَ بِهَذِهِ الأَحَادِيثِ مَنْ جَاءَ بِالسُّنَنِ فِي الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ، وَإِنَّمَا عَرَفْنَا اللهَ بِهَذِهِ الأَحَادِيثِ»».

الشَرح

أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[(٣)].

○ قوله: «**وَقَالَ عَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ**» هو عَبَّاد بن العوام بن عمر بن عبدالله بن المنذر الكلابي، الإمام، المُحدِّث[(٤)].

○ قوله: «**قَدِمَ عَلَيْنَا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِاللهِ**» هو العلّامة، الحافظ، القاضي، أبو عبدالله النخعي، أحد الأعلام على لين ما في حديثه[(٥)].

○ قوله: «**فَقُلْنَا: «إِنَّ قَوْمًا يُنْكِرُونَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ «إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»، وَالرُّؤْيَةَ، وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ»، فَقَالَ: «إِنَّمَا جَاءَ بِهَذِهِ الأَحَادِيثِ مَنْ جَاءَ بِالسُّنَنِ فِي الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ»**» يقول:

---

(١) تقدَّم تخريجه.
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٨٧٩).
(٤) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٥١١-٥١٢).
(٥) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٢٠٠-٢١٦).

الذي جاء بأحاديث الصفات وهو النبي ﷺ هو الذي جاء بالسنن كالصلاة والزكاة والصوم والحج، فإذا كنت تعمل بالنصوص التي جاءت في الصلاة والزكاة والصوم والحج فاعمل بالنصوص التي ثبتت فيها الصفات.

○ قوله: «**وَإِنَّمَا عَرَفْنَا اللهَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ**» عَرَّفَ الله تعالى نفسه بأسمائه وصفاته التي أثبتها في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فمن أنكرها أنكر الله، وهذا باطل.

❁ ❁ ❁

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَهَذِهِ جُمْلَةٌ مُخْتَصَرَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ مَنْ سَلَفَ فَالْزَمْهَا، وَمَا كَانَ مِثْلَهَا مِمَّا صَحَّ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَصَالِحِ سَلَفِ الْأُمَّةِ مِمَّنْ حَصَلَ الِاتِّفَاقُ عَلَيْهِ مِنْ خِيَارِ الْأُمَّةِ، وَدَعْ أَقْوَالَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُمْ مَحْقُورًا مَهْجُورًا مُبْعَدًا مَدْحُورًا وَمَذْمُومًا مَلُومًا، وَإِنِ اغْتَرَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِأَقْوَالِهِمْ وَجَنَحُوا إِلَى اتِّبَاعِهِمْ فَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ؛ فَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، وَفِي رِوَايَةٍ: قِيلَ: «فَمَنِ النَّاجِيَةُ؟»، قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ».

الشَّرح

هذه نصيحة من **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ حيث يقول لك: ذكرتُ لك جملة مختصرة من أدلة القرآن والسنة في فضل الاتباع، وأنه يجب على المسلم أن يتَّبع ما جاء في الكتاب والسنة؛ عملًا بقول الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣].

○ قوله: **«فَهَذِهِ جُمْلَةٌ مُخْتَصَرَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ مَنْ سَلَفَ فَالْزَمْهَا»** يقول رَحِمَهُ اللهُ: هذه جملة مختصرة من القرآن والسنة وآثار من سلف فالزمها أيها المسلم وطالب العلم **«وَمَا كَانَ مِثْلَهَا مِمَّا صَحَّ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ»** أي: وما كان مثلها مما صح عن الله ورسوله ﷺ، يعني: الزم هذه النصوص والزم ما شابهها من النصوص مما صحَّ عن الله

ورسوله ﷺ، «**وَصَالِحِ سَلَفِ الْأُمَّةِ مِمَّنْ حَصَلَ الِاتِّفَاقُ عَلَيْهِ مِنْ خِيَارِ الْأُمَّةِ**» والمراد بالسلف: الذين اتفق **العلماء** على كونهم عدولًا خيارًا ثقات كالصحابة والتابعين واتباعهم والأئمة الأربعة والفقهاء السبعة وغيرهم من أهل العلم الذين اتفقت الأمة على عدالتهم وخيارهم؛ لأنهم يُفسِّرون النصوص وتفسيرهم ليس بالرأي والهوى وإنما مبني على فهمهم لها.

○ قوله: «**وَدَعْ أَقْوَالَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُمْ مَحْقُورًا مَهْجُورًا مُبْعَدًا مَدْحُورًا وَمَذْمُومًا مَلُومًا**» يعني: اترك أقوال المحقورين المهجورين المبعدِين المدحورين المذمومين بسبب ابتداعهم في الدين وانحرافهم عن سواء السبيل، فأهل البدع والذين انحرفوا عن الجادَّة اترك أقوالهم.

○ قوله: «**وَإِنِ اغْتَرَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِأَقْوَالِهِمْ وَجَنَحُوا إِلَى اتِّبَاعِهِمْ فَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ**» فلا تغتر بكثرة أهل الباطل؛ فليست العبرة بالكثرة، بل العبرة بمن كان مستقيمًا على الجادَّةِ، ولهذا قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: ١١٦]، والكثرة في الغالب تكون هالكة، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣] فلا تغتر بالكثرة.

○ قوله: «**فَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)] وَغَيْرُهُ[(٢)]**».

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٤٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب «بدأ الإسلام غريبًا»، رقم (٣٩٨٦)، وأحمد (٢/ ٣٨٩).

○ قوله: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا**» لأنه بدأ برسول الله ﷺ وهو أول مؤمني هذه الأمة، ثم آمن به أبو بكر الصديق من الرجال، ثم آمنت به خديجة من النساء، ثم آمن به بلال من العبيد، وآمن به علي من الصبيان، «**وَسَيَعُودُ غَرِيبًا**» أي: في آخر الزمان، فلا يبقى على الإيمان إلَّا قلة «**كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**» الجنة للغرباء الذين استمسكوا بالإسلام وعملوا بهذا الدين ولم ينحرفوا ولم يغتروا بالهالكين.

○ قوله: «**وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، وَفِي رِوَايَةٍ: قِيلَ: «فَمَنِ النَّاجِيَةُ؟»، قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ**[1]» هذا الحديث حديث مشهور، وله طرق متعددة[2].

وفي هذا الحديث: بيان أن الفرقة الناجية واحدة، وهي من كانت على الصراط المستقيم، وهي المتَّبِعة للكتاب والسنة، وهذا هو **الشاهد** لهذا الفصل.

وهذه الفرقة الناجية هم **أهل السنة والجماعة**، وهم الطائفة المنصورة، وهم أهل الحقِّ، **وبعض الناس** يظنُّ أن الفرقة الناجية غير الطائفة المنصورة، وهذا غلط، بل هي الطائفة المنصورة.

وفيه: دليل على أن هذه الفرق الثنتان والسبعين من فرق **أهل البدع**، وأهلها مُتوعَّدُون بالنار، لكنهم ليسوا كفارًا ـ **على الصحيح** ـ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب «ما جاء في افتراق هذه الأمة»، رقم (٢٦٤١) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب مُفسَّرٌ، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه».

(٢) لَمَّا سُئِلَ **شيخ الإسلام ابن تيمية** عن الحديث **قال**: «الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم». «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَاعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ أَنَّ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أُتُوا مِنْ طَوَائِفَ ثَلَاثٍ، فَطَائِفَةٌ رَدَّتْ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ وَكَذَّبُوا رُوَاتِهَا فَهَؤُلَاءِ أَشَدُّ ضَرَرًا عَلَى الْإِسْلَام وَأَهْلِهِ مِنَ الْكُفَّارِ، وَأُخْرَى قَالُوا بِصِحَّتِهَا وَقَبُولِهَا ثُمَّ تَأَوَّلُوهَا فَهَؤُلَاءِ أَعْظَمُ ضَرَرًا مِنَ الطَّائِفَةِ الْأُولَى، وَالثَّالِثَةُ جَانَبُوا الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ وَأَخَذُوا بِزَعْمِهِمْ يُنَزِّهُونَ وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَأَدَّاهُمُ ذَلِكَ إِلَى الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلِين، وَكَانُوا أَعْظَمَ ضَرَرًا مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ الْأُولَتَيْنِ».

الشَّرح

نبَّه **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ فقال: «**وَاعْلَمْ**» يعني: تيقَّن واجزم، ولا تظن ولا تشك، «**رَحِمَكَ اللهُ**» دعاء لك منه رَحِمَهُ اللهُ «**أَنَّ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أُتُوا مِنْ طَوَائِفَ ثَلَاثٍ**» يعني: جاءهم الضرر من **طوائف ثلاث**:

الطائفة الأولى: «**فَطَائِفَةٌ: رَدَّتْ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ وَكَذَّبُوا رُوَاتِهَا**» **وقالوا**: إن هذه أحاديث وأخبار لا تُقبل فهي مردودة وباطلة، وهم **الجهمية والمعتزلة وأشباههم**، «**فَهَؤُلَاءِ أَشَدُّ ضَرَرًا عَلَى الْإِسْلَام وَأَهْلِهِ مِنَ الْكُفَّارِ**» لأن الكفار كاليهود والنصارى والوثنيين أعداء الله مكشوفون لكل أحد، فتعلم أنهم عدوون لك فتجتنب أقوالهم وأفعالهم، لكن هؤلاء **الجهمية** ينتسبون إلى الإسلام، ويدَّعون أنهم عَمِلُوا بالكتاب والسنة وهم يَرُدُّون النصوصَ ويُعطِّلُون الرَّبَّ فهم شاركوا الكُفَّار في الكفر، إلَّا أنهم لَبَّسُوا على المسلمين وانتسبوا إلى الإسلام فاغتر بهم **بعض الناس** فظنوا أنهم من أهل الإسلام فأخذوا بأقوالهم وانخدعوا لذا صاروا أشد ضررًا على الإسلام وأهله من الكفار.

الطائفة الثانية: «**وَأُخْرَى: قَالُوا بِصِحَّتِهَا وَقَبُولِهَا ثُمَّ تَأَوَّلُوهَا**» وهم الطائفة **المُؤوِّلة**، ومنهم **جمهور الأشاعرة** «**فَهَؤُلَاءِ أَعْظَمُ ضَرَرًا مِنَ الطَّائِفَةِ الْأُولَى**»؛ لأن مذهب المُؤوِّلة يتضمن التشبيه والتعطيل والتلاعب بالنصوص.

فمثلًا: قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] **الطائفة الأولى كالجهمية** نفوا الصفات وعطَّلُوا الرَّبَّ، **قالت الطائفة الثانية**: النص صحيح ومقبول، ولكنه مُتأوَّل، فمعنى ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: أثابهم، فهؤلاء أوَّلُوا الرضى بالثواب، فهم شبَّهُوا أولًا فظنوا أن رضا الرَّبِّ كرضا المخلوق وهذا تشبيه، فلمَّا وقع في نفوسهم التشبيه أوَّلُوا وحرفوا، **فقالوا**: ننفي الرضا ونُفسِّره بالثواب، فهم شبَّهُوا أولًا، ثم عَطَّلُوا ثانيًا، فتلاعبوا بالنصوص فصاروا شرًّا من **الطائفة الأولى**.

الطائفة الثالثة: «**وَالثَّالِثَةُ: جَانَبُوا الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ وَأَخَذُوا بِزَعْمِهِمْ يُنَزِّهُونَ وَهُمْ يَكْذِبُونَ**» وهم **المفوِّضة** الذين فَوَّضُوا المعنى ونفوا الصفات، **قالوا**: لا نعلم المعاني، وليس للنصوص معان، ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] قالوا: لا ندري ما معنى ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ فلا نعرف المعنى ولا الكيفية، فنفوا المعنى ونفوا الصفات، لأنهم يقولون: إن النصوص ألفاظ لا يعرف مسلم منها إلَّا اللفظ فقط، وأما المعنى فغير معروف.

○ قوله: «**فَأَدَّاهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلِين**» فحرَّفُوا وعَطَّلُوا الرَّبَّ ﷻ وادَّعوا أنهم ينزهونه «**وَكَانُوا أَعْظَمَ ضَرَرًا مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ الْأُولَتَيْنِ**»، ولهذا **قال كثير من العلماء**: المُفوِّضَة شرٌّ من المُعطِّلَة[١].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١١٨)، «مجموع الفتاوى» (٣/ ٦٦)، (٤/ ٦٧).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَمِنَ السُّنَةِ اللَّازِمَةِ: السُّكُوتُ عَمَّا لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ أَوْ يَتَّفِقُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى إِطْلَاقِهِ، وَتَرْكُ التَّعَرُّضِ لَهُ بِنَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ، فَكَمَا لَا يُثْبَتُ إِلَّا بِنَصٍّ شَرْعِيٍّ كَذَلِكَ لَا يُنْفَى إِلَّا بِدَلِيلٍ سَمْعِيٍّ».

الشَّرح

○ قوله: «**فَمِنَ السُّنَةِ اللَّازِمَةِ: السُّكُوتُ عَمَّا لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ أَوْ يَتَّفِقُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى إِطْلَاقِهِ**» أي: اتفق المسلمون على إطلاقه على الله أو على نفيه عن الله، وهذا معنى الإجماع «**وَتَرْكُ التَّعَرُّضِ لَهُ بِنَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ**» فمن السنة اللَّازمة السكوت عمَّا لم يَرِد فيه نصٌّ عن الله ورسوله ﷺ أو يتفق المسلمون على إطلاقه، فلا نُثبِت ولا ننفي، «**فَكَمَا لَا يُثْبَتُ إِلَّا بِنَصٍّ شَرْعِيٍّ كَذَلِكَ لَا يُنْفَى إِلَّا بِدَلِيلٍ سَمْعِيٍّ**» والدليل السمعي المسموع من الكتاب والسنة.

فالشيء الذي سكتت النصوص عنه ولم يَرِد فيه نصٌّ لا عن الله ولا عن رسوله ﷺ ولا اتفق المسلمون على إطلاقه فهذا لا يُثْبَت ولا يُنْفَى، ولا يُتعرَّض له بنفي ولا إثبات، بل يُتوقَّف فيه؛ لأن الإثبات يحتاج إلى دليل، والنفي يحتاج إلى دليل.

❁ ❁ ❁

الخاتمة

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا يُرْضِيهُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ، وَأَنْ يُحَيِيَنَا عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَرْضَاهَا، وَيَتَوَفَّانَا عَلَيْهَا، وَأَنْ يُلْحِقَنَا بِنَبِيِّهِ وَخِيرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَيَجْمَعَنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ».

الشَّرح

هذا دعاء من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ وسؤال وتضرع إلى الله تعالى.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يُوفِّقنا لما يُرضيه عنَّا من القول والعمل والنية، والذي يرضاه الله هو ما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

ونسأل الله تعالى أن يُحيينا على الطريقة التي يرضاها، ويتوفَّانا عليها، وأن يلحقنا بنبيه وخيرته من خلقه محمد عليه الصلاة والسلام، ويجمعنا معهم في جنته ودار كرامته؛ إنه سميع قريب مجيب.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَكُلُّ حَدِيثٍ لَمْ نُضِفْهُ إِلَى مَنْ أَخْرَجَهُ فَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»».

الشَّرح

وهذا اصطلاح للمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

يقول: «وَكُلُّ حَدِيثٍ لَمْ نُضِفْهُ إِلَى مَنْ أَخْرَجَهُ فَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»» أي: أن الحديث الذي لم يُضِفْهُ إلى من أخرجه فهو متفق عليه، أي: أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في «صحيحيهما»، وإذا كان في غيرهما فإنه يُضيفه إلى من أخرجه.

❁ ❁ ❁

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«آخِرُه، وَالْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا».

الشَّرح

○ قوله: «آخِرُه» أي: آخر الكتاب «وَالْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ».

○ قوله: «وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ» يعني: دعاء، سأل رَحِمَهُ اللهُ اللهَ أن يُثني على نبيه ﷺ في الملأ الأعلى، فصلاة الله ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى.

○ قوله: «وَآلِهِ» أي: أتباعه على دينه.

○ قوله: «وَصَحْبِهِ» أي: مَنْ صَحِبَهُ، وهو من لقيه ومات على الإسلام.

○ قوله: «وَسَلَّمَ» دعاء لهم بالسَّلام، يعني: يسلمهم من الآفات والشرور في الدنيا والآخرة.

○ قوله: «تَسْلِيمًا» هذا مصدر، وهي تأكيد «كَثِيرًا» تأكيد للمصدر.

والحمد لله رب العالمين على التمام بشرح هذه الرسالة التي من تأليف الإمام عبدالغني المقدسي رَحِمَهُ اللهُ التي بحث فيها كثيرا من الموضوعات والمسائل العقدية، أسأل الله أن يرزقنا العلم النافع

والعمل الصالح، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يثبتنا على دينه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

التنفيذ الطباعي

مركز ابن تيمية للنشر والتوزيع

الرياض - المملكة العربية السعودية

هاتف الإدارة: ٠٥٠٢٩١٥٠٠٠ - المبيعات: ٠٥٤٧٠٢٩٠٠٠

البريد الإلكتروني: m.ibn.teemeah@gmail.com